

صبري الأشوح

إِعْجَاز

آَلْقِرَاءَاتُ الْفِرَآئِنَةِ

دراسة في نايخ الفراءات وأنجاهات الفراء

يطلب من

مكتبة وهيب

٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

نشأت منذ طفولتي المبكرة على اعتقاد راسخ بأن من يخطئ في تشكيل حرف من القرآن فقد ارتكب إثماً مبيناً ، ولقد قادني ذلك الاعتقاد إلى الحرص الشديد عند حفظ الآيات أو تلاوتها على التزام الضبط والشكل . وحفرت في ذاكرتي صورة ذهنية غامضة عن « الكلمة » بشقيها الأرضي البشري والسماوي المقدس . وشرعت أبحث عن مفهوم « القداسة » ومعناها . وكان قد استقر في يقيني أن القرآن هو « كلام الله » وأنه - دوناً عن كل الكتب السماوية الأخرى - لم ينله التحريف . إنه كلام الله ننطقه كما أوحى به . إنه أثر مادي ملموس من آثار الله على الأرض ، إلا أنه ليس شيئاً مخلوقاً كالسماوات والأرض . إنه جزء من ذاته المقدسة .

من هنا ترسخ في تفكيري (الطفولي) أن « للمثال » مكان على أرض « الواقع » وأن التعايش بينهما أمر طبيعي ، بدليل وجود القرآن بيننا ، حقيقة واقعة لا تقبل الجدل ، هو هو تماماً كما نزل من السماء ، لا يرفع مجروراً ولا ينصب مرفوعاً . أما عن كيفية حدوث ذلك ، فهذا ما اعتبرته مسألة وقت فلن ألث حتى أتم تعليمي وأصبح رجلاً ، فأعرف كل شيء .

فالعقل موجود ، والعلم في الكتب ، ولكل سؤال جواب . والجواب لا شك سيكون دقيقاً وواضحاً ، تماماً كدقة القرآن ووضوحه . وعرفت طريقى إلى القراءة ، سعياً وراء المزيد من « الحقائق » . فقد صور لى تفكيري الطفولي أن كل ما ينشر هو حقائق ، لا مجرد اجتهادات وآراء وتصورات ومحاولات للتفسير . باختصار ، كانت نشأتى مثالية ساذجة .

ومرت الأيام ، حتى جاءت ليلة مولد السيدة سكينة ، فدخلت المسجد أستمع إلى تلاوة القرآن من أحد مشاهير المقرئين ، فإذا به يتلو آية واحدة مرتين . فى المرة الأولى سمعت كلمة « فتبينوا » ، وفى المرة الثانية سمعته يتلوها « فتثبتوا » . واختلط على الأمر ، فلم أجد تفسيراً لما يحدث . ثم

حدث هرج ومرج بين المستمعين ، وتعالّت بعض الأصوات بالاحتجاج ، وارتبك المقرئ ، ثم ما لبث أن غادر المسجد من فوره ، يكاد يتعثّر من فرط هرولته ، محاطاً بثلة من الحاضرين . وانفض المولد ، وانقضّ التساؤل يكاد يدهم رأسى . ما معنى ما حدث ؟ مستحيل أن يخطئ المقرئ ، فهو من مشاهير الإذاعة . إنه لا شك يعلم تماماً ما يفعل ، بدليل أنه قرأ « فتبينوا » مرة ، ثم قرأ « فتثبتوا » فى المرة التالية . فلا الخطأ وارد ولا النسيان أيضاً . ولو كان الموضوع فى إطار « الخطأ أو النسيان » فهو مرفوع عنه مغفور له بنص الحديث . فما الداعى إذن لتذمر الحاضرين وحدث ما يشبه الفتنة ؟ .

لقد تعتمد المقرئ إذن ١١٠ ويل له تحريف فى كلام الله ؟ وفى كلمة كاملة ؟ ومن حامل للقرآن ؟ لا بد أن فى الأمر سرّاً .

ودارت الأيام ، إلى أن جاء اليوم الذى فتحت فيه إحدى كتب التفسير . وبدأت بتفسير الفاتحة . فإذا بى أفاجاً بأنه يفسر ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ مرة ، ثم يفسر « ملك يوم الدين » مرة أخرى . ويسهب فى محاسن هذه مرة ويعدد إعجاز الأخرى ثانية ، ثم يسميهما « قراءتين » .

ولم أفهم ماذا يعنى بقراءتين . بل هو قرآن واحد ، يتلى علينا ليلاً ونهاراً بتلاوة واحدة . وأنا أعرف جيداً أننا نقرأ الفاتحة بـ (« ملك » يوم الدين) . هكذا تتلوها أئمة المساجد فى كل صلاة جهرية . وهكذا أسمعها منذ وعيت على الدنيا تتلى فى الإذاعة . وهكذا لقنتها منذ طفولتى فى المنزل ، ثم فى المدرسة . أنا لا أعرف سوى « ملك » . أنا لا أعرف « ملك » . أنا غير قادر على استيعاب الأمر .

وهكذا بدأت تنشأ الفجوة فى رأسى بين « المثال » الذى كنت أعتنقه وبين « الواقع » الذى بدأت أصطدم به ، ولا أفهمه .

وتتالت الأعوام ، تحمل فى كل مرة جديداً . فائناء زيارتى لبلاد المغرب لاحظت اختلافاً ما فى التلاوة ، عزوته مرة لاختلاف اللهجة ، وأخرى للإهمال والتأخر فى اللحاق بمصرنا العزيزة - أم الدنيا - وبلد الأزهر الشريف ، جامعة العلوم الإسلامية . وتأسفت كثيراً لأحوالهم . حتى تصادف ذات يوم أن لفت انتباهى أن المذيع كان يقدم للتلاوة مرة بأنها برواية حفص عن عاصم ، وأخرى بأنها برواية ورش عن نافع .

وبدأت أربط لأول مرة بين التلاوة والراوى . إلى أن وزع علينا فى العمل

ذات يوم إعلان مطبوع لبيع وتسويق المصحف المرتل مسجلاً على شرائط كاسيت ، موضحاً به العديد من البيانات ، مثل السعر نقداً وبالتفصيل لمجموعة من كبار المقرئين . واستوقف نظري أن التسجيلات جميعها برواية حفص عن عاصم ، سوى واحد فقط ذكر أنه برواية ورش عن نافع ، فاشتريته . وعندما استمعت إليه ، تذكرت التلاوة بالمغرب .

وقادتنى تلك الخطوة إلى متابعة الجهد على طريق البحث عن الحقيقة ، فتوجهت إلى مكتبات الأزهر ، فابتعت مصحفاً « طبع بالرسم العثماني على رواية الإمام ورش » وأقرصحته مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١١ .

وباجتماع المصحف المرتل المسموع ، والمصحف المطبوع ، برواية ورش عن نافع ، أدركت للمرة الأولى حقيقة جديدة ، وهي وجود قراءتين للقرآن الكريم ، وليس قراءة واحدة كما كنت أظن من قبل . ولكني لم أستطع أن أمنع توارد التساؤلات على خاطري :

أيهما أفضل ؟ ... أيهما أصح ؟ ... أيهما القرآن كما نطقه النبي ؟ . وتسرعت ساعتها - من فرط توترى - فأنحزت إلى رواية حفص التي نشأت عليها .

والتساؤلات رغم بشاعتها لا يجوز أن يلام عليها إنسان مسلم شديد الغيرة على دينه وقرآنه . ولقد علمت فيما بعد - وبعد جهد جهيد - أن ما حاك في صدرى كان قد حاك في صدر « أبى بن كعب » إمام القراءات القرآنية ، الصحابي الجليل ، الذى تجدون اسمه مطبوعاً فى كل مصحف . فإليه تنتهى قراءة أغلب القراء . لقد « ارتج عليه » حين أفاق على الرسول الكريم ﷺ وهو يجيز ويصوب قراءة خالفت قراءته التى تعلمها من فيه . لولا أن ضربه الرسول على صدره ليفيق . فالحمد لله الذى ثبتته وثبتنى على تقبيل « تعدد الحق » ، و « تعدد القراءات » لقرآن واحد . وانهار مفهومى الطفولى ليحل محله مفهوم جديد .

إنها إرادة الله وحكمته التى شاءت أن يكون « قرآناً واحداً » ، و « قراءات قرآنية متعددة » ، وهما حقيقتان متغايرتان لشيء واحد .

وشكل العلاقة التى تربط بين « القرآن » و « القراءات » هو النموذج الذى أراده الله للتفاعل بين « المثال » و « الواقع » . فلو شاء سبحانه لجعلها قراءة واحدة ، ولكنها « حكمة بالغة » .

وسعياً وراء فهم تلك الحكمة تواصل الجهد حتى تبين لى أن عدد القراءات القرآنية للقرآن الكريم كان قد تجاوز الحصر فى يوم من الايام . وفى الوقت ذاته ، تبين لى أيضاً أن عدداً لا حصر له من علماء الامة الإسلامية وأئمتها قد أفنوا أعمارهم فى خدمة كتاب الله ، حتى وصل إلينا بصورته التى نراها عليه الآن ، مطبوعة فى المصاحف ، متلوة فى شرائط الكاسيت . وأن ذلك لم يتم بين يوم وليلة ، بل استمرت الجهود لمئات السنين ، تصون وترعى ، وتضبط وتوصل ، وتفسر وتنتظر ، حتى تركت لنا تراثاً فى « علم القراءات » يباهى به كل مسلم الامم ، وحتى تقوم الساعة .

وهذا الكتاب ليس سوى جولة فى عالم القراءات ، طولاً وعرضاً وفى اتجاه العمق أحياناً . ذلك العالم عظيم الاتساع بالغ العمق خطير المزالق ، الذى لم أكن لأخطو فيه خطوة واحدة لو أن القائمين على تنشئتي وتربيتي وتعليمي وتشقيفي قاموا بتحفيظي سورتي الفاتحة والإخلاص بأكثر من قراءة . فلا « يحيك فى صدرى » إن قرأت « ملك » مرة « ومالك » أخرى .

ولا أتردد عندما أتلو « كفواً أحد » مرة ، و « كفواً أحد » أخرى ، ولا « يرنج على » عندما أسمع « فتبينوا » مرة و « فتثبتوا » أخرى . فالجميع « متواتر » و « صحيح » ، و « معلوم من الدين بالضرورة » .

بل وأبلغ غاية سعادتي وقمة نشوتي حين أستمع إلى مقرئى المفضل وهو يرتل أو يجود آيات الله البينات « بالسبعة » بل « بالعشرة » .
فالقراءة « سنة متبعة » .

لكم أتوق لليوم الذى أستمع فيه لسورة يوسف بقراءة حمزة ، وسورة طه بقراءة أبى عمرو وسورة الاعراف بقراءة يعقوب وقصار السور برواية شعبة عن عاصم والانبياء برواية قالون عن نافع .

إنه تراثنا العظيم فلماذا لا تعيدونه للحياة يا لجنة « إحياء التراث » ؟ بل ولماذا يصبر القائمون على الإعلام المسموع والمرئى على تجهيل الجمهور عندما لا يصرحون باسم الراوى إلا إذا كان « حفص » ، فإذا كانت التلاوة لغيره سكتوا . أعن الحق تسكتون ؟ أتريدون أن تجمعوا الناس على قراءة واحدة ؟

إن الله لم يرد ذلك ، ولو شاء لفعل . أتقفون ضد إرادته ؟
لقد وعد الله بحفظ القرآن ، وأنجز وعده بأن جعله قراءات متعددة ، ولو شاء لحفظه فى قراءة واحدة . فلم الاقتصار على الترويج لقراءة واحدة ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمهيد

الله اسمه « الحق » ، وهو « يقول الحق » ، و « يحق الحق » ،
و « لا يستحي من الحق » ، و « يضرب الباطل بالحق » ولكن الناس
أكثرهم للحق كارهون .

ومن الناس من يعبد الله على حرف ، ومنهم من يعبد بالوراثة ، ومنهم
من يعرفه بقلبه ، ومنهم من يؤمن به « بعد تفكير طويل » .
والعقاد (رحمه الله) كان يؤمن بالله « وراثة » ، و « بقلبه » ، و « بعد
تفكير طويل » .

وفئة قليلة من البشر تلك التي تحب أن تؤمن بالله « على بصيرة » . . .
تتفقه في كلامه سبحانه ، حتى إذا أدركت أنه الحق اطمأنت إليه قلوبها ،
فأحبت ، حتى إذا ما ملك عليها مشاعرها انصاعت له جوارحها ، فأصبح خلقها
« القرآن » . . . ما ضرها أن تتعب بتلاوة حروفه ، وإن كانت « الم » مما خفي
معناه . . . أولئك هم أولوا الالباب .

و « الم » لم تأت عبثا ، إنها آية من آيات القرآن ، فعلاقتها به علاقة الجزء
بالكل . فمن آمن به « على بصيرة » آمن بها بالضرورة ، وإن لم يفهم معناها ،
فذلك هو جوهر الإيمان بالغيب ، وعلى بصيرة .

و « القراءات القرآنية » هي الطرق المختلفة لنطق ألفاظ القرآن الموحى بها في
إطار رسم تلك الألفاظ كما وردت في المصحف العثماني الإمام المجمع عليه
والخالى من النقط والشكل والضبط ، وبلهجات عربية متنوعة فصيحة ، قرأ بها
النبي ﷺ بعض الألفاظ ، وأقر على صحة القراءة بها في البعض الآخر الصحابة

من باب التيسير ، رخصة من عند الله بموجب حديث الاحرف السبعة المتواتر ،
وورد بعضها متواتراً ، وورد بعضها صحيحاً مشهوراً مستفيضاً محفوفاً بالقرائن
متلقى بالقبول من العامة والخاصة ، فحصل بالمتواتر العلم اليقيني وحصل
بالمشهور الاطمئنان على صدقها وصحة مغيبها ، من غير تعيين ، فوجب الإيمان
بها جميعاً على بصيرة - هي اليقين والاطمئنان - حتى صار ذلك بديهة من
البديهيات يطلق عليها « المعلوم من الدين بالضرورة » يكفر من يجحدها .

وكما اقتضت حكمة الله أن يرد القرآن بالمحكم والمتشابه من أمثال (الم) ،
فقد شئت حكمته سبحانه أن ترد « القراءات » - وهي طريقة نطق ألفاظ
القرآن - بالمحكم والمتشابه أيضاً . والمتشابه في كليهما « القرآن القراءات »
قطعي الثبوت وظنى الدلالة .

وإذا كان « المتشابه في القرآن » قد شكل حافظاً أبدياً وتحدياً للعقل المسلم
لمحاولة الفهم والتفسير، فإن « المتشابه من القراءات » لم تقتصر على ذلك فقط ،
بل شكلت هي الأخرى حافظاً لا ينصب معينه لتذوق اللغة العربية التي نزل بها
القرآن .

ولقد وقف هذان الحافظان وراء تشكيل العقل العربي المسلم ثم تطويره
ليبدع للإنسانية هذه الحضارة العظيمة .

ولو جاء القرآن محكماً كله، لتوقف العقل المسلم عن التفكير، ولتحول من
عقل متبع - على بصيرة - إلى عقل مقلد مردد أعمى . فأى حضارة تلك !!
ولو جاءت القراءات قراءة واحدة محكمة ، لمائت اللغة العربية جموداً .
وللحق بها بعد حين التفكير العربي المسلم أيضاً ، ذلك أن الإنسان يفكر
بلغته ، فالتفكير واللغة وجهان لعملة واحدة .

يقول تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۖ ﴾ (١) ينهانا بذلك
عن تلقي القرآن بمجرد الحفظ والترديد . ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ ﴾ (٢) في المصحف

(٢) القيامة : ١٧ .

(١) القيامة : ١٦ .

العثماني الإمام ، ﴿ وَقُرْآنُهُ ﴾ بالقراءات السبع المتواترة والعشر المشهورة على الصحيح بل الأصح ، ﴿ فَإِذَا قُرْآنُهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ (١) يأمرنا بالاتباع على حين ينهانا عن مجرد الحفظ والترديد ، ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (٢) بالتفسير والفهم من ناحية العقل لمعنى ألفاظه ، وبالإعجاز البلاغي من ناحية الفن والتذوق لقراءاته حكمة بالغة وليذكر أولوا الألباب .

إن مثل القراءات والقرآن الكريم كمثل التنويعات على لحن عبقرى خالد ، منها ما تلقى بالقبول ، فشاع وذاع ، وأقبل عليها أهل الأمصار . ومنها ما لم يحظ بالقبول ، فلقيه الناس « بالشاذ » ، وهجروه وانصرفوا عنه إلى غيره .

ولم يكن « الهوى » هو المقياس الذى شاع عند الناس لقبول قراءة والإعراض عن أخرى ، ولكن جاء مقياسهم « توليفة عبقرية » من الأركان والشروط عبرت بصدق عن « المنهج الإسلامى الخالص » فى استيعاب الواقع للمثال ، والتفاعل معه بانسجام وتناغم وتكامل ، كان جديراً بأن يعلن للإنسانية عن ميلاد حضارة جديدة ، جديرة بأن تغزو عقول وقلوب بنى الإنسان ، أينما وسعه المكان ، أو امتد به الزمان .

واللحن الأساسى فى معزوفة القراءات كان رسم الكلمات فى المصحف العثماني الإمام ، خالياً من الضبط والنقط والإعجام .

أما التنويعات على هذا اللحن الأساسى ، فكانت القراءات ، فما وافق منها رسم المصحف ، كان قراءات قرآنية ، وإلا فهو شاذ . وما وافق العربية الفصيحة السائغة كان قراءات قرآنية ، وما أتى بلهجة هابطة فهو شاذ ، وما جاء منها برواية صحيحة ، فهو قراءة قرآنية ، وما لم يأت بالرواية ، فهو ليس بقراءة ولا بقرآن فجاءت عبقرية القرآن شاهداً على عبقرية القراءات والقراء معاً .

* * *

الباب الأول

تاريخ القراءات

الفصل الأول

القرآن والقراءات

- القرآن والقراءات . . . تعريفات ومفاهيم ونصوص .
- القرآن والقراءات . . . حقيقتان متغايرتان أم متحدتان ؟ .
- آراء علماء القراءات القدماء والمحدثين .
- مثال لاختلاف القراء في سورة الفاتحة .
- الأحاديث التي وردت في قراءتي (مالك / ملك) يوم الدين .

● جدل حول إشكالية العلاقة بين القرآن والقراءات :

يقرر العلامة البناء (ت ١١١٧ هـ) فى كتابه الشهير « إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر » أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان . فيذكر فى مقدمه ما نصه : (والقرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان) .

فالقرآن : هو الوحي المنزل للإعجاز والبيان .

والقراءات : اختلاف ألفاظ الوحي المذكور فى الحروف ، أو كيفيتها ، من تخفيف وتشديد وغيرهما « ١٠ هـ .

وينبه الدكتور شعبان إسماعيل ^(١) أن البناء قد نقل هذا النص عن الإمام الزركشى ، صاحب « البرهان فى علوم القرآن » ^(٢) . ثم يعرض لرأى مخالف طرحه أحد علماء القراءات المعاصرين ^(٣) الذى يرى أن كلاً من القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحد . وأنه استند فى ذلك إلى أن تعريف القرآن مصدر مرادف للقراءة ، والقراءات جمع قراءة ، فهما عنده بمعنى واحد . وهو يعتقد فى هذا على التعريف اللغوى لا الاصطلاحى . كما أنه (د . محسن) استند إلى بعض الأحاديث التى يأمر الله فيها رسوله ﷺ بأن يقرء أمته القرآن على سبعة أحرف .

وأنه خلص من رأيه هذا بقوله : « وكلها تدل دلالة واضحة على أنه لا فرق بين كل من القرآن والقراءات ، إذ كل منهما الوحي المنزل على النبي ﷺ » .

ويعقب د . شعبان إسماعيل على رأى د . محسن بأنه رأى مردود وغير

(١) القراءات ، أحكامها ومصدرها ، د . شعبان إسماعيل ، ط . دار السلام ، ١٩٨٦ م

ص ٢٠ .

(٢) ج ١ ص ٣١٨ ، الحلبي ، ١٣٧٦ هـ .

(٣) فى رحاب القرآن الكريم ، د . محمد محسن ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ ، ط . القاهرة .

مقبول ، لم يقل به أحد من العلماء السابقين ، فلا يمكن أن يقال : إن القرآن والقراءات حقيقتان متحدتان ، للأسباب التالية :

أولاً : لأن القراءات على اختلاف أنواعها لا تشمل كلمات القرآن الكريم كله ، بل هي موجودة في بعض ألفاظه فقط ، فكيف يقال إنهما حقيقتان متحدتان (لا فرق بينهما) .

ثانياً : التعريف المتقدم للقراءات يشمل القراءات المتواترة التي يصح أن يقرأ بها القرآن ، كما يشمل القراءات الشاذة ، والتي أجمع العلماء على أنه لا يصح قراءة القرآن بها ، لأنها لم تستجمع أركان القرآن الصحيحة ، وهي التواتر ، وموافقة الرسم العثماني ، وموافقة وجه من وجوه اللغة العربية .

فالقراءة التي تفقد أهم الأركان ، وهو التواتر لا يصح أن نطلق عليها اسم القرآن ، ولا تصح قراءته بها ، مع أن من تعريف القرآن : (إنه المنقول إلينا بالتواتر) فكيف يسوغ القول بأن القرآن والقراءات شيء واحد ، مع عدم انطباق ذلك على القراءات غير الصحيحة .

وبعد أن أنهى د . شعبان نقده لرأى د . محيسن ، وأورد أدلته كما سبق أن أورد أدلة د . محيسن ، انتهى إلى عرض رأيه في تلك الإشكالية فقال : « فالواقع إنهما (القرآن والقراءات) ليسا متغايرين متغيراً تاماً ، كما أنهما ليسا متحدتين اتحاداً حقيقياً ، بل بينهما ارتباط وثيق ، ارتباط الجزء بالكل والله أعلم .

ونعود إلى الإمام الزركشي لنوضح على لسانه مفهومه لطبيعة « المتغاير » بين حقيقتي القرآن والقراءات حيث قال : ولست في هذا (القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان) أنكر تداخل القرآن بالقراءات ، إذ لابد أن يكون الارتباط بينهما وثيقاً ، غير أن الاختلاف على الرغم من هذا يظل موجوداً بينهما ، بمعنى أن كلاً منهما شيء يختلف عن الآخر لا يقوى التداخل بينهما على أن يجعلهما شيئاً واحداً ، فما القرآن إلا التركيب واللفظ ، وما القراءات إلا اللفظ ونطقه والفرق بين هذا وذاك واضح وبين » ١٠ هـ .

* * *

إلى هنا انتهى جدل بين عالمين جليلين من علماء القراءات بعد مرور نحو ألف وخمسمائة عام من نزول الوحي . ومعنى هذا أن القضية لم تحسم بعد . وأعتقد أنها لن تحسم حتى قيام الساعة ذلك أنها - فى حقيقتها - تناقش العلاقة بين « المثل والواقع » بين الوحي الإلهى السماوى الغيبى وبين تناقل هذا الوحي بلغة بشرية أرضية واقعية . لقد اتفق الجميع على أن القرآن هو « المثل » ، إلا أن أذهانهم توقفت عن التسليم بطبيعة القراءات هل هى « مثال » أو « واقع » ؟ . . . وهنا مكمن « المعضلة » .

فمن قال إن كليهما « مثال » فقد تجاهل « القراءات الشاذة » وما أكثرها ، وهى حقيقة واقعة تشهد كدليل مادى ملموس على أن « بعض القراءات (الشاذة) ليست قرآنا » .

كما أن من يتجاوز فيقول إن القراءات واقع (ثقافى مثلاً) فإنه بذلك ينفى عن « القراءات المتواترة والصحيحة » - التى هى فى حقيقتها تشكل جزءاً لا يستهان به من القرآن - ينفى عنها صفة كونها « مثال » أو وحي إلهى .

فما بالك بمن يتعدى بهذا الوصف منطقة « القراءات » حتى يصل إلى أن يصف « القرآن » نفسه بأنه « منتج ثقافى » !!!

انظر إلى أحد كتابنا المعاصرين ^(١) وهو يقول :

« إن النص فى حقيقته وجوهره منتج ثقافى . والمقصود بذلك أنه تشكل فى الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عاماً .

وإذ كانت هذه الحقيقة تبدو بديهية ومتفقاً عليها ؛ فإن الإيمان بوجود ميتافيزيقى سابق للنص يعود لكى يطمس هذه الحقيقة البديهية ويعكس - من ثم - إمكانية الفهم العلمى لظاهرة النص » .

ويستطرد د . نصر أبو زيد فيقول - فى محاولته للتوفيق بين المثال

(١) مفهوم النص ، دراسة فى علوم القرآن ، د . نصر حامد أبو زيد ، الهيئة العامة

والواقع : « إن ألوهية مصدر النص لا تنفى واقعية محتواه ولا تنفى من ثم انتماءه إلى ثقافة البشر » (١) .

وفى معرض مناقشة فرض تكرر النزول ، يجد د . نصر أبو زيد الفرصة سانحة لكى يعرض بصورة أوضح وجهة نظره فى طبيعة علاقة النص (الإلهى) بالواقع (البشرى) ، فيقرر أنها كانت علاقة (يمكن أن تؤكد استجابة الوحي للواقع) (٢) . ويحدد هذا الواقع بأنه واقع التعدد اللغوى فى الجزيرة العربية ، لتعدد لهجات القبائل المختلفة .

فيقول : « لقد كانت الاحرف السبعة فى حقيقتها نوعاً من التسهيل على المسلمين فى قراءة النص مراعاة لواقع التعدد اللغوى فى الجزيرة العربية لتعدد لهجات القبائل المختلفة » .

مما سبق - وهو قليل جداً من كثير جداً - نلمح تحيز د . نصر الواضح لتبنى الواقع على حساب المثال فى تلك الجدلية الخطيرة بخصوص طبيعة القرآن . فهو وإن لم ينكر صراحة كونه وحياً إلهياً ، إلا أنه يحاول بشدة وبلا ملل أن يغير نظرنا إليه ومفهومنا عنه ، وذلك بالدعوة - وبالحاح شديد - للتخفيف من نظرنا إليه بصفته « نصاً مقدساً » مفارقاً للواقع ، محفوظاً فى اللوح المحفوظ ، يتعبد بمجرد تلاوته . وفى سبيله لبلوغ تلك الغاية - وهى تغليب المضمون على الشكل والتناول الواقعى لا المثالى للقرآن - فإن د . أبو زيد يصف قول ابن عباس بنزول القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا فى ليلة القدر بأنه (« تصور أسطورى » يستحق أن يدرس فى مجال المعتقدات الشعبية) (٣) (كذا) !!

ثم يقرر : « والحقيقة أنه لم يكن ثمة نزول مجمل للنص من مكان إلى آخر وراء عالم الأرض ، عالم الواقع والجزئيات » (٤) (كذا) !! .

(١) المرجع السابق : ص ٢٧ . (٢) المرجع السابق : ص ١٠١ .

(٣) المرجع السابق : هامش ص ١١٤ .

(٤) المرجع السابق : ص ١١٥ .

ولا أدري كيف كتب تلك العبارة . . . أطلع الغيب ، أم اتخذ عند الرحمن عهداً ؟! . . .

وأرى أن د . أبو زيد لا يفتقر إلى موضوعية الهدف ، بقدر ما يفتقر إلى لباقة الوسيلة . يبدو أنه موقن بأن هناك تعارضاً بين المثال والواقع ، لذا فمن منطلق تحيزه للواقع نراه يحاول هدم المثال . فالقضية في نظره أحسبها قضية صراع لا تكامل . من هنا حكم على دعوته بالفشل . فنظرته الأحادية الاتجاه للأمور تدفعه دفعاً لنفى الآخر « المثالي » حتى يجد لفكره « الواقعي » مكاناً . انظر إلى عبارته : « إن الإيمان بوجود ميتافيزيقى للنص يعود لكي يطمس هذه الحقيقة البديهية (النص منتج ثقافي) » . إن هذه الرؤية المتطرفة محكوم عليها بالموت ، وبخاصة إذا كانت منحازة ضد « المثال » . سيخنفها « الواقع المثالي » !! . . .

* * *

أعود للتعقيب على رأى د . محيسن ، و د . شعبان في طبيعة العلاقة بين القرآن والقراءات ، فأذكر القارئ بأن الأول قال إنهما حقيقتان بمعنى واحد ، وأنه لا فرق بين القرآن والقراءات ، إذ كل منهما الوحي المنزل على النبي ﷺ . وعارضه د . شعبان بأن بينهما ارتباط وثيق ، ارتباط الجزء بالكل وأرى أن الخلاف بينهما وهمي . ذلك أنه إذا أضفنا إلى لفظ القراءات صفة التواتر لاتفق الرأيان على حقيقتهما الواحدة وهى أنهما « وحي منزل » ، أى « كلام إلهي » . ويبقى خلاف غير مؤثر وهو خلاف فى الكم يمكن التعبير عنه بصورة منطقية كما يلي : « كل القراءات المتواترة قرآن ، وبعض القرآن قراءات متواترة » . . . وهذا ما عبر عنه د . شعبان بقوله « جزء من كل » .

أما الزركشى فقد جاءت عباراته غامضة تماماً ، وكأنه كان يدرك ذلك جيداً حين ألمح قائلاً : « فما القرآن إلا التركيب واللفظ ، وما القراءات إلا اللفظ ونطقه ! » .

والفرق بين هذا وذاك واضح بين !! . . . » أ . ه كلامه . . .

ولا أدرى أى وضوح يعنى ، وإن كنت أتمس له ألف ألف عذر ...
فالقضية وبحق « معضلة » .

* * *

وما دمننا بصدد طرح الجدل القائم حول قضية طبيعة القراءات وحقيقتها ،
فلا يفوتنا أن نطرح رؤية الدكتور عبد الصبور شاهين التى التقت آراؤه - على
حد قوله - بآراء العالم الدكتور إبراهيم أنيس .

يقول د . عبد الصبور (١) : « ... وحين هاجر النبى وصحابته إلى
المدينة تغيرت الحال ، فمن حيث الكم زاد عدد المؤمنين بالدعوة ، ودخل الناس
فى دين الله أفواجا ، وأتيح للدعوة فى المركز الجديد أن ترأسل الأقوام والقبائل فى
مشتى أنحاء الجزيرة العربية وخارجها ، وجاءت الوفود تترى ، ممثلة لمختلف الألسنة
واللهجات ، وكان المجتمع المدنى ذاته خليطا من العرب واليهود ، ومن هؤلاء
وأولئك مسلمون ، وإن كانوا من اليهود قليلا .

يضاف إلى ذلك أن العهد الجديد يحتاج إلى إمكانيات واسعة فى تبليغ
الدعوة ، ونشر القرآن ، نصها المنزل ، ليكون دستوراً للحياة الإسلامية فى الدولة
الجديدة ، كذلك كانت أعمار المؤمنين تتفاوت وأكثرهم من الكبار الذين فاتهم
عهد التعلم والحفظ ، فأصبح من العسير أن يداوموا على استظهار القرآن .

والنبى فوق ذلك كله مشغول بمسئوليات هائلة فى التوجيه والتنظيم ،
والحكم ، والحرب ، والسلام ، والدعوة ، وتقرير النظم والعقائد والفتوى ،
وتلقى الوحي ، وإملائه ، ومراسلة الملوك والشعوب .

كل هذه الظروف جدت فى المجتمع ، وأحاطت بالنبى وصحابته ، وفى مثل
هذا الزحام من الناس ، ومن المشكلات ، لا تعرف الحياة الأناة ، بل من استطاع
أن يظفر بقطعة أو قطعتين من فم النبى فقد واتاه خير كثير ، وليقرأ

(١) تاريخ القرآن ، د . عبد الصبور شاهين ، ص ٤٠ ط . معهد الدراسات الإسلامية

سنة ١٩٩١ .

بقدر ما تسعفه ذاكرته ، ولهجته ، وزكاته ، فى حدود ما علمه الرسول عليه السلام » . ١٠ هـ .

وبعد هذا التمهيد الواقعى المنطقى ، يطرح د . عبد الصبور شاهين القضية فى شكل « تساؤل » ، هو مربط الفرس ، أو قل جوهر المشكلة ، أو قل بيت القصيد ، فيقول (١) :

« بقى لدينا شىء مهم فى الموضوع ، يتلخص فى أننا لاحظنا أن المختلفين (فى القراءات) ممن ذكرت الأحاديث (الأحرف السبعة) أخبرهم كانوا يعززون حروفهم المختلفة إلى إقراء الرسول إياهم . وأيد الرسول دائماً هذه الحقيقة بإقراره كلاً منهم على قراءته .

فهل كان كل وجه من الوجوه المختلفة صادراً من رسول الله ﷺ ؟ . . . ؟ وبعد أن ألقى هذا التساؤل القنبلة ، سارع من فوره - وله العذر - بالابتعاد قليلاً عن منطقة الخطر ، وإن لم ينسحب تماماً من أرض المعركة . فجاء جوابه على تساؤله الذى اعتقد أنه « تفكير بصوت عال » ، فقال :

« ليس من حقنا ، ولا فى مقدورنا أن نعطى عن ذلك إجابة محددة ، ولكن الذى يعين سياق الأحاديث (الأحرف السبعة) على القول به :

أن بعضها (القراءات) كان إقراءً منه ﷺ .

وبعضها كان إقراراً لمن أقرأه ، أو استمع إلى قراءته ، ولم يستطع أن يأتى بحروف النبى على وجه الدقة ، لاختلاف اللهجة ، وتفاوت القدرة » .

وبعد أن أورد د . شاهين رأيه (احتمالاً) ، و الذى يقضى والله أعلم بأن القراءات ليست جميعها قد نطقها الرسول ﷺ ، واحتمال أن دوره ﷺ اقتصر أحياناً على إقرارها أو الموافقة عليها أو تصويبها أو إجازتها أو تحسينها لمن عرضها عليه بعبارات وردت فى حديث الأحرف السبعة (المتواتر) من مثل :

(١) المرجع السابق : ص ٤٢ .

أحسن ، أصبت ، هكذا أنزلت وغيرها . إلا أنه يجدر التنبيه أن
د . عبد الصبور لم يشر من قريب أو من بعيد إلى أن ما يعنيه كان ينصب على
« القراءات المتواترة » ، وعلى العكس ، كان يعنى بها « القراءات الشاذة » ، وإن
لم يذكر ذلك صراحة ، وليس هذا دفاعاً عنه ، بل يؤكد استطراده لمقالته
السابقة قائلاً :

« غير أن الأمر لم يقتصر على ذلك ، وإلا كانت نتيجته هينة ، فإن
من الحروف (اختلاف القراءات) ما كان منشؤه « الرخصة العامة » ، لا سيما
ما كان بزيادة أو نقص أو إحلال كلمة فى موضع أخرى بمعناها ، إذ أن الأمر لا
يعدو أحد احتمالين :

■ إما أن النبى أقر الناس بلفظين أو مجموعة ألفاظ مختلفة مثل : (هلم -
تعال - وأقبل) ، أو لا .

والاحتمال الأول : يترتب عليه القول بقضية خطيرة أطلق عليها
المستشرقون : « نظرية القراءة بالمعنى » ، ولها آثار بعيدة المدى فى قيمة النص
القرآنى

والاحتمال الثانى يأتى :

- إما بسبب النسيان .

- أو الرغبة فى الاستمتاع بالرخصة مع التذكر . وكلا الأمرين
جائز ما دام باب التيسير مفتوحاً بل ما دامت أبواب التيسير السبعة
مفتوحة على مصاريعها « ١٠ هـ .

■ تعقيب :

إن خير تعقيب على تلك الرؤيا وهذا التصور هو ما جاء به
د . عبد الصبور شاهين بنفسه حين قال تحت عنوان « نظرة أخيرة فى
الأحرف السبعة » (١) :

(١) المرجع السابق : ص ٤٣ .

« . . . ثم هي (الأحرف السبعة) مشكلة أمام الفكر الحديث الذي يقف أمام هذا كله محاولاً حلها ، أو على الأقل : التوصل في أمرها إلى تفسير مقنع مريح .

ولعل هذا التعقيد هو الذي جعل كثيراً من المؤلفين في تاريخ القرآن يكتفون بترديد بعض الآراء المنقولة التي تزيد في حيرة من يتأملها ، وربما كان لهم عذرهم ، لأن مناقشتها لا تزيد قضايا تاريخ القرآن إلا تعقيداً ، إذ يتعين على من يتصدى لذلك أن يراجع أقوال العلماء ، وما أكثرها ، وأن ينظر في مبنى ترجيحهم ، الذي يصل أحياناً إلى حد التضارب ، ولكل منهم حجته في رفض آراء الآخرين ، وفي إثارة رأيه على آرائهم » أهـ .

* * *

وهكذا سلط لنا د . عبد الصبور الأضواء على إحدى جوانب العلاقة بين القرآن والقراءات ، بما يرجح القول بأنهما حقيقتان متغايرتان في ضوء حديث الأحرف السبعة ، المتواتر والمشكل في ذات الوقت . . . وأوضح لنا أن القراءات (بما فيها الشاذة) كان مصرحاً بها في حياة النبي ﷺ . . . وأنها بذلك كانت قرآناً - بإقرار من الرسول - إبان حياته ، وأنها لم تكن جميعها بالضرورة إقرأاً منه تماماً كما نطقها ، وأن ذلك كان مضمون رخصة التيسير على الناس بموجب حديث الأحرف السبعة ، أو على أقل تقدير أن هذا كان مفهوم بعض الصحابة للرخصة .

كما أشار أيضاً إلى أن مفهوم « الرخصة للتيسير » قد تجاوز به البعض ، من حد الضرورة (واقع اختلاف اللهجات وكبر السن وغيره) إلى حد الاستمتاع بالرخصة مع القدرة . أى تعمد النطق بلهجة مخالفة لما سمعه من النبي أو من أحد الصحابة إلى النطق بلهجته المفضلة مع أنه قادر على الأداء بما تعلم . وأشار إلى أن الرسول الكريم ﷺ قد أقر ذلك في حياته تحت ضغوط الواقع المتعددة الذي ذكر د . عبد الصبور أمثلة لها ، وبتأييد من السماء ، استجابة لنداء الرسول .

■ ويقودنا ذلك الرأي المستمد من السنة الشريفة فى أعلى مراتب إسنادها (التواتر) إلى طرح بعض التصورات الاجتهادية ، أو المحاولات التفسيرية بهدف الاقتراب من الحقيقة التى أضحت غيباً لا يعلمه إلا الله .

وليكن التصور الافتراضى كما يلى :

إن الحكمة الإلهية شاءت أن تكون العلاقة بين « المثال » - متمثلاً فى
الروحى الإلهى - و « الواقع » متمثلاً فى تعدد اللهجات ومحدودية القدرات
البشرية فى النطق والتذكر من جهة ، واختلاف الناس فى التذوق والميول من
جهة أخرى ، شاءت الحكمة الإلهية أن تكون العلاقة بينهما علاقة « تكامل » ،
و « مشاركة » ، لا أن تكون علاقة « فرض وإملاء وإلزام وإجبار » ، فتركت
للناس « مساحة محدودة للمشاركة » ، تضمن على مر الأيام ولاءهم ، وتعمق
على اتساع الرقعة انتماءهم ، فيعتز التميمى بالقرآن إذ ينطقه ببعض لهجته
اعتزاز القرشى والهدلى والأسدى وغيرهم . فالقرآن ينطق بلغاتهم جميعاً ، لذا
فهو ملكهم جميعاً ، ليس حكراً على طائفة منهم دون الأخرى ، تستأثر بهذا
الشرف وتحتكره لنفسها ، ثم تتعالى به على غيرها .

ولا أدل على ذلك من الصحابى الجليل ، وأحد أئمة القراءة الأولين ، رائد
مدرسة الكوفة للقراءات ، عبد الله بن مسعود ، إذ كان يقرأ على عهد النبى
« عتى حين » بدلاً من « حتى حين » .

وكان النبى يستمع إليه ، ويقول له : أحسنت .

والأمثلة غير ذلك بالآلاف ، سيرد ذكرها لاحقاً إن شاء الله .

وملخص التصور : أن تلك كانت مشيئة الله وإرادته ، ونهج رسوله

الكريم ، مبلغ الرسالة وحامل الأمانة ، أن يحفظ القرآن على هذه الصورة .

فإذا صدق هذا التصور ، فإن كفة الإقرار ترجح كفة الإقراء ، وإن لم
تنفيها (١) .

(١) وإلى هذا ذهب الأشاعرة (السنين) ، وألح د . عبد الصبور شاهين فى تاريخ
القرآن ، ود . محمد عمارة فى كتابه (تيارات الفكر الإسلامى) ص ٢٨٠ ط . دار الهلال ،
ومكى فى الإبانة : ص ٨١ ، ٦٣ .

■ مفهوم القراءات عند الداني وابن الجزري :

عندما اتخذ عثمان (رضى الله عنه) قراره بكتابة المصحف العثماني ، فقد أخذ في الاعتبار مراعاة المقاصد الإلهية ، والسير على الهدى النبوى ، فأمر القائمين على النسخ بأن يكتب المصحف خالياً من النقط (الشكل) والإعجام (النقط) ، وذلك حتى يستوعب - قدر الإمكان - ما كان مرخصاً به من القراءات على عهد الرسول ﷺ ولو شاء لأحكمه على قراءة واحدة . وقد أيدته في ذلك إجماع الصحابة .

يقول أبو عمرو الداني : « وإنما خلى الصدر (الصحابة) منهم المصاحف من ذلك (الإعجام بمعنى النقط) ومن الشكل ، من حيث أرادوا الدلالة على بقاء السعة في اللغات ، والفسحة في القراءات التي أذن الله تعالى لعباده في الأخذ بها ، والقراءة بما شاءت منها » (١) .

ثم يأتي ابن الجزري - معشر العشرة المتواترة - وإن لم ينكر هذه الحقيقة ، إلا أنه يحملها فوق ما تطيق ، فيقول في هذا الصدد :

« ثم إن الصحابة - رضى الله عنهم - لما كتبوا تلك المصاحف (يقصد مصاحف عثمان) جردوها من النقط والشكل ، ليحتمله ما لم يكن في العرصة الأخيرة مما صح عن النبي ﷺ . وإنما أخلوا المصاحف من النقط والشكل ، لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين » (٢) .

والفرق واضح بين اتجاهي الإمامين الجليلين ، فالداني يبدو أنه يميل إلى النظر للقراءات باعتبارها :

إذنا من الله تعالى لعباده في استعمال رخصة التيسير بالنطق بلغاتهم ولهجاتهم لألفاظ الوحي المنزل ، ثم إقرار النبي ﷺ لهم بذلك ، في حدود تم التعارف عليها على عهده .

(١) انظر تاريخ القرآن : ص ٨٩ .

(٢) النشر في القراءات العشر : ابن الجزري ، ج ١ ص ٣٣ .

أما ابن الجزرى ، فهو ينظر إلى القراءات من منظور معاكس تماماً ، ذلك أنه يعتبرها (منقولة) عن النبي ﷺ ، (مسموعة) من فمه ﷺ ، وهو بذلك يميل إلى أن جميع القراءات كانت إقرأاً من النبي وليست إقراراً منه !! .

ولا أدري ، إذا كان الأمر كذلك قد جرى به الواقع ، فأين يذهب إذن معنى « الرخصة » ، و « التيسير » ، و « التوسعة » ؟

إذا سلمنا بمفهوم ابن الجزرى هذا ، لكانت القراءات المتعددة تعسيراً وليس تيسيراً !

أى المهمتين أسهل ، نقل وحفظ القرآن بقراءة واحدة أم بعشرات القراءات ؟ ! .

وهل يعقل أن يطلب من أى عقل بشرى أن يؤمن - بالضرورة - بأن النبي ﷺ قد قرأ بنفسه كل هذا الخضم الهائل من القراءات ، فضلاً عن ذلك فالؤمنين مكلفين بحفظها جميعها - بما فيها (عتى حين) وما شابه - وأن يقر ويعترف بأن هذا كان على سبيل التيسير والرخصة والتوسعة ؟ .

إن التناقض الواضح فى خطاب الإمام العلامة ابن الجزرى لم يأت من فراغ . إن قضيته الرئيسية التى وهب لها حياته كانت فى إضفاء الشرعية الدينية على القراءات الثلاث المكملة للقراءات السبع التى جمع الناس عليها ابن مجاهد ، حتى تصبح عدد القراءات الشرعية المعترف بها عشرة بدلاً من سبعة .

ولأن هدفه كانت منصباً على محاولة « إضفاء الشرعية » على القراءات الثلاث ، فقد اضطر - لا شعورياً - إلى الارتفاع بمستوى مصداقية القراءات إلى أعلى مستوى يمكنه الوصول إليه . والتمس إلى تحقيق ذلك كل السبل ، وفى جميع الاتجاهات . وكان أخطر ما فيها اتباع سياسة « التعتيم » على كل ما لا يخدم هذا الهدف . بل وتعدى ذلك إلى الترويج لسياسة « تكميم الأفواه » لكل من تحدّث نفسه من علماء عصره بقول يخالف قوله . وسيلى ذكر الأدلة فى حينه ، وينص كلامه .

وأعتقد أننا نعيش الآن المناخ الذى صنعه « ابن الجزرى » ، نتنفس آراءه ، ونفكر بعقله ، وندور فى فلكه ، ونردد أقواله ، وإن ناقض بعضها بعضاً .

وتلخص العبارة التالية مفهوم القراءات عند ابن الجزرى ، والذى يقرر أن « القراءات نزلت من عند الله » ، فيقول (١) :

« وكل ما صح عن النبي ﷺ من ذلك (قراءات مختلفة) فقد وجب قبوله ولم يسع أحداً من الأمة رده ولزم الإيمان به وأنه كله منزل من عند الله ، إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية » ١٠ هـ .

والعبارة توضح مفهوم « القراءات » عند ابن الجزرى ، فهى :

* عن النبي . . . (أى أنه أقرأها) .

* منزلة من عند الله . . . (أى أنها وحى يوحى) .

* مثلها مثل الآيات . . . (أى أنها قرآن) .

والخلاصة : أن ابن الجزرى يرى أن « القرآن والقراءات الصحيحة » « حقيقتان متحدتان » ، وإن لم يقل ذلك صراحة ، فرفع القراءات إلى مرتبة القرآن .

وقد تابعه فى ذلك من علماء القراءات المعاصرين الدكتور سالم محيسن بطريقة مباشرة ، والدكتور شعبان إسماعيل وإن أظهر خلاف ذلك ، وكما سبق بيانه .

وفى الطرف الآخر يأتى الإمام برهان الدين الزركشى فيقرر إن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان . تابعه على ذلك القول الإمام البناء صاحب الإتحاف . ومن المعاصرين . د . نصر أبو زيد بتشدد ، ود . عبد الصبور شاهين بفطنة وكياسة ومنطق عقلانى .

والأسماء جميعها وردت على سبيل المثال لا الحصر ، لتؤكد أن معضلة

(١) النشر : ج ١ ص ٥١ .

القراءات لم تغلق ملفاتها بعد ، ذلك أنها بحكم طبيعتها تقع فى منطقة ما بين عالم الغيب وعالم الشهادة ، بين المثال والواقع .

* * *

وقبل أن نسترسل فى طرح الرأى والرأى الآخر ، فلنطرح مثلاً لاختلاف القراءات فى سورة الفاتحة ، علنا نلمس حجم القضية التى نتناولها وطبيعتها عن قرب ، وأنها ليست ببساطة مالك أو ملك يوم الدين . . . بل أكبر من ذلك بكثير .

**** مثال لاختلاف القراء فى سورة الفاتحة مما هو جزء من الأحرف السبعة (١) .**

• أولاً : ذكر اختلاف القراء السبعة المشهورين فى سورة الحمد (الفاتحة) ، مما قرأت به ، ويوافق الخط (المصحف العثمانى) :

* قرأ عاصم والكسائى : (مالك يوم الدين) بألف .

وقرأ باقى القراء : (مَلِك) بغير ألف .

* وقرأ ابن كثير فى رواية قبل عنه : (السراط) و (سراط) بالسين .

وقرأ حمزه فى رواية خلف عنه : (الصراط) بين الصاد والزأى .

وقرأ ذلك باقى القراء بالصاد خالصة .

* قرأ حمزة : (عَلَيَّهِمْ) بضم الهاء .

وكسرهما باقى القراء .

* قرأ ابن كثير والحلوانى عن قالون عن نافع : (عَلَيْهِمْ) بضم الميم ،

ويصلانها بواو فى الوصل خاصة (عَلَيْهِمُو) .

وأسكنها باقى القراء .

(١) الإبانة ، لمكى بن أبى طالب ، تحقيق د . عبد الفتاح شلبى ، دار نهضة مصر

* قرأ أبو عمرو : (الرحيم مُلْك) بالإدغام .
وباقى القراء بالإظهار .

* * *

● ثانيا : ذكر اختلاف الأئمة المشهورين غير السبعة فى سورة الحمد مما يوافق المصحف ، ويقرأ به :

- * قرأ إبراهيم بن أبى عبله : (الحمدُ لله) بضم اللام الأول .
- * وقرأ الحسن البصرى : (الحمد لله) بكسر الدال .
- * قرأ أبو صالح : (مالك يوم الدين) بآلف ، والنصب على النداء .
- وكذلك قرأ محمد بن السميع اليماني . وهى قراءة حسنة .
- * وقرأ شريح بن يزيد الحضرمي أبو حيوه : (ملك يوم الدين) بالنصب على النداء من غير ألف .
- * وقرأ على بن أبى طالب : (مَلِك يوم الدين) بنصب اللام والكاف ونصب يوم . جعله فعلاً ماضياً .
- * روى عبد الوارث عن أبى عمرو أنه قرأ : (مَلِك يوم الدين) بإسكان اللام والخفض ، ولم أقرأ بذلك له ، وهى قراءة منسوبة إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .
- * قرأ عمر بن فايد الأسوارى : (إياك نعبد وإياك نستعين) بتخفيف الياء فيهما . وقد كره ذلك بعض المتأخرين لموافقة لفظه لفظ إيا الشمس ، وهو ضياؤها !! .
- * وقرأ يحيى بن وثاب : (نِستعين) . بكسر النون ، وهى لغة مشهورة حسنة .
- * وروى الخليل بن أحمد عن ابن كثير أنه قرأ : (غيرَ المغضوب) بالنصب ، ونصبه حسن على الحال ، أو على الاستثناء ، أو على الصفة من الذين أنعمت عليهم .

* قرأ أيوب السختياني : (ولا الضالين) ، بهمزة مفتوحة فى موضع الألف وهو قليل فى كلام العرب .

وهذا كله موافق لخط المصحف ، والقراءة به من رواية عن الثقات جائزة ، لصحة وجهه فى العربية ، وموافقة الخط (المصحف) إذا صح نقله . ١٠ هـ .

** هذا وقد أورد ابن الجزرى مجموعة أخرى من القراءات ، حكمها حكم ما ذكر - ذكرها الإمام الصالح الولى أبو الفضل الرازى فى كتاب اللوامح له ، وذكرها ابن الجزرى فى كتابه النشر ص ٤٧ - ٤٩ . قال :

* (الحمد لله) بنصب الدال عن زيد بن على الحسين بن على (رضي الله عنه) .

وعن رؤبه بن العجاج وعن هارون بن موسى العتكى . ووجهها النصب على المصدر وترك فعله للشهرة .

* وعن الحسن أيضاً (الحمد لله) بفتح اللام اتباعاً لنصب الدال ، وهى لغة بعض قيس .

* وإمالة الألف من (الله) لقتيبه عن الكسائى ، ووجهها الكسرة .

* وعن أبى زيد سعيد بن أوس الأنصارى : (رب العالمين) بالرفع والنصب - وحكاها عن العرب ، ووجهه أن النعوت إذا تتابعت وكثرت جازت المخالفة بينها ، فينصب بعضها بإضمار فعل ويرفع بعضها بإضمار المبتدأ ولا يجوز أن ترجع إلى الجر بعدما انصرفت عنه إلى الرفع أو النصب .

* وعن الكسائى فى رواية سورة بن المبارك وقتيبة : (مالك يوم الدين) بالإمالة .

* وعن عاصم المجحدى : (مالك) بالرفع والألف منوناً .

ونصب (يوم الدين) بإضمار المبتدأ وإعمال مالك فى يوم .

* وعن عون بن أبى شداد العقيلي : (مالك) ، بالألف والرفع مع الإضافة ، ورفعها بإضمار المبتدأ . وهى أيضاً عن أبى هريرة وأبى حيوة وعمر بن عبد العزيز .

* وعن علي بن أبي طالب : (ملأك يوم الدين) بتشديد اللام مع الخفض .
وليس ذلك بمخالف للرسم ، بل يحتمله تقديراً ، كما تحتمله قراءة (مالك)
وعلى ذلك قراءة حمزة والكسائي (علأم الغيب) .

** وعن اليماني أيضاً : (مليك يوم الدين) بالياء ، وهي موافقة للرسم
أيضاً كتقدير الموافقة في جبريل وميكائيل بالياء والهمزة . وكقراءة
أبي عمرو (وأكون من الصالحين) بالواو .

* وعن الفضل بن محمد الرقاشي : (أياك نعبد وأياك نستعين) بفتح
الهمزة فيهما . وهي لغة . ورواها سفيان الثوري عن علي أيضاً .

* وعن أبي عمرو في رواية عبد الله بن داود الخريبي إمالة الألف منهما
(إياك نعبد وإياك نستعين) . ووجه ذلك الكسرة من قبل .

* وعن بعض أهل مكة : (نعبدُ) بإسكان الدال ، ووجهها التخفيف
كقراءة أبي عمرو (يأمرُكم) بالإسكان . وقيل إنها عندهم رأس آية فنوى
الوقف للسنة وحمل الوصل على الوقف .

*** وروى الأصمعي عن أبي عمرو : (الزراط) بالزاي الخالصة .
وجاء أيضاً عن حمزة . ووجه ذلك أن حروف الصفير يبدل بعضها من بعض .
وهي موافقة للرسم كموافقة قراءة السين .

* وعن عمر رضي الله عنه : (غيرُ المغضوب) بالرفع . أي هم غير
المغضوب ، أو أولئك .

* وعن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، ومسلم بن جندب ، وعيسى بن
عمر الثقفي البصري ، وعبد الله بن يزيد القصير : (عليهمُ) بضم الهاء
ووصل الميم بالواو .

* وعن الحسن وعمر بن فائد : (هليهمي) ، بكسر الهاء ووصل الميم
بالياء .

* وعن ابن هرمز أيضاً : (عليهمُ) بضم الهاء والميم من غير صلة .

* وعنه أيضاً : (عليهم) بكسر الهاء وضم الميم من غير صلة .
 فهذه أربعة وجوه ، وفي المشهور ثلاثة ، فتصير سبعة وكلها لغات .
 ** وذكر أبو الحسن الأخفش فيها (عليهم) ثلاث لغات أخرى ،
 لوقرىء بها لجاز وهى :

- * (عليهمى) ، بضم الهاء وكسر الميم مع الصلة .
- * و (عليهم) ، بضم الهاء وكسر الميم بغير صلة .
- * و (عليهم) ، بالكسر فيهما من غير صلة .
- ولم يختلف عن أحد منهم فى الإسكان وقفاً .
- قلت (ابن الجزرى) :

وبقى منها روايات أخرى روينها ، منها :

- * إمالة (العالمين والرحمن) ، بخلاف لقتيبة عن الكسائى .
- * إشباع الكسرة من (ملكى يوم الدين) قبل الياء حتى تصير ياء .
- * إشباع الضمة من (نعبدو وإياك) حتى تصير واواً ، رواية كردم عن نافع ورواها أيضاً الأهوازى عن ورش ولها وجه .
- * (يُعَبِّدُ) : بالياء وضمها وفتح الباء على البناء للمفعول ، قراءة الحسن (البصرى) وهى مشكلة وتوجه على الاستعارة والالتفات .

* * *

● ثالثاً : ذكر اختلاف الأئمة المشهورين غير السبعة فى سورة الحمد ،
 مما يخالف خط المصحف ، فلا يقرأ به اليوم .

** قرأ أبو هريرة : (ملك يوم الدين) بياء بين اللام والكاف ، وهو معنى حسن ، لانه بناء للمبالغة ، فهو أبلى فى الوصف والمدح من ملك ، ومن مالك .

* قرأ ابن السوار الغنوى : (هياك نعبد وهياك نستعين) ، بالهاء فى موضع الهمزة ، وهى لغة قليلة ، أكثر ما تقع فى الشعر .

*** روى الأصمعى عن أبى عمرو أنه قرأ : (الزُّراط) ، بزاي خالصة ، وهو حسن فى العربية .

* قرأ الحسن البصرى : (اهدنا صراطاً مستقيماً) منونتين من غير ألف ولام فيهما . وبذلك قرأ الضحاك . وهو معنى حسن لولا مخالفته للمصحف .

* قرأ جعفر بن محمد رضى الله عنه : (اهدنا صراط المستقيم) بإضافة الصراط إلى المستقيم ، من غير ألف ولام فى الصراط . وهو جائز فى العربية كدار الآخرة .

* قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه : (صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين) ، فجعل (من) فى موضع (الذين) ، وغير فى موضع (لا) . وهو فى المعنى حسن كالذى قرأ الجماعة فى المعنى ، وهو مروى أيضاً عن أبى بكر رضى الله عنهما .

* قرأ بن مسعود : (أرشدنا الصراط) فى موضع (اهدنا) والمعنى واحد .

* قرأ ثابت البنانى : (بصرنا الصراط) فى موضع (إهدنا) والمعنى واحد .

* قرأ ابن الزبير : (صراط من أنعمت عليهم) مثل قراءة عمر فى هذا الحرف وحده .

قال أبو محمد (مكى بن أبى طالب) (١) : « فهذا لا يجوز اليوم لأحد أن يقرأ به ، لأنه إنما نقل إلينا بخبر الواحد عن الواحد ، ولا يقطع على صحة ذلك ، ولا على غيبه ، وهو مخالف لخط المصحف الذى عليه الإجماع ، ويقطع على صحته وعلى غيبه ، فخط المصحف أولى ؛ لأنه يقين والخبر غير يقين ، فلا يحسن أن ينتقل عن اليقين إلى غير يقين .

وهذا المثال من الاختلاف الثالث هو الذى سقط العمل به من الأحرف السبعة التى نص عليها النبى ﷺ وهو الأكثر فى القرآن من الاختلاف .

ولمّا قرئ بهذه الحروف التى تخالف المصحف قبل جمع عثمان رضى الله عنه الناس على المصحف ، فبقى ذلك محفوظاً فى النقل غير معمول به عند الأكثر ، لمخالفته للخط المجمع عليه « ١٠ هـ .

* * *

وبعد ، فهذه نحو خمسون قراءة مختلفة لألفاظ سورة الفاتحة التى تقرا جهرًا وسرًا فى كل صلاة . وكلها تدخل فى إطار « الأحرف السبعة » التى رخص الرسول ﷺ للمسلمين القراءة بها بموجب حديث الأحرف السبعة المتواتر . وتعارف الصحابة على القراءة بها فى حياته دون أن تثير مشكلة حسب مفهومهم لرخصة التيسير .

فلما مات الرسول ﷺ ، اختلف الناس فيها ، وكفر بعضهم بعضاً ، مما دفع عثمان رضى الله عنه إلى تحجيمها فى إطار رسم الكلمات التى كتب بها المصحف العثماني ، والذي أمر بأن يكون خالياً من النقط والإعجام ، ليستوعب جزءاً منها فقط . وقرار عثمان هنا جاء « حلاً وسطاً » ، فلا هو ألغى رخصة الأحرف السبعة ، ولا هو ترك باب التيسير الذى جاءت به مفتوحاً على مصراعيه . فضيق بذلك من حجم الاختلاف الذى أدى إلى الفتنة ، وإن لم يحسمها تماماً . تم ذلك فى إطار مفهومه عن « الرخصة » ، بأنها اختيار لا تكليف ، فلا مانع إذن من تحديد العمل بها إذا كان فى ذلك مصلحة .

وقد اتخذ هذا القرار بإجماع الصحابة ، وعلى رأسهم على بن أبى طالب رضى الله عنه . وكانت النتيجة انخفاض عدد القراءات الموافقة لرسم المصحف العثماني - وكما وردت بالمثال - بنسبة الربع تقريباً ، إذا استبعدنا البند (ثالثاً) ، لتصل إلى نحو أربعين قراءة .

ولكن . . . هل تعتبر هذه النتيجة مرضية ؟

هل قراءة الفاتحة بنحو أربعين قراءة مختلفة - وقس على هذا باقى القرآن - كافٍ لدرء فتنة الاختلاف فى كلام الله ؟ .

لم يحسم هذا الأمر سوى ابن مجاهد وبعد ثلاثمائة سنة من الهجرة ،

حين اتخذ خطوة رائعة ، لم يخالفه عليها أحد حتى يومنا هذا ، فاصطفى -
بعد دراسة عميقة - سبعة من أئمة القراءات ، شهد لهم الجميع بالثقة ، وذاعت
فى الأمصار قراءتهم . فاعتبر قراءتهم « مقبولة » ، وقراءة غيرهم « شاذة » .
ووضع بذلك مصفاة أخرى إلى جانب مصفاة عثمان رضى الله عنه - فمصفاة
ابن مجاهد هى « صحة السند » ، أما مصفاة عثمان رضى الله عنه فكانت
« رسم المصحف » . ثم أضاف ابن مجاهد فى كتابه السبعة مصفاة ثالثة هى
موافقة القراءة للغة العربية ، فأكمل بذلك الأصول الثلاثة لقبول أى قراءة .
وهكذا انخفض عدد القراءات - من واقع مثال سورة الفاتحة - إلى حوالى
العشرة ، بعد أن كانت نحو خمسين . ثم جاء ابن الجزرى بعد حوالى
خمسائة عام ليضيف إلى قراء ابن مجاهد السبعة ، ثلاثة قراء ، ليصبح بذلك
« معشر العشرة . . . المتواترة » . وما عداها « شاذ » .

وقبل أن نعرض لمفهوم « التواتر » ، و « الصحيح » و « الشاذ » دعنا نطرح
نموذجاً من الأحاديث التى وردت بها قراءتين فقط من القراءات المتواترة
الصحيحة للأئمة القراء العشرة ، لكلمة واحدة فى سورة الفاتحة ، هى كلمة :
ملك / مالك .

* * *

ورد في كتاب المصاحف ،

لأبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني (١)

باب ما روى عن رسول الله ﷺ (٢)

من القرآن فهو كمصحفه

فاتحة الكتاب

* حدثنا عبد الله ، حدثنا جعفر بن مسافر أبو صالح الهذلي ، حدثنا أيوب بن سويد ، حدثنا يونس بن يزيد ، عن الزهري ، عن أنس أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يقرأون : (مالك يوم الدين) .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا أحمد بن يونس ، حدثنا أبو الربيع ، حدثنا هشيم قال : أخبرنا مخير ، عن الزهري عن سالم ، عن أبيه أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يقرأون : (مالك يوم الدين) .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا هشيم قال أخبرني مخير ، عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يقرأون : (مالك يوم الدين) .

قال أبو بكر : هذا عندنا وهم ! والصواب رواية أبي الربيع وغيره عن هشيم ، وكل من رواه عن الزهري متصلاً وغير متصل (فمالك) ، إلا رجل واحد فإنه قال : (ملك) .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا الحسين بن علي بن مهران قال : حدثنا إبراهيم

(١) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

(٢) المرجع السابق : ص ١٠٣ حتى ص ١٠٦ .

ابن سليمان الزيات قال، حدثنا بحر عن الزهري، عن أبي سلمه، عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ : (مالك يوم الدين) .

* حدثنا عبد الله، حدثنا عبد الله بن سعيد، حدثنا ابن يمان، عن معمر، عن الزهري أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان قرأوا : (مالك يوم الدين) وأول من قرأها (ملك) مروان .

* حدثنا عبد الله، حدثنا محمد بن عرفة، حدثنا حفص بن عمر، حدثنا الكسائي، عن أبي بكر، عن سليمان التيمي، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب والبراء بن عازب قالا : قرأ رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر : (مالك يوم الدين) .

[قال أبو بكر : هذا عندنا وهم وإنما هو سليمان بن أرقم] .

* حدثنا عبد الله، حدثنا يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود، حدثنا عمران القطان، عن طلحة بن عبيد الله بن كريب الخزاعي، عن الزهري أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يقرأون : (مالك يوم الدين) .

* حدثنا عبد الله، حدثنا عمر بن شبّه، حدثنا محبوب، حدثنا عباد، عن طلحة بن عبيد الله بن أبي كنده، عن الزهري أن النبي ﷺ كان يقرأ : (مالك يوم الدين) وأبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وأبي بن كعب وابن مسعود ومعاذ بن جبل رضى الله عنهم .

* حدثنا عبد الله، حدثنا أبو عبد الرحمن الأذرمي، حدثنا عبد الوهاب، عن عدي بن الفضل، عن أبي مطرف، عن ابن شهاب أنه بلغه أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وابنه يزيد بن معاوية كانوا يقرأون : (مالك يوم الدين) .

قال ابن شهاب : وأول من أحدث : (ملك) مروان .

* حدثنا عبد الله، حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي، حدثنا عثمان بن زفر، حدثنا أبو إسحاق الحميس، عن مالك بن دينار، عن أنس قال : صليت

خلف النبي ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، عليهم السلام كلهم
كان يقرأ : (مالك يوم الدين) .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا محمد بن غالب (لعل الصواب ابن أبي
غالب) ، حدثنا يحيى بن إسماعيل ، حدثنا قبيصة ، حدثنا سفيان ، عن
الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قرأ : (مالك يوم
الدين) .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا عبد الله بن سعيد ، حدثنا أبو أسامة ، عن
سفيان ، عن الأعمش بهذا موقوفاً .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا أحمد بن محمد بن الحسين ، حدثنا خلاد ،
حدثنا سفيان بهذا موقوفاً .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا يعقوب بن سفيان ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا
سفيان بهذا موقوفاً .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا محمد بن غالب (بن أبي غالب) ، حدثنا
يحيى بن إسماعيل ، حدثنا ابن فضيل ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي
هريرة عن النبي ﷺ أنه قرأ : (ملك) أو قال (مالك) .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمس ، حدثنا
ابن فضيل ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة أنه كان يقرأ :
(مالك) .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا هشام بن يونس ، حدثنا حفص يعني ابن غياث ،
عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن أم سلمة قالت قام رسول الله ﷺ من
الليل ؛ فقرأ الحمد لله فقطعها وقرأ : (ملك يوم الدين) .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا شعيب بن أيوب ، حدثنا يحيى بن آدم ،
حدثنا حفص بن غياث ، عن ابن جريج ، عن ابن أبي مليكة ، عن بعض أزواج
النبي ﷺ ، نظنها أم سلمة ، قالت كان رسول الله ﷺ إذا قرأ قال : (الحمد لله
رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين) يقطع قراءته ، قال قلت لحفص
قرأ (ملك يوم الدين) ؟ فقال هكذا قال .

* حدثنا عبد الله قال : سمعت أبي يقول فى هذا الحديث إنما هو الحديث فى تقطيع القراءة والترسل فيها ، وأما قوله (ملك) فىقال إنها قراءة ابن جريج لا أنه رواها عن ابن أبى مليكة .

* حدثنا عبد الله ، حدثنا شعيب بن أيوب ، حدثنا يحيى قال : قال الكسائى قراءتهم ، يعنى أهل مكة (ملك) (١) ، إنما روى هذا الحديث لتقطيع القراءة ولا أدرى ما قولهم (ملك) .

قال ابن أبى داود ، ومما يدل على أنه كما قال أبى وكما قال الكسائى أن نافع بن عمر روى هذا الحديث عن ابن أبى مليكة فقال : (مالك) .

* حدثنا على بن حرب ، حدثنا العباس بن سليمان ، حدثنا نافع بن عمر ، عن ابن أبى مليكة عن بعض أزواج النبى ﷺ أن النبى ﷺ قرأ : (مالك يوم الدين) .

* * *

تعقيب : قد يتسرع القارئ الآن فىميل إلى قراءة (مالك) ، التى لم يقرأ بها غير اثنين فقط من القراء السبعة هما عاصم والكسائى .

ولكن من أدراك بباقى الروايات ؟ فإن سألت أين هى ؟ أتاك جوابى : لا أدرى .

لقد عكفت على هذا الكتاب سنوات عديدة ، أجمع فيها مادته ، ولم أعر على مرجع واحد - باستثناء كتاب المصاحف للسجستانى - يتحدث عن الروايات التى تدعم ما اختلف من القراءات .

والكتاب يتوجه ببناء إلى علماء القراءات المعاصرين بإرشاده إلى هذه النوعية من المراجع إن كانوا يعرفون لها طريقاً . فإن لم يكن ، فلماذا يسكتون عن ذكر هذه الحقيقة فى كل كتاباتهم ؟ .

(١) لعله يقصد (مالك) - المؤلف .

ويبدو أن الرد على هذا النداء ، لن يخرج عما ذكره الشيخ البنا الدمياطى صاحب الإتحاف على من سبقونا إليه ، حين قال (١) :

« (فإن قيل) : الأسانيد إلى الأئمة وأسانيدهم إليه ﷺ على ما فى كتب القراءات آحاد لا تبلغ عدد التواتر ، (أجيب) : بأن انحصار الأسانيد المذكورة فى طائفة لا يمنع مجيء القراءات عن غيرهم .

وإنما نسبت القراءات إليهم لتصديقهم لضبط الحروف وحفظ شيوخهم فيها ومع كل واحد منهم فى طبقته ما يبلغها عدد التواتر » ١٠ . هـ .

* * *

(١) إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر : البنا الدمياطى ص ٧ .

الفصل الثاني

علامات في تاريخ القراءات

- الاختلاف على مقاييس القراءة المقبولة .
- المصحف الإمام سنة ٣٠ هـ .
- القراء السبعة سنة ٣٠٠ هـ .
- القراء العشرة سنة ٨٠٠ هـ .
- أعتقد . . وأرجح . . ولا أدري .

● ابن الجزرى ، واشتراط التواتر :

● يقول ابن الجزرى (١) :

« نقول : كل قراءة وافقت العربية مطلقاً .
ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديرًا
وتواتر نقلها .
هذه القراءة المتواترة المقطوع بها » .

وابن الجزرى هنا لم يضيف جديدًا لأركان القراءة المقبولة عما كان عليه من سبقوه من أمثال أبى عمرو الدانى ومكى بن أبى طالب . إلا أنه اشترط « تواتر النقل » بدلا من « صحة السند » ، ثم تراجع فيه فيما بعد .

والمعايير الثلاثة بالرغم من تميزها وقبول الأمة بها وبما أسفرت عنه من نتائج ، إلا أنها جميعا مقاييس مرنة تقبل بعض الاختلاف بشأنها .

فمقياس اللغة يخضع لعوامل كثيرة بما فيها التذوق ، وهو مقياس ذاتى .
ومن هذا الباب دخل الخلاف بين النحويين والقراء .

وقد ساهم فى هذا أن كلمة (مطلقاً) كانت تعنى : ولو بوجه من الإعراب ، كما ذكر ابن الجزرى (٢) . وقد امتلأت مكتبة القراءات التراثية بالعديد من الأسفار التى قلبت وجوه الإعراب لكل قراءة .

ونقد بعض النحويين قراءات متواترة لمشاهير القراء السبع ، مثل ابن عامر قارئ الشام من السبعة ، وأبى جعفر من العشرة . وهب علماء القراءات للدفاع عن القراءات ، وقالوا إنها الأصح لأنها وردت بالرواية ، وأنها تعلو على النحو وتهيمن عليه ، مما لا يتسع المجال لذكره فى هذا المقام (٣) .

(١) منجد المقرئين ومرشد الطالبين : لابن الجزرى ، ص ١٥ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق : ص ١٥ .

(٣) راجع من قضايا اللغة والنحو فى كتاب النشر لابن الجزرى، د. فؤاد السيد الخطاب .

أما مقياس موافقة المصاحف العثمانية ولو تقديراً ، فقد جاءت كلمة (ولو) تقديراً (لتلعب نفس الدور الذى لعبته كلمة (ولو بوجه) عند الحديث عن موافقة العربية . ذلك أنها فتحت الباب للاختلاف ، حتى بين أئمة علماء القراءات بعضهم البعض .

مثال ذلك : الخلاف بين ابن الجزرى ومكى بن أبى طالب فى قراءة (الزراط) فى سورة الفاتحة ، حيث أدخلها مكى تحت البند (ثالثاً) مما يخالف خط المصحف فلا يقرأ به ، فى حين أوردها ابن الجزرى تحت البند (ثانياً) حكمها حكم ما يوافق المصحف ويقرأ به ، وقال ابن الجزرى فى توجيه تلك القراءة : « ووجه ذلك أن حروف الصغير يبدل بعضها من بعض ، وهى موافقة للرسم كموافقة قراءة السين » (١) . والأمثلة غيره كثير ، على الاختلافات فى الآراء التى تسبب فيها « الخط » أو « الرسم » الذى كتبت به المصاحف . ولنؤجل الحديث عنها الآن أيضاً ، لنصل إلى الركن أو الشرط أو الأصل الثالث وهو « التواتر » .

قال ابن الجزرى مستكملاً حديثه السابق : « ونعنى بالتواتر ما رواه جماعة عن جماعة كذا إلى منتهاه ، يفيد العلم :

— من غير تعيين عدد . . هذا هو الصحيح .

— وقيل بالتعيين واختلفوا فيه ، فقليل ستة وقيل اثنا عشر وقيل عشرون وقيل أربعون وقيل سبعون .

وبعد أن فرغ ابن الجزرى من ذكر الأركان الثلاثة ، ووضح معنى كل كلمة فيها وما يقصده بها بدقة ، قال :

« والذى جمع فى زماننا هذه الأركان الثلاثة هو قراءة الأئمة العشرة التى أجمع الناس على تلقيها بالقبول وهم : أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى وخلف ، أخذها الخلف عن

(١) راجع مثال سورة الفاتحة .

السلف إلى أن وصلت إلى زماننا كما سنوضح ذلك . فقراءة أحدهم كقراءة
الباقيين في كونها مقطوعاً بها كما سيجيء » . .

ثم قال : « لا يوجد اليوم قراءة متواترة وراء العشر . . . » ١٠ هـ .

* ولنتوقف قليلاً عند هذا الحد لنستعيد كلمات بعينها ، لم يكتبها الإمام
ابن الجزرى اعتباطاً ، بل كان فيها ملتزماً غاية الدقة ، فلا يجب أن نمر عليها مر
الكرام ، وهى فيما يختص بوصف القراءات العشر بالتواتر ، الذى اعتبره ركناً
من أركان القراءة المقبولة .

لقد وصف ابن الجزرى قراءة الأئمة العشرة بأنها متواترة ، بل وأكد أنه لا
يوجد قراءة متواترة ، وراء العشر .

إلا أن ابن الجزرى سرعان ما تراجع عن تصريحه هذا حين قال (١) : « إن
خبير الواحد العدل الضابط إذا حفته القرائن ، يفيد العلم ، ونحن ما ندعى
التواتر فى كل فرد مما انفرد به بعض الرواة أو اختص ببعض الطرق ، لا يدعى
ذلك إلا جاهل لا يعرف ما التواتر ، وإنما المقروء به عن القراء العشرة على
قسمين :

١ - متواتر .

٢ - صحيح . . . مستفاض . . . متلقى بالقبول .

والقطع حاصل بهما » ١٠ هـ .

والصحيح الذى يذكر ابن الجزرى أنه يدخل فى بعض مفردات قراءة الأئمة
العشرة هو خبر آحاد ، حفته القرائن من كل جانب ، وتلقته الأمة بالقبول ،
ولهذا فيمكن أن « يلحق بالقراءة المتواترة وإن لم يبلغ مبلغها » (٢) . على حد
تعبير ابن الجزرى بنفسه .

ويقول أيضاً فى نفس المعنى : « فإن قلت قد وجدنا فى الكتب المشهورة

(٢) المنجد : ص ١٦ .

(١) المنجد : ص ٢٠ .

الملتقاة بالقبول تبايناً فى بعض الاصول والفرش كما فى الشاطبية ، نحو قراءة ابن ذكوان (تتبعان) بتخفيف النون ، وقراءة هشام (أفئدة) بياء بعد الهمزة ، وكقراءة قبل (على سوجه) بواو بعد الهمزة ، وغير ذلك من التسهيلات والإمالات التى لا توجد فى غيرها من الكتب إلا فى كتاب أو اثنين . وهذا لا يثبت به تواتر .

قلت (ابن الجزرى) :

هذا وشبهه ، وإن لم يبلغ مبلغ التواتر ، صحيح مقطوع به ، نعتقد أنه من القرآن ، وأنه من الأحرف السبعة التى نزل القرآن بها .

والعدل الضابط إذا انفرد بشئ تحتمله العربية والرسم واستفاض وتلقى بالقبول ؛ قطع به ، وحصل به العلم « ١ هـ .

* أما الإمام مكى بن أبى طالب (٣٥٥ - ٤٣٧ هـ) فلم يذكر لفظ « التواتر » عند حديثه عن أركان القراءة المقبولة ، فقال فى الإبانة ^(١) : « قسم يقرأ به اليوم : وذلك ما اجتمعت فيه ثلاث خلال ، وهى :

١ - أن ينقل عن الثقات إلى النبى ﷺ .

٢ - ويكون وجهه فى العربية التى نزل بها القرآن شائعاً .

٣ - ويكون موافقاً لخط المصحف .

فإن اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاثة قرئ به ، وقطع على مغيبه وصحته وصدقه ؛ لأنه أخذ عن إجماع من جهة موافقته لخط المصحف وكفر من جحد « ١ هـ .

وما يهمنى الآن هو صياغة مكى للبند الأول الذى يشير إلى سند القراءة المقبولة ، والفرق بين صياغته لها ، وصياغة ابن الجزرى . فنلاحظ أن مكى لم

يستخدم لفظ « التواتر » ، ولكن اكتفى بقوله : إن ينقل عن الثقات إلى النبي ﷺ .

واعتبر ذلك « مقطوع به » ، وسكوته عن ذكر هذا الوصف « التواتر » قد جنبه الحرج الذى واجه ابن الجزرى حين استخدم لفظ التواتر ثم اضطر للتراجع عنه فالحق به لفظ « الصحيح المستفاض المتلقى بالقبول . . . » وذكر أن القطع حاصل بهما (سوياً) ، وأقر أن رتبة هذا الصحيح لا تبلغ مبلغ القراءة المتواترة ، ولكن تلحق بها .

فهذا ما أردنا التنبيه إليه .

إلا أن الغريب حقاً هو إصرار ابن الجزرى على استخدام لفظ « التواتر » على إطلاقه ليكون علماً على القراءات السبعة المعروفة ؛ حتى إذا نجح مسعاه فى إلحاق الثلاث المكملة لها - وهو هدفه الذى وهب نفسه لتحقيقه - أصبح لقب « المتواترة » علماً على القراءات العشر . وقد نجح فى مهمته بالفعل ، ولكنه نجاح لا يقاس بنجاح ابن مجاهد « مسبع السبعة » . لقد سارع إلى قاضى القضاة فى زمانه ، ولم يزل به حتى استكتبه فتوى بأن القراءات العشر متواترة ، ومعلومة من الدين بالضرورة ، ويكفر من يقول بغير ذلك . وفيما يلى نص طلب الفتوى الذى كتبه ابن الجزرى إلى الشيخ الإمام قاضى القضاة عبد الوهاب السبكي ، بعد حوار وجدل بينهما ، أقنع فيه ابن الجزرى الشيخ ابن السبكي بإضفاء شرعية « التواتر » على القراءات الثلاث لتصبح السبعة المتواترة ، عشرة متواترة .

* نص طلب الفتوى :

« ما تقول السادة العلماء أئمة الدين وهداة المسلمين رضى الله عنهم أجمعين فى القراءات العشر التى يقرأ بها اليوم .

هل هى متواترة ، أو غير متواترة ؟

وهل كل ما انفرد به واحد من الأئمة العشرة بحرف من الحروف متواتر

أم لا ؟ ؟

وإذا كانت متواترة ، فماذا يجب على من جردها ، أو حرفاً منها ؟ أفتونا
مأجورين رضى الله عنكم أجمعين » (١) .

* وجاء نص الفتوى (٢) :

« القراءات العشر : السبع التى اقتصر عليها الشاطبى ، والثلاث التى هى
قراءة أبى جعفر وقراءة يعقوب وقراءة خلف :
متواترة ، معلومة من الدين بالضرورة .

وكل حرف انفرد به واحد من العشر :
متواتر معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول الله ﷺ لا
يكابر فى ذلك إلا جاهل .

وليس التواتر فى شىء منها مقصوراً على من قرأ بالروايات ، بل هى
متواترة عند كل مسلم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول
الله ، ولو كان مع ذلك عامياً جلفاً لا يحفظ من القرآن حرفاً . ولهذا تقرير طويل
وبرهان عريض لا تسع هذه الورقة شرحه . وحظ كل مسلم وحقه أن يدين الله
تعالى ويجزم نفسه بأن ما ذكرناه متواتر معلوم باليقين لا تتطرق الظنون ولا
الارتياح إلى شىء منه والله تعالى أعلم .

كتبه عبد الوهاب السبكي الشافعى

* * *

(١) منجد المقرئين : ابن الجزرى ص ٥١ .

(٢) المرجع السابق : ص ٥١ .

والآن ، حان الوقت لنستعرض سوياً ، وباختصار ، قصة المحطات الثلاث الرئيسية في تاريخ القرآن والقراءات ، والتي شهدت كل منها تحولاً ملموساً في الاتجاه ، حتى وصلنا إلى المرحلة الحالية .

والمحطة الأولى : هي « المصحف العثماني ... المجمع عليه » ، والبطولة فيها لعثمان بن عفان ، وقام بدور المعارض عبد الله بن مسعود .

والمحطة الثانية : هي « السبعة الأشهر » ، والبطولة لابن مجاهد .

والمعارضون : ابن شنبوذ ، وابن مقسم العطار .

والمحطة الثالثة : هي إعلان « العشر المتواترة » والبطولة لابن الجزرى .

والمعارضون : ابن الحاجب ، وأبو شامة .

* * *

** المصحف الإمام . . . والإجماع :

* مقدمة :

جاء فى البند ثالثا ذكر اختلاف الأئمة المشهورين غير السبعة فى سورة الحمد (الفاتحة) مما يخالف خط المصحف . ونذكر هنا بعضها على سبيل التذكر :

- قرأ ابن مسعود : (أرشدنا الصراط المستقيم) فى موضع (اهدنا) ، والمعنى واحد .

- قرأ ثابت البنانى : (بصرنا الصراط) فى موضع (اهدنا) ، والمعنى واحد .

- قرأ ابن الزبير : (صراط من أنعمت عليهم) مثل قراءة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى هذا الحرف وحده .

قال مكى بن أبى طالب فى إبانته (١) معقبا :

« قلت : وهذا الاختلاف الذى يخالف خط المصحف (العثمانى) وما جاء منه مما هو زيادة على خط المصحف ، أو نقصان من خط المصحف ، وتبديل لخط المصحف - وذلك كثير جداً - هو الذى سمع حذيفة فى المغازى ، وسمع رد الناس بعضهم على بعض ، ونكير بعضهم لبعض ، فجراه ذلك على إعلام عثمان رضى الله عنه ، وهو (هذا النوع من الاختلاف فى القراءة) الذى حدا عثمان على جمع الناس على مصحف واحد ؛ ليزول ذلك الاختلاف فافهمه » ١٠ هـ .

ويقول د . شوقى ضيف (٢) : « . . . ومضى الناس يقرءون القرآن ويقرء بعضهم بعضاً بالحروف التى تلقوها عن الرسول ﷺ أو الحفظة المتقنين

(١) ص ١٢٦ .

(٢) كتاب السبعة فى القراءات : لابن مجاهد ، تحقيق د . شوقى ضيف ط ٣ ، دار

المعارف ص ١٠ .

من الصحابة . وكان هؤلاء الحفظة يختلفون فى بعض الأداء حسب سماعهم من الرسول ﷺ . وتفرق المسلمون فى الأمصار مع الفتوح ، فآخذ هذا الخلاف فى الأداء يشتد ، حتى إذا كانت سنة ثلاثين من الهجرة اجتمع فى غزوة أذربيجان وأرمينية أهل الشام وأهل العراق ، واستمع بعضهم إلى بعض وهم يتلون الذكر الحكيم فلاحظوا جميعاً وجوهاً من الخلاف ، وتنازعوا حتى كاد يكفر بعضهم بعضاً .

وكان حذيفة بن اليمان معهم فهاله هذا الخلاف وخشى تفاقمه فركب إلى عثمان ، وقال له : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى . وأبلغه خلاف الناس فى القراءة . وفزع عثمان لذلك فزعاً شديداً . ثم أرسل ترواً إلى السيدة حفصة أن أرسلى إلينا بصحف القرآن ننسخها ، ثم نردها إليك ، فأرسلتها إليه . فأمر زيد بن ثابت أن ينسخها فى المصاحف ، وضم إليه عبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وقال لهم إذا اختلفتم فى شىء فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم .

وكتبوا ثمانية مصاحف ، وجه منها بمصحف إلى البصرة ، وبثان إلى الكوفة ، وبثالث إلى الشام ، وبرابع إلى مكة ، وبخامس إلى اليمن ، وبسادس إلى البحرين ، وترك مصحفاً بالمدينة ، وأمسك لنفسه مصحفاً سُمى باسم « الإمام » .

وأمر بإحراق ما عدا هذه المصاحف ، فأحرقت مصاحف لبعض كبار الصحابة على نحو ما هو معروف من حرق مصحف أبى بن كعب وعبد الله بن مسعود ، حتى لا يدع فرصة لأى خلاف ممكن . وأمر المقرئين فى كل الأمصار أن يتمسكوا بتلك المصاحف وأن يقرئوا الناس على حروفها . وأطاعته الأمة وأجمعت على ما تضمنته نسخ مصحفه مهملة ما خالفها من إبدال كلمة بأخرى ، مما قد يكون تسمح فيه بعض الصحابة ، أو روى عن آحاد ، فلا يعتد به أى اعتداد . كما لا يعتد بما أدخله ابن مسعود فى مصحفه من زيادات لغرض تفسير بعض الكلمات ، وقد أمر عثمان بإحراقه كما أسلفنا .

* أحاديث وردت في كراهية عبد الله بن مسعود ذلك (١) :

- حدثنا عبد الله قال : حدثنا شعيب بن أيوب ، حدثنا يحيى بن آدم قال : حدثنا عمرو بن ثابت قال : حدثنا حبيب بن أبي ثابت عن أبي الشعثاء قال : كنا جلوساً في المسجد وعبد الله (بن مسعود) يقرأ ، فجاء حذيفة فقال : قراءة ابن أم عبيد (يعنى ابن مسعود) وقراءة أبي موسى الأشعري ، والله إن بقيت حتى أتى أمير المؤمنين (يعنى عثمان) لأمرته بجعلها قراءة واحدة .

قال : فغضب عبد الله (بن مسعود) فقال لحذيفة كلمة شديدة ، قال : فسكت حذيفة .

- حدثنا عبد الله قال : حدثنا أحمد بن منصور بن سيار قال : حدثنا قبيصة قال : حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن حميد بن مالك قال : قال عبد الله (بن مسعود) لقد قرأت من في (فم) رسول الله ﷺ سبعين سورة ، وإن لزيد ابن ثابت ذؤابتين يلعب مع الصبيان .

- حدثنا عبد الله قال : حدثنا محمد بن عبد الوهاب الدعلجى : حدثنا أيوب بن مسلمة : حدثنا أبو شهاب ، عن أبي وائل ، عن عبد الله (بن مسعود) قال : قرأ (ابن مسعود) : ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٢) ، غلوا مصاحفكم ، فكيف تأمروني أقرأ قراءة زيد ، ولقد قرأت من في (فم) رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة ولزيد ذؤابتان يلعب بين الصبيان .

- حدثنا عبد الله قال : حدثنا محمد بن بشار قال : حدثنا عبد الرحمن قال : حدثنا إبراهيم بن سعد عن الزهري قال : وأخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف فقال : يا معشر المسلمين ، أعزل عن نسخ (كتابة) المصاحف وتولاها رجل والله لقد أسلمت وأنه لفي صلب أبيه كافراً (يريد زيد بن ثابت) .

(١) كتاب المصاحف للسجستاني ، ص ٢٠ - ٢٥ .

(٢) آل عمران : ١٦١ .

وكذلك قال عبد الله : يا أهل الكوفة (أو يا أهل العراق) اكنتموا المصاحف التي عندكم وغلوها فإن الله يقول : ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ فalcوا الله بالمصاحف .

* واكتفى بهذا القدر من الأحاديث - فهي كثير - وأنبه على أنها أفادتنا بأن ابن مسعود قد تزعم حملة لمعارضة قرار عثمان بكتابة المصحف الإمام دون أن يستعين به ، وأنه قد تعمد إثارة الرأي العام حين طالب الناس بعدم الانصياع لقرار عثمان ، وبأن يحتفظ كل منهم بمصحفه الذي أقرأهم به على حرفه .

إلا أنه من المعروف أن ابن مسعود قد تراجع عن موقفه هذا فيما بعد ، وبعد أن اطمأن إلى صواب القرار ، وبعد أن استيقن من إجماع الصحابة وعلى رأسهم على بن أبي طالب (رضى الله عنه) على هذا القرار . فانصاع له فى النهاية .

* دور المصحف العثمانى فى القراءات :

وهكذا جاء « المصحف العثمانى » ليضع حداً لمرحلة ويبدأ مرحلة جديدة فى تاريخ القرآن والقراءات .

فقد ضيق المصحف العثمانى من إطار استخدام رخصة الأحرف السبعة والتي كانت مفتوحة على مصراعيها من قبل . وصفى إلى الأبد من القرآن كل القراءات التى لم يثبت على سبيل القطع واليقين أنها من القرآن على حد تعبير ابن الجزرى إذ قال (١) : « وأجمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف (العثمانية) وترك ما خالفها من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى مما كان مأذوناً فيه توسعة عليهم ولم يثبت عندهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن » ١٠ هـ .

وجدير بالذكر أن ابن مسعود قد سجل له التاريخ هذا الموقف المعارض فى

(١) النشر : ج ١ ص ٧ .

البداية لأنه أعلنه بوضوح وجاهر به ، وإن تراجع عنه فى النهاية . إلا أن القراءات من هذا النوع كانت قد شاعت وبصورة أضخم عند أبى كعب من ناحية الكيف وعند ابن عباس من جهة الكيف والكم معاً ، وهو ما سنعرض له فى حينه بتفصيل أكبر .

والآن يمكن القول بأن المصحف العثمانى جاء ليجسد هيكلاً للألفاظ التى نزل بها الوحي ، ونطق بها الرسول ﷺ ، فى صورة مكتوبة ، محفوظة على الورق ، مجمعة فى كتاب واحد ، مجمع على صحة نسبته إلى الرسول ﷺ ، فكان بهذا إماماً ومرجعاً يقاس عليه القراءات عند اختلافها ، فإن وافقت رسمه ، وإلا فتعتبر شاذة عن الإجماع الذى تحقق له .

كانت هذه نبذة سريعة عن نشأة الركن الأول من أركان القراءة المقطوع بها وهو مقياس « رسم المصحف العثمانى الإمام » ، الذى وضع سنة ٣٠ هـ ، بمشاركة من رجل الشارع الذى شكّل تواتره ، فقد كان محفوظاً فى الصدور ، وبلجنة من كتاب الوحي من الصحابة الأجلاء ، وبمعزل عن المتعصبين لآرائهم وإن كانوا على علم من أمثال ابن مسعود ، وبمباركة وتأييد من كبار الصحابة القريبين من الأحداث المعاصرين لكل التطورات ممن يطلق عليهم اليوم « النخبة الاستراتيجية » القريبة من مركز صنع القرار والمساهمة فيه مثل على بن أبى طالب رضى الله عنه .

* المصحف العثمانى وعبقورية « إجماع الرأى العام » :

فإذا أطلقنا على تلك الخطوة وصف « عبقورية التفكير الإسلامى » . فإننا لا تكون قد وفيناها حقها . فمثل تلك اللحظات من تاريخ العقل الإسلامى هى ما نفتقر إليه اليوم حقاً .

وقد استوقف نظرى العبارة السابقة لابن الجزرى والتى تكشف عن عبقورية غير مسبوقه اتسم بها تفكير هذا الإمام الجليل الذى لا نبالغ إن قلنا أنه -وبحق- جمع فأوعى .

إن ما فهمناه من نص تلك العبارة أن « المصحف الإمام » كان خطوة

عبقرية للأخذ بيد « القراءات » والاقتراب بها نحو « القرآن » ، بهدف تضيق الفجوة التى نشأت عن المبالغة فى استخدام رخصة التيسير بموجب حديث الأحرف السبعة .

إن عبارة ابن الجزرى : « ولم يثبت عندهم ثبوتاً مستفيضاً أنه من القرآن » لهى خير دليل على أنه كان على يقين من أن « القرآن والقراءات » كانا حقيقتان متغايرتان فى فترة ما قبل « المصحف العثمانى الإمام » .

كما أن عبارته : « وأجمعت الأمة المعصومة من الخطأ » على ترك ما كان مأذوناً فيه توسعة عليهم ، لا يعتبر مدحاً ولا تعصباً للعقل الإسلامى الجمعى ، بقدر ما هو تعبير علمى دقيق ، شديد الموضوعية عن تقديره لعبقرية التفكير الإسلامى فى إدارة الأزمات وتقليص الفجوة بين « المثال » و « الواقع » ، بين « القرآن » و « القراءات » .

إن العقل الجمعى للأمة الإسلامية لم يكن عقلاً تابعاً عند تناوله لتلك الازمة ، بل كان عقلاً ناقداً مبصراً من جهة ، ومبتكراً وفاعلاً من جهة أخرى . إنه كان يصنع الحدث ، ثم يتابعه بالرصد والتقييم ، فإذا سارت الأمور على ما يرام ، وإلا فإنه يلتقط عشرات التطبيقات بحس مرهف ، فإن تداعت الأمور حتى وصلت إلى حد يشكل ظاهرة أو ينبىء بأزمة أو فتنة ، سارع من فوره لابتكار « الحل الأنسب والأمثل » ، ولا يقف عند هذا الحد بل ويشارك فى التطبيق ، ولا يتوقف لحظة عن التعبير عن تقييمه لكل خطوة ، إما بالتأييد وإما بالمعارضة ، وحتى يعبر الازمة .

إن إجماع « رأى العام المسلم » على المصحف الإمام لم يكن فى حقيقته نوعاً من التهليل والتكبير لقرار علوى اتخذه خليفة المسلمين ، ولم يكن باى حال انصياعاً لقرار علوى هبط عليه ممن يملك السلطة والقوة رضوخاً واستسلاماً للأمر الواقع ، ولكنه كان بمثابة احتفالية جماعية بالنجاح الذى صنعوه هم بأنفسهم ولأنفسهم بتنازلهم طوعية عن رخصة كانت ممنوحة لهم .

إن الإجماع على المصحف الإمام لم يكن « إجماع النخبة » ،
أو الصفوة ، بل كان إجماعاً « للرأى العام » للأمة الإسلامية . إنه صوت
الجماهير التى وحدها القرآن ، لا فرق بين عربى وأصبهانى ورومى ، ولا أبيض ولا
أسود ولا أصفر .

إن السبب الجوهري فى هذا الإجماع العبقري كان يرجع فى حقيقة الأمر
إلى شعور « الولاء » للقرآن الكريم ، هذا الولاء الذى لم يكن ليبلغ هذه الدرجة
من التمكن فى « عقل وقلب » كل مسلم لولا رخصة « الأحرف السبعة » التى
جعلت القرآن هبة الله للجميع .

إن الحكمة العليا فى الترخيص للناس - بشتى انتماءاتهم - بقراءة القرآن
بقدر ما تسعفهم به لهجاتهم ، ثم التسامح الكبير - غير المتوقع ولا المفهوم فى
حينها - من النبى ﷺ للاستمتاع بهذه الرخصة فى العامين الأخيرين من عمر
الرسالة المحمدية بعد أن كان الجميع يقرأ بقراءة واحدة ، هذا السلوك البالغ
الحكمة ، البعيد المدى هو ما ولد الشعور « بالولاء » تجاه القرآن فى نفس كل
مسلم ، حتى أصبح القرآن عنده أعز عليه من نفسه وماله وولده . حتى إذا
جاءت لحظة الخطر سنة ٣٠ هـ ، سارع الناس بالتنازل عن الرخصة
طائعين مختارين فى سبيل الحفاظ على هوية القرآن والذى أصبح هوية لكل فرد
منهم .

فليكن هذا درساً فى فن القيادة لكل من كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو
شاهد . ليكون درساً لمن يبحثون عن سر انهيار الأمة الإسلامية والعربية على حد
سواء . إن إحياء الولاء للقرآن فى نفس كل مسلم فى كافة أنحاء المعمورة هو
الحل . إن الولاء هو ثمرة المشاركة . والولاء عطاء ، فلا عطاء بدون ولاء ، حتى
لو كان الأمر يتعلق بكلام الله وقرآنه ، ذلك أن النبى الذى يبشر به بشر يعيش بين
بشر على الأرض ويتكلم بلغتهم ويمشى فى الأسواق ويتزوج النساء ويمرض
ويشفي ويلقى فى النهاية قدره المحتوم « الموت » ، « من كان يعبد محمداً ، فإن
محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله ، فإن الله حي لا يموت » (١) .

(١) قالها أبو بكر الصديق إثر وفاة النبى ﷺ .

ولكن الرسالة لا تموت . والقرآن - كلام الله - هو علم على تلك الرسالة المحمدية وهدية الله إلى العالمين ، فكان لازماً أن يكون كلاماً واقعياً ينطقه الناس بلغتهم السائدة بينهم ، وهى العربية المبينة ، وبلهجاتهم أيضاً على تعددها وتنوعها واختلافها وهو ما جعله قطعة من النسيج الثقافى لهم جميعاً - على الأقل فى مرحلته الأولى ، وحتى يتمكن من صدورهم ويستولى على ألبابهم ، وهو صلب ما أدت إليه رخصة الأحرف السبعة العبقريّة البالغة الحكمة .

* المصحف العثماني - نقلة حضارية كبرى :

تبقى نقطة أخيرة فى « المصحف الإمام » تكشف عن عبقرية هذا القرار الإجماعى لأمة القرآن .

لقد كان « المصحف العثماني الإمام » أول كتاب عربى إسلامى . . . فلم يسبق للعرب أن استخدموا الكتاب كوسيلة للتداول ونشر الفكر فى الثقافة العربية ، اللهم إلا ما ذكر عن بعض المعلقات التى دونت فى صحائف وتم تعليقها على أستار الكعبة ، وكان ذلك فى العصر الجاهلى ، ولكنها لم تكن فى شكل كتاب .

من هنا كان قرار نسخ وتدوين القرآن وجمعه فى شكل كتاب ، هو « المصحف العثماني » ، خطوة رائدة ومبتكرة للانتقال بالثقافة العربية الشفاهية إلى ثقافة التدوين والكتابة ، وهى خطوة عبقرية بكل المقاييس ، إذ سرعان ماتلاها خطوات وخطوات فى ابتكار وتطوير شكل الحروف فى الكتابة ، ووضع النقط لتمييز الحروف (الباء ، والتاء ، والثاء . . . وغيرها) وهو ما يطلق عليه « الإعجام » ، ثم وضع علامات الشكل مثل (الفتحة والكسرة ، والشدة ، والتنوين وغيرها) ، تم أتبع بوضع قواعد وأصول النحو والإعراب ، وكله مما نعيش عليه الآن ، ونرتع فى نعيمه .

حقاً ، لقد كان « المصحف الإمام » بداية حقيقية لتطور الحضارة الإسلامية التى قادت العالم ، ومازالت تقوده نحو الجنة ، وترحزحه بعيداً عن النار ، ومن زحزح عن النار فقد فاز .

والخلاصة :

أن لحظة ميلاد « المصحف العثماني للإمام » كانت :

* خطوة نحو تقليص الفجوة بين حقيقة القرآن وحقيقة القراءات اقتربت فيها القراءات بخطى واسعة في اتجاه القرآن .

* أن اقتراب القراءات من القرآن جاء بتنازل اختياري من البشر عن جزء من الرخصة التي كانت أتيحت لهم يوماً ما بموجب حديث « الأحرف السبعة » .

* أن هذا التنازل الطوعي جاء إثر تفوق النزعة المثالية لدى المسلمين على حساب النزعة الواقعية ، وكان هذا « التغيير في الاتجاه » من التفكير الواقعي إلى التفكير المثالي علماً على ميلاد سمة أصيلة في التفكير الإسلامي حتى يومنا هذا ، وهي سمة « أولوية التفكير المثالي » . وهو تغيير جذري وأصيل ، حيث أتى طواعية واختياراً .

* إن هذا التغيير في اتجاه التفكير لدى العقل الجمعي المسلم جاء على صورة عطاء ، حيث تنازل طوعاً عن بعض حقوقه في سبيل تحقيق المصلحة العليا . وهو عكس « التفكير النفعي البراجماتي » الذي أتت به « الفلسفة النفعية البراجماتية » التي اتخذت من الإسلام عدوها الاستراتيجي ، والتي تقوم على « الأخذ » لا العطاء وعلى قيم الأنانية الضيقة وإن تجملت بمعسول الكلام .

فالإسلام يراهن على « التضحية في سبيل المبادئ » ، والبراجماتية تراهن على « شهوة التملك الغريزية » ، ومن هنا فالصدام حتمي بين أهل القرآن وأهل اللذة .

* إن « المصحف الإمام » جاء تعبيراً عن ميلاد الحضارة الإسلامية التي انضوى تحت لوائها الأبيض والأسود والأحمر والأصفر ، العربي والرومي والفارسي والأعجمي ، يعيشون ويتعايشون « في ظلال القرآن » ، حيث شارك الجميع في حفظه .

* أن « المصحف الإمام » جاء درساً بليغاً فى نظام الحكم « بالشورى » ،
وتعبيراً عن توحد الحاكم والمحكوم حول رمز واحد .

وهو ما تسعى الحضارة الغربية الغازية للتجمل به تحت اسم « الديمقراطية » ،
وتباهى به الأمم اليوم ، بعد أن جهلت أو تجاهلت أن الريادة فيه والابتكار والسبق
كان لأمة القرآن ، يوم أجمعت هذه الأمة المعصومة من الخطأ على
المصحف الإمام ، وبأسلوب مثالى ، كاد البشر فيه أن يكونوا ملائكة تمشى فى
الأرض .

* أن المصحف الإمام كان مصفاة ، حجرت خلف ثقوبها من القراءات
ما شذ عن ألفاظ القرآن ، بالزيادة أو بالنقص أو بالتبديل أو على سبيل التفسير ،
مما دخل على القرآن بموجب رخصة التيسير وبموجب فهم بعض الصحابة لحدود
هذه الرخصة ، ومباغتهم فى استخدامها ، بدرجات .

* إن المصحف الإمام كان سبباً فى دخول كلمة « شواذ القراءات » فى
قاموسنا الإسلامى ، حيث أطلق لفظ « الشاذ » على كل قراءة لا توافق « رسم
الكلمات » كما جاءت بالمصاحف العثمانية .

* أن المصحف العثمانى جاء مقياساً ومرجعاً وإماماً ، يختبر على رسم
الفاظه المكتوبة كل قراءة منطوقة متلوة ، فإن وافقت الرسم - ولو تقديراً - وإلا
فهى إما شاذة أو مكذوبة .

* إن الشاذ بالمفهوم السابق ، إن كان عن رواية وإسناد ، كان ينظر إليه
باعتباره « قراءة » أكثر من كونه « قرآناً » ، وقد اختلفوا فى كونه قرآناً من
عدمه (١) على الحقيقة ، مما سبب ذكر أقوالهم فيه .

والقراءة الشاذة التى خالفت خط المصحف الذى عليه الإجماع ، لا يجوز
لأحد أن يقرأ بها أو يتعبد بتلاوتها أو يصلى بها لأنها :

(١) يرى د . عبد الفتاح شلى أنه « لا يحكم بقرآنيته » ، راجع كتابه المدخل
والتمهيد فى علم القراءات والتجويد : ص ٢٣ .

- آحاد فى السند ، أى نقلت إلينا بخبر الواحد عن الواحد ، ولم ترد متواترة ، جماعة عن جماعة .

- أن خبر الواحد أو الآحاد غير يقينى الثبوت ، فلا يصح أن يؤخذ به . قرآن ، لأنه لا يقطع على صحته ومغيبه .

- أن القراءة الشاذة بمخالفتها خط المصحف ، إنما تكون قد خرجت عن « الإجماع » الذى انعقد له ، والذى يقطع على صحته وعلى غيبه . فهو يقين ، أما الخبر أو الآحاد الذى أتى بالقراءة الشاذة فهو خبر غير يقين . ولا يحسن أن ينتقل عن اليقين إلى غير يقين .

- إن القراءة الشاذة التى خالفت خط المصحف تنحصر علاقتها بالقرآن فى كونها كان مسموحاً بها فى عهد الرسول ﷺ فى إطار رخصة الأحرف السبعة ، إلا أنه سقط العمل بها بموجب « الإجماع » على مصحف عثمان .

- والخلاصة فى تعريف القراءة الشاذة أنها أصناف يهملها الآن صنفان :

الأول : آحاد غير متواترة « وردت بخبر الواحد عن الواحد وليس الجماعة عن الجماعة » .

الثانى : شاذة غير مجمع عليها « بموجب خروجها على خط المصحف المجمع عليه » .

وتوصف القراءة بالشذوذ إذا توافر فيها الوصفان السابقان مجتمعين أو منفردين - إلا أن دور « المصحف الإمام » قد تركز على غربلة الصنف الثانى من القراءات مما خالف خطه الذى كتب به فى المقام الأول .

ومن هنا كان خط المصحف هو أول مقياس تاريخى لصحة القراءات فى تاريخ القرآن والقراءات القرآنية .

* إن المصحف الإمام هو أول كتاب فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، وبه انتقلت تلك الحضارة من مرحلة « الثقافة الشفاهية » إلى مرحلة « الثقافة المدونة » . وكان هذا إيذاناً « بانفجار المعرفة الإسلامية » وحتى يوم الدين ، أو قل هو طفرة فى تاريخ الإنسانية جمعاء .

* أن الفكرة الجوهرية التى تمحور حولها المصحف العثمانى كانت الإجماع .

**** القراءات السبع . . . الأشهر (١) :**

*** تكاثر القراءات بعد المصحف الإمام :**

علمنا فيما سبق أن خط المصحف العثماني جاء خالياً من النقط (تشكيل الحروف كالفتحة والكسرة والضممة . . . إلخ) والإعجام (النقط التي تلحق بالحروف المتشابهة في الرسم لتمييزها عن بعضها ، مثل تمييز الباء عن التاء عن الثاء . . . وهكذا) .

وذكرنا أيضاً أن خلو خط المصحف من النقط والإعجام كان على الأغلب - متعمداً - على الأقل من ناحية الإعجام ، ذلك أنه قد ثبت أن الإعجام كان معروفاً ومستخدمًا في الكتابة العربية قبل كتابة المصحف العثماني ، مما لن نتوسع في مناقشة صحته حالياً .

أما الشكل فلم يكن مستخدماً في تلك الأيام ، ولكن تم ابتكاره فيما بعد بهدف ضبط المصاحف .

وعرفنا أيضاً أن خط المصحف الإمام جاء خالياً من النقط والإعجام ، إما للأسباب المذكورة ، أو - وهو الأرجح - لكي يتسع لأكثر من قراءة واحدة لنفس الكلمة على شرط الالتزام برسمها ، وأن تكون القراءة مما كان مسموحاً به بموجب رخصة التيسير .

وعلى سبيل المثال كلمة : فتبينوا ، رسمت هكذا في المصحف العثماني لأنها تحتل القراءتين : فتبينوا ، وفتثبتوا سوياً . أي أنه يمكن تلاوتها بالأولى أو بالثانية .

وهكذا سمح خط المصحف للاختلاف في القراءات ، في حدود رسم الكلمة المكتوبة ، واعتبر ما خالف الرسم هو الشاذ .

وقد كان التعويل في ذلك على أن القرآن محفوظ في الصدور ، قبل أن يحفظه كونه مكتوباً في مصحف . وأن القراءة الصحيحة لن تكون أي نطق محتمل لخط المصحف ، بل لابد أن تكون رواية عن رسول الله ﷺ .

إلا أن هذا التصور كان متفائلاً على ما يبدو .

فقد دارت الأيام ، وكثر المقرئين والقراء والحفاظ والرواة حتى بلغت عدداً كبيراً فاق الحصر ، مما بشر بقرب حدوث أزمة أخرى في تاريخ القرآن ، وإن كانت مختلفة في طبيعتها عن تلك التي كانت سبباً في كتابة المصحف على عهد عثمان .

يقول ابن مجاهد في كتابه السبعة (١) :

« كذلك ما روى من الآثار في حروف القرآن ، منها المعرب السائر ، الواضح ، ومنها المعرب الواضح غير السائر ، ومنها اللغة الشاذة القليلة (الانتشار) ، ومنها الضعيف المعنى في الإعراب غير أنه قد قرئ به ، ومنها ما توهم فيه فغلط به - فهو لحن غير جائز - عند من لا يبصر من العربية إلا اليسير ، ومنها اللحن الخفى الذى لا يعرفه إلا العالم التحرير ، وبكل قد جاءت الآثار في القراءات .

والقراءة التى عليها الناس بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام هى القراءة التى تلقوها عن أوليهم تلقياً ، وقام بها فى كل مصر من هذه الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين ، أجمعت الخاصة والعامة على قراءته وسلكوا فيها طريقه وتمسكوا بمذهبه » ١٠ هـ .

ويشرح ذلك د . شوقي ضيف فى مقدمته لكتاب السبعة فيقول (٢) :

« رأينا فيما مضى أن القراءات أخذت تتكاثر ، حتى وصل بها أبو عبيد القاسم بن سلام نحو ثلاثين قراءة ، وتوسع فيها - فيما بعد - بعض القراء ، حتى وصل بها إلى نحو خمسين قراءة .

وأوشك ذلك أن يكون باباً لدخول شىء من الاضطراب على السنة القراء ، وكان منهم المتقن كما يذكر ابن مجاهد فى تقديمه للكتاب ، ومنهم غير المتقن الذى يعتريه النسيان .

(٢) السبعة : ص ٢٠ .

(١) ص ٤٩ .

وزادت الطامة بما كان بعض القراء يرويه - مثل ابن شنبوذ - عن مصحفى أبى (بن كعب) وابن مسعود ، وما كان آخرون مثل ابن مقسم العطار يستنبطونه بعقولهم من احتمالات القراءة لخط المصحف العثمانى مما جعل الحاجة تشتد إلى شيخ من شيوخ القراء النابهين ، يضع الأصول والأركان لقبول القراءات من جهة ، وليختار طائفة نابهة من القراء يكتفى بها عمن سواهم حتى تستطيع عقول أوساط القراء أن تتمثلهم وتستوعبهم .

فاجتهد (ابن مجاهد) للأمة والدين وقرآنه العظيم ، وبالحق فى اجتهاده ، حتى استصفى سبعة من أئمة القراء فى أمصار خمسة ، هى أهم الأمصار التى حملت عنها القراءات فى العالم الإسلامى ، وهى المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام ، واختار من المدينة نافعاً ومن مكة ابن كثير ومن الكوفة عاصماً وحمزة والكسائى ومن البصرة أبا عمرو بن العلاء ومن الشام عبد الله بن عامر » ١٠ هـ .

ويحدثنا الدكتور عبد الفتاح شلبى (١) تحت عنوان ، ما بعد عهد عثمان فى العصرين الثانى ، والثالث حتى ابن مجاهد ، فيقول :

« ٠٠ ثم إن الرواة عن الأئمة (الصحابة) من القراء كانوا فى العصر الثانى والثالث كثيراً فى العدد ، (حتى بلغ من كان يجلس فى حلقة أبى الدرداء بدمشق ألفاً وستمائة) (٢) ؛ كما كانوا كثيراً فى الاختلاف (٣) ، فأراد الناس فى العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التى توافق المصحف على ما يسهل حفظه ، وتنضبط القراءة به ، فأفردوا من كل مصر وجه إليه عثمان مصحفاً - إماماً مشهوراً بالضبط والأمانة فى النقل ، توافق قراءته مصحف ذلك المصر فكان :

أبو عمرو من أهل البصرة .

(١) المدخل والتمهيد فى علم القراءات والتجويد ، د . عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، الفيصلية - مكة المكرمة ص ٤ .

(٢) معرفة القراء الكبار للذهبي : ص ٣٨ .

(٣) الإبانة : ص ٨٦ .

وحزمة وعاصم والكسائي من أهل الكوفة .

وابن كثير من أهل مكة .

وابن عامر من أهل الشام .

ونافع من أهل المدينة .

وأول من اقتصر على هؤلاء أبو بكر بن مجاهد قبل سنة ثلاثمائة أو في

نحوها وتابعه في ذلك من أتى ، إلى الآن « ١٠ هـ .

* أزمة القراءات على عصر ابن مجاهد سنة ٣٠٠ هـ :

بعد نسخ المصحف الإمام سنة ٣٠ هـ ، وحتى سنة ٣٠٠ هـ فإن قضية

القراءات قد تطورت في اتجاه جديد ، نتج في نهاية الأمر عن ظاهرة سلبية وصلت

لحد الأزمة مما كان يستلزم وقفة ، وتفكيراً ، وقراراً ، وإجماعاً جديداً ، بهدف

تصحيح المسار .

ومن العبارات السابقة يمكن تلخيص تطور الظاهرة فيما يلي :

١ - تكاثر القراءات حتى وصلت إلى نحو خمسين قراءة .

٢ - تكاثر القراء حتى بلغ ألوفاً مؤلفة .

وقد شكل ذلك صعوبة بالغة على المقرئين والقراء والحفاظ في الاستيعاب .

٣ - تكاثر الاختلاف في القراءات ، حتى تبلور في اتجاهين رئيسيين شكلا

العمود الفقري للأزمة :

(١) اتجاه قديم : تزعم إحياءه من جديد « ابن شنبوذ » ، حيث أراد

العودة بالقراءات إلى مرحلة ما قبل المصحف العثماني الإمام ، فكان يقرئ الناس

بما ورد في المصاحف القديمة من مصاحف الصحابة ابن مسعود وأبي بن كعب ،

بما خرج عن خط المصحف العثماني خارجاً بذلك عن الإجماع الذي انعقد

للمصحف الإمام ، ومثيراً فتنة قديمة مضى عليها نحو ثلاثمائة عام ، وابن شنبوذ

بهذا كان قد التزم بالرواية - وإن كانت آحاداً ، ولم يلتزم برسم المصحف .

(ب) اتجاه جديد : خطير للغاية تزعمه ابن مقسم العطار ، الذي كان

يستنبط بعقله قراءات دون أن يخرج عن رسم الحروف وخط المصحف العثماني . أى أنه كان على العكس من ابن شنبوذ ، يلتزم بالمصحف الإمام ، ولا يلتزم بالرواية .

٤ - انتشر بين حملة القرآن على عهد ابن مجاهد أصنافاً منهم (١) :

- من مثله كمثّل الأعرابي الذي يقرأ بلغته (لهجته) ولا يقدر على تحويل لسانه ، فهو مطبوع على كلامه .

- من يحفظ ، ولا علم له بالإعراب ، فلا يلبث أن ينسى ما حفظه لشدة تشابهه وكثرة فتحه وضمه وكسره .

- من له علم بالنحو والإعراب واللغة ، ولا علم له بالقراءات والآثار ، فرمما دعاه ذلك إلى أن يقرأ بحرف جائز فى العربية لم يقرأ به أحد من الماضين ، فيكون بذلك مبتدعاً (مثل ابن مقسم العطار) .

- ومنهم المدلس (تدليس إسناد أو تدليس شيوخ) .

- ومنهم المعرب العالم بوجوه الإعراب والقراءات العارف باللغات ومعانى الكلمات البصير بعيب القراءات المنتقد للآثار ، فذلك الإمام الذى يفرع إليه حفاظ القرآن فى كل مصر من أمصار المسلمين (٢) .

* دور ابن مجاهد :

* من هنا ، تصدى ابن مجاهد (رحمه الله) لمواجهة هذه الإشكالية ، وبعبرية مشهودة ، توصل إلى حل لها ، أجمع المسلمين حتى يومنا هذا على تأييده والاعتراف به ، حيث :

* استوعب كل ما وصل إليه من تراث القراءات والقراء .

* قارن بينها جميعاً ، مستخدماً عقله الناقد التحليلي .

(١) السبعة لابن مجاهد : ص ٤٥ ، بتصرف .

(٢) السبعة : ص ٤٥ وما بعدها .

* وضع أركان القراءة المقبولة فكانت ثلاثة : مطابقة خط المصحف ، وصحة السند ، وموافقة العربية ولو بوجه .

* اتخذ الخطوات العملية لطرح الأركان الثلاثة على الراى العام لتحصل على شرعيتها بأن :

١ - عقد محاكمة « لابن شنبوذ » بعد أن أثار عليه الراى العام ، بحضور القضاة والفقهاء والقراء سنة ٣٢٣ هـ ، حتى أعلن توبته .

وما أشبه ابن شنبوذ هنا بابن مسعود على عهد عثمان . وبذلك أقر - أو أعاد إقرار - الركن الأول وهو خط المصحف العثماني .

٢ - عقد محاكمة مشابهة لابن مقسم العطار - الذى كان يقرأ من عند نفسه ، مع المحافظة على إطار رسم الحروف كما هى فى المصحف الإمام ، وهى بدعة خطيرة مفادها « إهدار السند » . فاعلن توبته هو الآخر .

فكان ذلك إعلاناً للراى العام على اعتماد الركن الثانى للقراءة المقبولة وهو صحة السند .

٣ - قام ابن مجاهد فى كتابه السبعة برد بعض القراءات المروية لأنها لا توافق العربية ، وبذلك يكون قد وضع الركن الثالث للقراءة المقبولة .

* حدد عدد القراءات التى ينوى اعتمادها بسبعة ، تيمناً بعثمان حين أرسل سبع نسخ من مصحفه الإمام للأمصار .

* حدد الأمصار التى سيختار منها القراء السبعة بقراءاتهم المعتمدة ، فجعلها هى نفس الأمصار التى أرسل عثمان نسخ المصحف الإمام إليها ، بعد أن استثنى منهم اليمن والبحرين حين لم يجد فيها من القراء من تحلى بالمواصفات التى حددها للقارىء كما يريده .

فكانت الأمصار هى : المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام .

* حدد الموصفات التى ينبغى توافرها فى القراء الذين ينوى الاختيار من بينهم وهم كثر ، فكانت أن يكون مشهوراً ^(١) :

بالثقة والأمانة وحسن الدين وكمال العلم ، وإن يكون قد طال عمره واشتهر أمره ، وأجمع أهل مصره على عدالته فيما نقل ، وثقته فيما قرأ وروى وعلمه بما يقرأ فلم تخرج قراءته عن خط مصحفهم المنسوب إليهم .

* حدد أسماء الأئمة القراء السبعة على ضوء ما سبق ، وقد سبق ذكرهم .

* يقول مكى : « وأول من اقتصر على هؤلاء : أبو بكر بن مجاهد قبل سنة ثلاثمائة أو فى نحوها (سنة ٢٩٠ هـ) ^(٢) ، وتابعه على ذلك من أتى بعده إلى الآن .

ولم تترك القراءة بقراءة غيرهم ، واختيار من أتى بعدهم إلى الآن » ^(٣) .

* * *

**** فلسفة ابن مجاهد فى اختيار القراء السبعة :**

إن القيمة الأصيلة التى استند عليها ابن مجاهد عند اختياره للقراء السبعة كانت تكمن جوهرياً فى إحساسه المرهف لنبض الجماهير فيما يطلق عليه حديثاً « اتجاهات الراى العام » .

من هنا جاءت اختيار ابن مجاهد لقرائه السبعة تعبيراً صادقاً عن نبض الراى العام .

ومن هنا أيضاً ، كتب لاختياره « الخلد » ، حيث لم تترك قراءة أى منهم إلى قراءة غيرهم إلى الآن وإلى أن يشاء الله .

(١) الإبانة : ص ٨٦ .

(٢) الاختيار .

(٣) توفى مكى سنة ٤٣٧ هـ .

وللرأى العام أكثر من خمسين تعريفاً (١) ، إلا أن علماء اتفقوا على أنه :

- يمثل مجموعة من آراء جمع كبير من الأفراد .
 - يتعلق بالمسائل الخلافية ، لا بالحقائق .
 - يتعلق بمسائل تحوذ على اهتمام الناس .
 - قوة حقيقية شأنه شأن الريح ، له ضغط لا تراه ولكنه ذو ثقل عظيم ، وهو كالريح لا تمسك بها ولكنك تحنى لها الرأس وتطيع .
- ولقد تجلت عبقرية ابن مجاهد فى إحساسه المرفه بمدى ثقل هذه القوة الخطيرة ، وساعده تجرده لخدمة الحق ، وصدقه مع نفسه ، واستعلائه على تحقيق مجد شخصى ، ساعده كل ذلك إلى جانب ما تمتع به من قدرات عقلية متميزة ، وعقل ناقد ثاقب ، وبصيرة نافذة على أن يهتدى إلى « مفتاح الحل » وسط هذا الخضم المتلاطم .

وفى وقت تعددت فيه القراءات حتى وصلت لنحو خمسين قراءة ، مما كان يشكل خطراً كبيراً على مسيرة القرآن ، واتجهت جهود كل عالم إلى أن يكون « صاحب قراءة » يتميز بها عن غيره ويدخل بها التاريخ من أوسع أبوابه ، اتجه ابن مجاهد اتجاهًا معاكسًا تمامًا ، فجاء الفتح على يديه .

يقول د . شوقي ضيف (٢) :

« ومن طريف ما يروى عنه (ابن مجاهد) أن بعض تلاميذه ممن بهرتهم سعة روايته للقراءات وعلمه بوجوهها وضبط حروفها قال له :

لم لا تختار لنفسك قراءة تحمل عنك ؟

فقال (ابن مجاهد) :

نحن إلى أن نعمل أنفسنا فى حفظ ما مضى عليه أئمتنا أحوج منا إلى اختيار حرف يقرأ به من بعدنا » .

(١) الرأى العام ، طبيعته وتكوينه وقياسه ودوره فى السياسة العامة ، د . أحمد بدر وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط ٣ ص ٥١ ، وما بعدها .

(٢) السبعة : ص ٢٤ .

ويعلق د . شوقي ضيف على ذلك قائلاً : فهو قد وهب نفسه للوقوف على القراءات وتمثلها واستيعابها ، ولم يفكر فى أن ينفرد لنفسه بقراءة يشتهر بها وتعرف به ، ولو فكر لاستطاع فى يسر أن يتميز بقراءة يختارها من قراءات الأئمة ، وليكن مثلاً نافع أساسها ثم يتركه إلى حروف يختارها من لدن قراء آخرين يخالفه فيها ، وبذلك يصبح صاحب قراءة منفردة متميزة ، ولكن لم تكن هذه وجهته « ١٠ هـ .

ورجل مثل ابن مجاهد لابد أن يأتى الحق على يديه ، وقد حدث . لأن ابن مجاهد لم يكن يجاهد لنفسه ، بل كان يجاهد فى الله ، فصدق فيه وعد الله ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (١) .

وهذاه الله إلى الحق فى مناخ فقد فيه الجميع الرؤية حيث تكاثرت القراءات والقراء حتى أصبح المسلم مثله كمثل من يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، أمواج من القراء من فوقها أمواج من القراء ، من فوقهم سحاب من القراءات ، حتى كاد « القرآن » يضيع فى خضم « القراءات » .

والتقط ابن مجاهد طوق النجاة . . . الذى كان « القراءة التى عليها الناس » .

* ابن مجاهد وعبقريّة التناغم مع اتجاهات الرأى العام :

بعد أن استوعب ابن مجاهد تراث القراءات كاملاً ، وبعد أن غاص بعقله التحليلى فى أعماق كل قراءة ، وبعد أن أعمل فكره الناقد فى كل مفردة منها وردت عن كل راوٍ ، وبعد أن ألم بالاختلافات فى خط المصاحف العثمانية التى نسخها عثمان من مصحفه الإمام وبعث بها إلى الأمصار ، وبعد أن تبلور لديه مذهب كل قارئ فى قراءته فرشاً وأصولاً ، وبعد أن اكتمل لديه تصور عن أركان القراءة المقبولة التى تميزها عن غيرها مما أطلق عليها « شاذة » وهى موافقة الخط وموافقة العربية وصحة السند ؛ بعد أن فعل كل هذا ، لم يبق أمامه سوى

(١) العنكبوت : ٦٩ .

أن يعثر على ضالته المنشودة ، وهى القراءات التى تجتمع فيها تلك الأركان الثلاثة أكثر من غيرها ، وفوجئ ساعته بأنها القراءات التى التف حولها الناس حين انفضوا عن غيرها ، وكان ما توصل إليه ابن مجاهد بعد جهد جهيد كانت « أمة القرآن » قد توصلت إليه من عشرات السنين ، وعبرت عن هذا الاتجاه لديها بسلوك فعلى وهو الالتفاف حول هذا القارئ والإعراض عن آخر ، وبدرجات متفاوتة .

من هنا ، حدث التناغم العبقري بين تفكير ابن مجاهد وبين تفكير العوام ، والذى نسميه « اتجاه رأى العام » ، فابصر ما لم يبصره غيره ، فالتقط القراءات السبعة من بين الخمسين بصفتها أنها كانت الأكثر شيوعاً وشهرة بين الناس والعوام ، وأنها هى التى التف الناس حولها بفطرتهم التى فطرهم الله عليها ، فالتقى « حدس الجماهير » « بدرس العلماء » على كلمة سواء ، كتب لها الخلد .

وليس هذا الكلام من زخرف القول ، ولا هو مدح وثناء على العقل الإسلامى بدون دليل ، فليس لهذا الغرض بذلت جهدى فى سبيل إخراج هذا الكتاب إلى النور . كما أنه ليس أيضاً ترديداً لما ذكره أحد من السابقين أو المعاصرين على ضوء ما فهمه أو استوعبه ، بل إن الدليل والبرهان يأتى من كلام ابن مجاهد بنصه ، وكما ورد فى كتابه السبعة ، وباستقرائه وصلنا إلى هذه النتيجة .

يقول ابن مجاهد فى مقدمة كتابه « السبعة » :

« وحملة القرآن متفاضلون فى حملة ، ولنقله الحروف منازل فى نقل حروفه ، وأنا ذاكر منازلهم ودال على الأئمة منهم ، ومخبر عن القراءة التى عليها الناس بالحجاز والعراق والشام » (١) .

فبين هنا أن الأئمة من القراء هم أصحاب القراءة التى عليها الناس .

(١) السبعة : ص ٤٥ .

ثم قال مؤكداً على فكرته :

« فمن حملة القرآن المعرب العالم بوجوه الإعراب والقراءات العارف باللغات ومعانى الكلمات البصير بعيب القراءات المنتقد للآثار ، فذلك الإمام الذى يفرع إليه حفاظ القرآن فى كل مصر من أمصار المسلمين » (١) .

فاكد هنا على أن الحفاظ كانوا ينتقون لأنفسهم من بين القراء على كثرتهم من كانت لديه القدرة على أن يوفر لقراءته ركن صحة السند ، وموافقة العربية . وكان ابن مجاهد بهذه الكلمات المكتوبة بحروف من نور الصدق وإنكار الذات ينسب للناس وضع معايير القراءة الصحيحة بدلاً من أن ينسبها لنفسه فيشتهر بها .

ويقول ابن مجاهد أيضاً مؤكداً على أن اختياره لم يكن سوى اختيار الناس ، الخاصة منهم والعامّة على حدٍ سواء :

« والقراءة التى عليها الناس بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام هى القراءة التى تلقوها عن أوليهم تلقياً ، وقام بها فى كل مصر من هذه الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين ، أجمعت الخاصة / والعامّة على قراءته وسلكوا فيها طريقه ، وتمسكوا بمذهبه » (٢) .

وعملاً بالقول الماثور : وبضدها تتضح الأمور ، يكشف لنا ابن مجاهد عن أن اختيار الناس لم يكن مجرد تبعية أو تقليداً أو انسياقاً أعمى ، بل كان انتقاءً واعياً وبصيرة نافذة جعلتهم ينصرفون عن بعض القراء ، وإن ذاع عنه أنه قد روى وحفظ .

يقول ابن مجاهد :

« وأما الآثار التى رويت فى الحروف (القراءات المختلفة) فكالآثار التى

(١) السبعة : ص ٤٥ .

(٢) المرجع السابق : ص ٤٩ .

رويت فى الأحكام منها المجتمع عليه السائر المعروف ، ومنها المتروك المكروه عند الناس المعيب من أخذ به ، وإن كان قد روى وحفظ ، (١) .

وهكذا كان يرى ابن مجاهد رأى العام الإسلامى على مدى ثلاثمائة سنة ، كائناً حياً يتمتع بعقل ناقد يميز الصحيح من المعيب ، فيتحرك وجدانه السوى فيحب الصحيح ويكره المعيب ، ثم ينتقل من مرحلة الحب والكره إلى مرحلة السلوك والفعل ، فيلتفت حول الصحيح ، ويترك المعيب الذى كرهه ، وأن رأى العام بهذا كان مثله كمثّل الإنسان الرشيد السوى صحيح العقل والمشاعر والسلوك ، مؤمن كيس فطن لا تغرّه - فى كلام الله - أية دعاية أو ترويج لقراءة لم يطمئن إليها ، وإن أتى بها من روى وحفظ .

ويشهد الله ، والتاريخ أن أمة محمد بموقفها هذا من القرآن والقراءات قد ضربت المثل - وبحق - على أنها كانت خير أمة أخرجت للناس ، وصدق فيهم ظن الله ، فأنعم بهم .

* * *

* * سبعة ابن المجاهد . . . أئمة القراءة باختيار الناس :

نوالى الحديث عن المقياس الذى اطمأن إليه ابن مجاهد عند اختياره لقرائه السبعة ، ونؤكد أن هذا المقياس كان فى المقام الأول هو اشتهاره عند الناس العامة منهم والخاصة ، والتفافهم حوله وتلقيهم منه وانصرافهم عن غيره من معاصريه ، وإن كانوا شيوخه الذين أخذ عنهم القراءة ولا يزالون أحياء يرزقون . فلم يكن مقياس « الأقدمية » يشكل باى حال أى وزن أو اعتبار عند الناس . كما لم يكن التحيز لعرق أو عصب أو جنس أو لون أية قيمة أيضاً ، حيث أننا سنجد فى سبعة ابن مجاهد الأسود والأبيض ، والعربى والأصبهاني (الفارسي) ، والحر والمولى ، والأعمى والبصير ، والميسور والفقير ، والبشوش المتواضع والمترفع العزيز بنفسه حتى تكاد تدخله خيلاء ، كما سنجد بينهم المدنى والمكى

(١) السابق : ص ٤٨ .

والشامى والبصرى والكوفى . وقد وضع الراى العام الرشيد لجمهور المسلمين كل هذه الاعتبارات فى حجمها الطبيعى ، ولم يعرها أى التفات حين انصرف بكل همه نحو التماس القراءة المقبولة ، حتى إذا وجدها عند أى منهم التف حوله ورفع بها ذكره ، ونقط بها مصاحفه ، وحفظها ورددها وتلاها حق تلاوتها ، ولم يفته أن ينتقد منها ما رآه غير مقبول حتى يطمئن أو يغير الراوى روايته على ما تذكر كتب القراءات ، فمارس بهذا أيضاً دور الرقيب والمصحح ، فالحق أحق أن يتبع ، والله لا يستحيى من الحق .

فياله من قرآن معجز ، وياله من أمة تورث الفخر والاعتزاز لكل من ينتمى إليها .

* * *

* أحاديث وردت عن ابن مجاهد فيما يخص القراء السبعة :

* نافع الأصبهانى . . . إمام القراء بالمدينة :

يقول ابن مجاهد فى كتابه السبعة :

« حدثنى عبد الله بن الصقر أبو العباس السكرى ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : سمعت أبا خليل الدمشقى يحدث عن الليث بن سعد أنه قدم للمدينة سنة عشر ومائة ، فوجد نافعاً إمام الناس فى القراءة لا ينازع ، قال المسيبى : يعنى ، وشيبة يومئذ حى » (١) .

وشيبة ، هو شيبة بن نصاح أحد شيوخ نافع وأساتذته ، كما أنه كان قاضى المدينة أيضاً .

وقال ابن مجاهد :

« أخبرنى سليمان بن يزيد أبو عبد الله البصرى عن أبى حاتم (السجستانى) عن الأصمعى ، قال : قال فلان : أدركت المدينة سنة مائة ونافع رئيس القراء بها » (٢) .

(١ ، ٢) السبعة : ص ٦٢ .

وقال ابن مجاهد :

« حدثني الحسن بن أبي مهران ، قال : حدثنا أحمد بن يزيد ، قال : سمعت سعيد بن منصور ، يقول : سمعت مالكا (ابن أنس) يقول : قراءة نافع سنة » (١) .

قال ابن مجاهد :

« وكان (نافع) عالماً بوجوه القراءات متبعاً لآثار الأئمة الماضيين ببلده ، أخذ القراءة عن جماعة من التابعين » (٢) ثم ذكرهم .

قال ابن مجاهد :

« حدثني عبد الله بن الصقر ، قال : سمعت المسيب يقول : توفي نافع سنة تسع وستين ومائة . قال أبو بكر ، وعلى قراءة نافع أهل المدينة إلى اليوم » (٣) .

فهذا نموذج لقارئ ، فضّل أهل المدينة قراءته على قراءة شيوخه .

* ابن كثير مقرئ مكة :

يقارن ابن مجاهد بين ابن كثير الذي اختار قراءته وبين أحد معاصريه من أئمة القراءة بمكة أيضاً وهو ابن مُحَيِّصٍ ، ويذكر أنه اختار قراءة ابن كثير لأنها القراءة التي التف حولها الناس واجتمعوا عليها . فأكد ابن مجاهد بذلك أن مقياسه كان اختيار الناس . يقول ابن مجاهد موضحاً ذلك :

« وكان في عصر عبد الله بن كثير بمكة ممن تجرد للقراءة وقام بها محمد بن عبد الرحمن بن محيصة السهمي وكان ابن محيصة عالماً بالعربية ، وكان له اختيار لم يتبع فيه أصحابه ولم يجمع أهل مكة على قراءته كما أجمعوا على قراءة ابن كثير » (٤) .

(١) السابق : ص ٦٢ .

(٢) السابق : ص ٥٤ .

(٣) السابق : ص ٦٣ .

(٤) السبعة : ص ٦٤ - ٦٥ .

قال ابن مجاهد :

« والذي أجمع عليه أهل مكة على قراءته إلى اليوم ابن كثير » .

وهذا نموذج لقارئ ، فضل أهل مكة قراءته على قراءة أحد معاصريه ،
من تفرغ للإقراء ، وكان عالماً بالعربية ، وأساتذته هم نفس
أساتذة ابن كثير ، وهو أحد القراء الأربعة عشر .

إلا أن أهل مكة انصرفوا عنه لأن له اختيار في بعض القراءات لم يتبع فيها
أصحابه . وقال فيه ابن الجزرى : لولا ما فى قراءته من مخالفة المصحف العثمانى
لألحقها بالقراءات المشهورة .

فانظر يا أخى كيف اختار الناس لأنفسهم قبل أن يختار لهم ابن مجاهد
أو ابن الجزرى .

* أبو عمرو بن العلاء . . . مقرأء البصرة :

قال ابن مجاهد :

« وقد كان أبو عمرو بن العلاء وهو إمام أهل عصره فى اللغة وقد رأس فى
القراءة والتابعون أحياء » (١) ، ولعله يعنى شيخه الإمام الحسن البصرى .

وقال (١) : « وكان فى عصره (بالبصرة) جماعة من أهل العلم بالقراءة
لم يبلغوه ، منهم عبد الله بن أبى إسحاق ، وعاصم بن أبى الصباح الجحدرى
وعيسى بن عمر الثقفى النحوى . وكان هؤلاء أهل فصاحة أيضاً ، ولم يحفظ
عنهم فى القراءة ما حفظ عن أبى عمرو ، وإلى قراءته صار أهل البصرة
أو أكثرهم » (٢) .

وقال : « ولم تزل العلماء فى زمانه تعرف له تقدمه ، وتقر له بفضله ،
وتأتم فى القراءة بمذهبه » (٣) .

(١) السابق : ص ٤٧ .

(٢) السابق : ص ٨٤ .

(٣) السابق : ص ٨١ .

وقال ابن مجاهد :

« حدثني محمد بن عيسى بن حيان ، قال : حدثنا نصر بن علي قال : قال لى أبى : قال لى شعبة : أنظر ما يقرأ به أبو عمرو مما يختار لنفسه فاكتبه فإنه سيصير للناس إسناداً » (١) .

وبعد ، فهذا إمام من السبعة شهد له العامة والخاصة ، وانصرف أهل البصرة عن قراءة شيوخه ومعاصريه وتلاميذه على السواء ، والتفوا حول قراءته .

* ابن عامر . . . مقرأ الشام :

قال ابن مجاهد :

« وعلى قراءة ابن عامر أهل الشام وبلاد الجزيرة إلا نفرًا من أهل مصر ، فإنهم ينتحلون قراءة نافع ، والغالب على أهل الشام قراءة ابن عامر » (٢) ، وبالرغم من وجود بعض التحفظ لدى ابن مجاهد على بعض الروايات التي نسبت إليه ، إلا أنه كان يتربع على قمة الإقراء بالشام بلا منازع .

* عاصم . . . الكوفي :

قال ابن مجاهد :

« وإلى قراءة عاصم صار بعض أهل الكوفة ، وليست بالغالبة عليهم ، . . . وكان أهل الكوفة لا يأتون فى قراءة عاصم بأحد ممن يثبتونه فى القراءة عليه إلا بابى بكر بن عياش ، وكان أبو بكر لا يكاد يمكن من نفسه من أرادها منه ، فقلت بالكوفة من أجل ذلك وعز من يحسنها . وصار الغالب على أهل الكوفة إلى اليوم قراءة حمزة بن حبيب الزيات » (٣) .

وهنا يثور التساؤل عن السبب الذى حدا بابن مجاهد أن يخالف القاعدة التى وضعها لنفسه فيختار قراءة عاصم على الرغم من أن غالبية أهل الكوفة تركتها إلى قراءة حمزة ؟

(١) السابق : ص ٨٢ .

(٣) السابق : ص ٧١ .

(٢) السابق : ص ٨٧ .

والإجابة هنا تشهد لابن مجاهد ولا تشهد عليه . ذلك أن اختياره الوحيد الذى خالف فيه القاعدة التى وضعها لنفسه يدل على أنه ليس من ذلك النوع من البشر الذى يسير مغمض العينين ومغيب العقل على القواعد . إذ لكل قاعدة استثناء .

فلقد أكد ابن مجاهد أنه كان ينشد الحق أينما وجد . فإن وافق اختيار الناس ، وإلا فهو يختار لهم .

وهذا عين ما حدث عند اختياره لقراءة عاصم . فلقد أدرك وهو الخبير بالقراءات فضل هذه القراءة الذى لا ينكر . ثم بحث فى أسباب انصراف غالب أهل الكوفة عنها فوجدها أسباباً ذاتية غير موضوعية . ذلك أن الإمام العظيم عاصم بن أبى النجود « كان إذا تكلم كاد يدخله خيلاء »^(١) ، فلعل هذا ما جعل العامة ينصرفون عن قراءته . فإذا أضفنا إلى هذا السبب أن شعبة (أبو بكر بن عياش) وهو أحد راوى عاصم ، والذى كان الناس فى الكوفة يأتون بروايته عن عاصم ، كان هو الآخر « لا يكاد يمكن من نفسه من أرادها منه »^(٢) ، وصلنا إلى أن الناس لم ينكروا لقراءة عاصم فضلها ، إلا أنهم حين سعوا إليها ، وجدوا نوعاً من الاستعلاء ربما جرح كبرياءهم فانصرفوا عنها إلى غيرها غير منكرين لفضلها .

من هنا ، اعتبر ابن مجاهد انصراف أهل الكوفة عن قراءة عاصم لقراءة حمزة ، لم يكن لعب شأبها ، بل على العكس ، ربما كان هذا الخيلاء الذى نسب لصاحبها نتيجة لثقته الزائدة فى علو سنده الذى كان ينتهى إلى عثمان وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما وهو ما لم يتوافر لأى قراءة أخرى ، يضاف إلى ذلك أن عاصماً كان قد أخذ قراءته عن أبى عبد الرحمن السلمى - التابعى الكبير - دون أن يخالفه فى حرف واحد . فإذا أضفنا إلى ذلك أن أحد راوى عاصم ، وهو حفص الذى يقرأ العالم الإسلامى على الغالب بقراءته اليوم ، لم

(١) السبعة : ص ٧٠ .

(٢) السبعة : ص ٧١ .

يخالف شيخه عاصم في حرف واحد . وأن عاصم فضلاً عن ذلك كان يتمتع بذاكرة حافظة ليس لها نظير » قال عاصم : مرضت سنتين ، فلما قمت قرأت القرآن ، فما أخطأت حرفاً « (١) . إذا علمنا ذلك كله أدركنا السر وراء تمسك ابن مجاهد بقراءة عاصم - خلافاً لقاعدة الشهرة - فاثبت بذلك أنه كان عقلاً فذاً ، مستقلاً ، غاية في المرونة ، يضع الأولوية للجوهر قبل المظهر ، ويرجح المضمون على الشكل ، ولا تعنى « القاعدة » عنده أكثر من كونها مجرد مرشد وهادٍ يسير في ضوئه ولكنه لا يسير على قضبانها مغمض العينين ، كما يدل على أن عقله الناقد لا يتوقف للحظة واحدة عن النظر والتأمل وتقييم النتائج واختبار الفروض . ويدل أيضاً على رؤية شاملة تنير له الطريق فيتحرك بمرونة فذة يلتمس الحق ولو كان في طريق معاكس .

وسوف تظهر الإحصائيات أن ابن مجاهد باختياره عاصماً كواحد من القراء السبعة الأئمة - خلافاً للقاعدة التي وضعها لنفسه - قد أهدى إلينا ، أدرك ذلك أم لم يدرك ، القراءة الذهبية التي تمحورت حولها باقى القراءات جميعها ، ودارت في فلكها فرشاً وأصولاً . وللحديث بقية .

* حمزة . . . مقرئ الكوفة :

قال ابن مجاهد :

« حدثنى على بن الحسن الطيالسى ، قال : سمعت محمد بن الهيثم المقرئ يقول : أدركت الكوفة ومسجدها الغالب عليه قراءة حمزة / ولا أعلمنى أدركت حلقة من حلق المسجد الجامع يقرءون قراءة عاصم « (٢) .

قال ابن مجاهد :

« حدثنى ابن أبى الدنيا ، قال : قال محمد بن الهيثم المقرئ ، أخبرنى الحسن بن بكار أنه سمع شعيب بن حرب يقول : أم حمزة الناس سنة مائة « (٣) .

(٢) السبعة : ص ٧٦ .

(١) السبعة : ص ٧٠ .

(٣) السبعة : ص ٧٥ .

وبالرغم من أن مقياس الشهرة قد توفر لحمزة ، إلا أنه يبدو أن مجاهد كان له بشأن بعض حروفه بعض التحفظات ، التي أبدأها بوضوحه المعهود ، كما أبدأها من قبل على بعض حروف انفرد بها ابن عامر .

قال ابن مجاهد :

« وكان حمزة يعتبر قراءة عبد الله (بن مسعود) فيما لم يوافق خط مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه » (١) . . . كان هذا عن فرش الحروف .

وقال أيضاً ، مثيراً بعض الأخبار عن أصول قراءته :

« حدثني علي بن الحسن ، قال : حدثنا محمد بن الهيثم ، قال : قلت لعبد الله بن داود : إن بعض الناس يكره قراءة حمزة أو نحو هذا (٢) ، فقال ابن داود : سمعت كلام هؤلاء البصريين ؟ من كان أعلم من حمزة بعلمها وعلتها » (٣) .

قال ابن مجاهد :

« حدثني علي بن الحسن ، قال : قال محمد بن الهيثم : واحتج من عاب قراءة حمزة بعبد الله بن إدريس أنه طعن فيها ، وإنما كان سبب هذا أن رجلاً ممن قرأ على سليم حضر مجلس ابن إدريس عبد الله ، فقرأ ، فسمع ابن إدريس الفاظاً فيها إفراط في المد والهمز وغير ذلك من التكلف المكروه ، فكره ذلك ابن إدريس وطعن فيه . قال محمد : وهذا الطريق عندنا مكروه مذموم ، وقد كان حمزة يكره هذا وينهى عنه ، وكذلك من أتقن القراءة من أصحابه » (٤) .

وقال ابن مجاهد : « وكل هؤلاء (تلاميذ حمزة) متقاربون لا يكادون يختلفون في أصل من أصول قراءة حمزة ، غير أنهم كانوا يتفاضلون في الألفاظ

(١) السابق : ص ٧٢ .

(٢) لعله يقصد الإمام ابن حنبل .

(٣) السابق : ص ٧٦ .

(٤) السابق : ص ٧٧ .

ورقة الألسن ، ويختلفون في الإفراط في المد والتوسط فيه وفي شيء من الإدغام أيضاً اختلفوا ، وقد بينت ذلك في كتابي هذا « (١) .

* الكسائي . . . مقرئ الكوفة :

قال ابن مجاهد :

« وكان على بن حمزة الكسائي قد قرأ على حمزة ونظر في وجوه القراءات ، وكانت العربية علمه وصناعته . واختار من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءة متوسطة غير خارجة عن آثار من تقدم من الأئمة .
وكان إمام الناس في القراءة في عصره ، وكان يأخذ الناس عنه الفاظه بقراءته عليهم « (٢) .

وقال خلف : « كنت أحضر بين يدي الكسائي وهو يقرأ على الناس وينقطون مصاحفهم بقراءته عليهم » .

وهكذا أثبت ابن مجاهد للمقرئ النحوي الإمام الكسائي أنه كان إماماً للناس ، إلا أنه لم يفته أن ينوه إلى أنه كان تلميذاً لحمزة ، وأن قراءته كانت هي قراءة حمزة في الأساس ، ثم خالفه فيها في حروف أخذها عن غيره من أئمة القراء ، ووصفها بذلك أنها قراءة متوسطة .

وسوف تظهر الدراسة الإحصائية الاتجاه الذي إليه ذهب الكسائي مخالفاً أستاذه حمزه في بعض حروفه ، فرشاً وأصلاً حتى ألف لنفسه قراءة باسمه ، نسبت إليه ، ورشحته كواحد من سبعة ابن مجاهد ، وهو عين ما رفض ابن مجاهد القيام به ، مع قدرته .

* * *

* فكرة « الشهرة » عند ابن مجاهد :

وبعد ، فإن الفكرة الجوهرية التي تمحور حولها عمل ابن مجاهد كانت تنصب على « الشهرة » .

(٢) السابق : ص ٧٨ .

(١) السابق : ص ٧٧ .

فعندما يتكلم مكي بن أبي طالب عن السبعة فإنه يقول : « السبعة المشهورين » (١) .

ويقول ابن الجزرى عن مؤلف كتاب السبعة (ابن مجاهد) بأنه اشترط الأشهر (٢) . ، كما يصف كتابه السبعة بأنه من الكتب « المشهورة المتلقاة بالقبول » (٣) . ثم لجأ ابن الجزرى إلى وصف « المشاهير » أيضاً ليتوج به الثلاثة المكملة للعشرة حين قال : « فى سرد مشاهير من قرأ بالعشرة » (٤) .

كذلك أورد نفس اللفظ الدمياطى البنا حين قال : « ... القراء المشهورين » .

فإذا أضفت إلى ذلك ما ورد آنفاً على لسان ابن مجاهد مراراً وتكراراً من وصف « الشهرة » الذى نسبته لقرائه المصطفين ، لتأكد لدينا أن « الشهرة » كانت هى الفكرة المحورية عند ابن مجاهد .

ولقد انعكس مفهوم « الشهرة » هذا على مفهوم « الشذوذ » عند ابن مجاهد ومن أتى بعده مثل ابن جنى (٥) ، وتصوروا أن « الشذوذ » لا يعنى « الضعف » ، إنما يعنى قلة القراء به فى الأمصار بالقياس إلى قراءات السبعة (٦) ، ليس إلا .

* ابن مجاهد ... وفكرة « التواتر » :

لم يرد عن ابن مجاهد أنه أثار قضية « التواتر » ، بل اكتفى بمقياس « صحة السند » كما ظهر ذلك فى كتابات الإمام أبو عمرو الدانى (ت ٤٤٤ هـ) . ومكي بن أبي طالب (٧) (ت ٤٣٧ هـ) .

إلا أن بعض علماء القراءات لم يكتف بمقياس « صحة السند » بل اشترط

(١) الإبانة : ص ١١٥ . (٢) المنجد : ص ١٨ .

(٣) المنجد : ص ١٩ . (٤) المنجد : ص ٢٩ .

(٥ ، ٦) راجع المحتسب فى شواذ القرآن لابن جنى .

(٧) السبعة : ص ٢٢ .

« التواتر » ، وقد تفجرت تلك القضية على يدى ابن الجزرى وابن الحاجب ، على أساس أن ما جاء مجيء الأحاد لا يثبت به قرآن (١) .

وقضية التواتر برمتها ستطرح نفسها عند الحديث عن ابن الجزرى ، حيث أرى أنها كانت محوراً رئيسياً من محاور الصراع الذى خاضه إلى جانب محور « تعشير العشرة » الذى أعتقد أنه كان الهدف الرئيسى لمعارك ابن الجزرى قاطبة .

فابن الجزرى - كما سنرى - كان همه الأول إلحاق القراءات الثلاث لأبى جعفر ويعقوب الحضرمى وخلف العاشر بالسبعة المشهورة لابن مجاهد . وكان المناخ السائد قد بدأ يضيفى شرعية « التواتر » على القراءات السبع المشهورة فرشاً وأصولاً . وبدأ الجدل العلمى يثور حول هذه النقطة ، وحول رفع شرط القراءة المقبولة من مجرد « صحة السند » كما نص على ذلك مكى فى إبانته إلى « التواتر » .

وقد حاول ابن الجزرى القفز على الأحداث حين سعى لإضفاء شرعية « التواتر » على القراءات العشرة ، فوقع فى مصيدة الجدل الدائر بشأن تواتر السبعة - فضلاً عن العشرة . وقد دفع ثمن ذلك غالياً فيما بعد ، حين اضطر للتنازل عن شرط « التواتر » (٢) من جهة ، وحين لم تضاف الفتوى « بتواتر العشر » أى ثقل للقراءات الثلاث يوازى ثقل سبعة ابن مجاهد حتى يومنا هذا . وهذا حكم التاريخ الذى لا تصنعه الفتاوى .

* * *

**** ابن الجزرى . . . العشرة متواترة معلومة من الدين بالضرورة :**

*** مقدمة :**

علمنا أن « المصحف الإمام » جاء ليشذذ من القراءات ما خرج عن رسمه وخطه وأنه استمد شرعيته من « الإجماع » .

(١) الإتحاف : ص ٦ .

(٢) انظر النشر ج ١ : ص ١٣ .

والإجماع كان كافياً في حينها لإخماد فتنة الاختلاف في القراءات الذي انطلقت شرارته في العراق حين اختلف الناس في المسجد على قراءة تلى أبى موسى الأشعري وقراءة عبد الله بن مسعود الذي ساهم تعصبه لقراءته وإبداء مشاعر الغضب في وجه حذيفة بن اليمان وعلى مرأى ومسمع من الناس في تفجير الموقف . ومن هنا سارع حذيفة إلى إبلاغ عثمان ، فاتخذ قراره بكتابة المصحف بشكل تزول معه أسباب الصراع المؤدى للفتنة ، فجاء خطه ورسم كلماته على ما أجمع الناس أنه قرآن ، طبقاً للعرضة الأخيرة للرسول ﷺ على جبريل ، وبلسان قریش ، وبالحرף الذي قرأه النبي ﷺ ، وبذلك خرج المصحف الإمام من القراءات تلك التي كان مسموحاً بها من قبل من زيادة كلمة أو نقص كلمة أو إبدال موضع كلمتين أو زيادة ربما كانت بغرض التفسير . وكانت تلك النوعية من القراءات هي بعينها ما تسبب في حدوث الأزمة ، حيث كانت موجودة في مصاحف كبار الصحابة الذين انصب اهتمامهم على نقل الوحي من أمثال عبد الله بن مسعود بالعراق وأبى بن كعب بالمدينة وغيرهم كثير . ومن ثم أمر عثمان بتحريق كل هذه المصاحف المخالفة لمصحفه ، كوسيلة لإزالة أسباب الفتنة الحقيقية .

أما عن شكل الإجماع الذي مكّن لهذا القرار فقد كان إجماعاً من الخاصة والعامة على السواء . أما إجماع الخاصة ، فقد ذكرنا مثلاً له بتأييد على بن أبى طالب ولجنة كتابة المصحف وغيرهم . وأما إجماع العامة ، فقد تمثل في تأييد ومشاركة نحو اثني عشر ألفاً من الصحابة والتابعين ، كما تمثل بصورة أوسع حين التف العامة في كافة الأمصار حول مبعوثي عثمان إلى الأمصار بنسخ من المصحف الإمام ، يتلقون منهم القراءة عن قناعة تامة ورضى واطمئنان ، فلا معارضة ولا تحزب ولا تعصب ولا مشاعر استياء لمصحف تم حرقه ، أو لقراءة تم حذفها .

من هنا ، كان هذا الإجماع كافياً من وجهة النظر العملية لحل أزمة طارئة لم ينظر إليها من قبل على أنها مشكلة في ضوء رخصة التيسير بموجب حديث

الأحرف السبعة . وقد جاء الحل فى صورة تنازل جزئى عن جانب من الرخصة فى مقابل توحيد الكلمة ودرء فتنة الاختلاف ، وتحقيقاً للمصلحة العامة .

والمصلحة العامة هنا لم تكن « واقعية » بقدر ما كان « مثالية » . وأعنى بذلك أن المصلحة لم تنصب على مجرد إخماد لنار الفتنة بهدف تحقيق الاستقرار السياسى مهما كان الثمن ، مما يصلح معه استخدام مبدأ « الغاية تبرر الوسيلة » . فهذا يدخل فى إطار « التفكير الواقعى » . أما « المصلحة » التى جاء ذكرها نصاً فى كتب أئمتنا وعلى رأسهم ابن الجزرى ، فقد انصبت على « حماية القرآن من التحريف » فى المقام الأول . وهذا ما فهمناه أيضاً من موقف الصحابى الجليل حذيفة بن اليمان . إذ أنه حين سارع بإبلاغ عثمان بما حدث ، لم يكن دافعه إلى ذلك خوفه من اختلاف الناس ، بل كان فى المقام الأول خوفه على « القرآن . . . المثال » ، من أن يلحق مصير ما سبقه من الكتب السماوية - التوراة والإنجيل - من التحريف بعد الاختلاف فيه .

والخلاصة أن المصحف الإمام جاء ليحفظ « كلام الله » فى صورة مكتوبة ، بعد تنقيته من كل كلام ليس بقرآن من أمثال :

« كالصوف المنفوش » مكان ﴿ كَالْعِهْنِ المنفُوش ﴾ ^(١) ، و « وعن حن » مكان ﴿ حَتَّى حِينَ ﴾ ^(٢) ، و (إذا جاء فتح الله والنصر) بدلاً من ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ^(٣) ، وقراءة (إن الله لا يظلم مثقال غلّة) بدلاً من ﴿ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ ^(٤) .

كان هذا سنة ٣٠ هـ أو نحوها . فلما جاءت سنة ٣٠٠ هـ على عصر ابن مجاهد كانت المشكلة قد غيرت من طبيعتها كما وكيفاً .

فأما من جهة الكم ، فلقد تضخم عدد القراءات حتى وصل إلى نحو خمسين قراءة ، وأصبحت المشكلة تتمثل فى صعوبة استيعاب أو حفظ كل هذا

(٢) الذاريات : ٤٣ .

(١) القارة : ٥٠ .

(٤) الزلزلة : ٧ ، ٨ .

(٣) النصر : ١ .

الكم من القراءات ، وبدأ الخطر يلوح فى الأفق من أن يتوه « القرآن » وسط هذا الخضم من « القراءات » .

وأما من ناحية الكيف ، فقد كان الخطر أعظم ، حين سولت للبعض أنفسهم بأن يبتدعوا قراءات من عندياتهم ، تلتزم بخط المصحف وبلغة عربية فصيحة إلا أنها غير مروية ولا سند لها ، ضاربين عرض الحائط المبدأ الأصولي القائل : « القراءة سنة متبعة » يتلقاها الآخر عن الأول . وكان ابن مقسم العطار نموذجاً لهذا الصنف .

من هنا ، قام ابن مجاهد بإزالة أسباب المشكلة بشقيها .

فخفض عدد القراءات إلى سبعة . ووضع شرطاً للقراءات المقبولة وهو « صحة السند » . وهاتان الخطوتان كانتا جوهر الحل لإزالة السببين الرئيسيين فى مشكلة القراءات على عهد ابن مجاهد كماً وكيفاً .

* أزمة القراءات على عصر ابن الجزرى :

فلما جاءت سنة ٨٠٠ هـ أو نحوها ، والناس على سبعة ابن مجاهد ، لم يكابر فى أحد منهم مسلم ، جاءت المشكلة من اتجاه جديد تماماً هو اتجاه العمق . ذلك أن الأعوام تمر والعقل لا يمل من التفكير . فلما استقر الأمر على السبعة الأشهر ، كان لزاماً أن تتعمق الدراسات والأبحاث فى تلك القراءات . فتناولها العلماء بالدرس والتحليل والمقارنة والنقد ، حتى طفا على السطح رأيان ، اشتم منهما ابن الجزرى رائحة الخطر على « شرعية القرآن » . فهب للذود عن حياض القرآن ونجدته ، ونشب الصراع بينه وبين صاحبيه الرأيين ، وهما من أئمة العلم فى القراءات : ابن الحاجب وأبو شامة .

وجدير بالذكر أن هذا الصراع كان صراعاً أكاديمياً بحثاً فى ظاهره ، إلا أنه كان يمس « القرآن » فى الصميم ، وكان يدور حول « التواتر » .

و « التواتر » كلمة ذات تأثير خاص للغاية فى نفوس المسلمين ، فهى عندهم مرادف « لليقين » . ولم تكن تحمل ذات الثقل على أيام ابن مجاهد ،

حيث كانت تقوم بهذا الدور كلمات أخرى لها نفس التأثير والثقل في وجدان الناس آنذاك مثل « سنة متبعة » ، و « صحة السند » ، و « المشهور » .

أما على عهد عثمان ، فقد كان « الإجماع » هو الذى يورث اليقين فى النفوس ، لانه كان إجماع الصحابة الذين عاصروا النبى ﷺ .

* لغة الخطاب عند ابن الجزرى :

« فاليقين » الذى عبر عنه « بالتواتر » كان هو محور صراع ابن الجزري ، ولذلك فقد كان لزماً الاستعانة فى هذا الصراع بأسلحة تتناسب مع ثقله ، من أمثال « المعلوم من الدين بالضرورة » الذى هو حد الردة ، وأن يرتفع « منع الكراهة إلى منع التحريم » ويوصف هذا التشدد بأنه « لا إشكال فى ذلك » ، ثم وصف ما كان متساهلاً فى شأنه « بالبدع والأهواء » مع عدم الاكتفاء بالتلويح ، بل بالتخصيص أن ذلك هو شأن بعض المعتزلة والرافضة ، وأخيراً الحكم بالكفر صراحة على أمثال ابن مقسم العطار الذين يقرأون « من غير نقل » ، مع تطعيم الحوار من وقت لآخر بكلمات صاروخية من أمثال : « تأديب » و « استتابة » و « مباحث لا طائل من تحتها » و « اتسع الخرق » و « غاية فى السقوط » و « أحضر واستتيب وكتب عليه محضر بذلك وبرجوعه » و « انظر يا أخى إلى هذا الكلام الساقط » و « الأخذ بالأدب بالضرب والسجن » و « وجب عليه القتل » و « ينبغى أن يعدم هذا الكتاب من الوجود ولا يظهر البتة وأنه طعن فى الدين » و « إلا نوبس (تصغير ناس بهدف الاحتقار والازدراء) » و « قلة حياء » و « كثرة الجهل » و « هذا كلام من لم يدر ما يقول » ...

والكلمات والعبارات السابقة جميعها وردت بالنص فى كتاب ابن الجزرى « منجد المقرئين ومرشد الطالبين » الذى لا تتعدى صفحاته الثمانين صفحة ، وهى تعبر بوضوح عن « لغة الخطاب » الذى انتهجه ابن الجزرى فى معركته الشرسة ضد ابن الحاجب وأبى شامة كمثلين عن اتجاه اشتهم فيه ابن الجزرى فى

مطلع شبابه رائحة الخطر الشديد الذى يوشك أن يصيب القرآن فى مقتل ، وبصرف النظر عن نوايا أصحاب الراى الآخر أو مقاصدهم ، فالامر جدلا يحتمل الهزل ، ولا حتى الفذلكة الاكاديمية .

والحق أن كل مسلم - وإلى أن تقوم الساعة - لمدين بالفضل لابن الجزرى فى جهاده هذا للمنافحة عن القرآن والقراءات القرآنية . وقد وصفه الإمام البنا الدمياطى صاحب « إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر » وصفه بأنه « محرر الفن » (١) يقصد فن القراءات .

أما أنا ، فاحب أن أسميه « أبو القراءات » . . .

رحم الله ابن الجزرى ، فإن سلاحه الحقيقى الذى حارب به معركته لم يكن تلك الكلمات والعبارات التى أشرت إليها والتى تعبر أصدق التعبير عن مدى حماسه الصادق ، ولكن سلاحه الحقيقى كان فى « الدقة العلمية البالغة » التى تناول بها موضوع الخلاف ، والقدرة الإقناعية الفائقة على دحض آراء مخالفيه . ورجل كابن الجزرى جمعت جوانب شخصيته بين التفكير العلمى الدقيق والقدرة الإقناعية الفائقة ومن ورائهما حب جارف للقرآن ، لجدير بأن ينتصر فى معركته ، ثم يدون فى سجل الخالدين .

فماذا كانت معركته بالتفصيل ؟ وماذا عن نتائجها ؟

يأتى الجواب من توجهات معارضييه الرئيسيين ابن الحاجب وأبى شامة ، فماذا كانت توجهاتهما الاساسية ؟

* كان ابن الحاجب يرى : تواتر القراءات السبع فى الفرش وعدم تواترها فى الأصول . . . والقراءة : فرش وأصول .
* وكان أبو شامة (٢) يرى : تواتر القراءات المتفق عليها فقط عند القراء السبعة وعدم تواتر ما انفرد به كل قارئ فقرأه وحده .

* * *

(٢) ت ٦٦٥ هـ .

(١) الإتحاف : ص ٧ .

* القراءة : فرش وأصول :

يقول د . عبد الفتاح شلبي (١) : « الاختلاف بين القراء نوعان :

الأول (الأصول) : يكون فيما يطرد ، ويكثر دورانه في القرآن الكريم ، ويجرى القياس عليه . وذلك النوع يسمى الأصول ، مثل : الإظهار والإدغام ، والإخفاء ، والمد ، والفتح والإمالة ، وتفخيم الرءاء أو ترقيقها وهكذا .

والآخر (الفرش) : والنوع الآخر يكون في تلك الكلمات المتفرقة في القرآن الكريم ، والتي يقل دورها ، وورودها في السور ، ولا يقاس عليها ، وذلك مثل اختلاف القراء في القراءة :

- بالتذكير والتانيث : في مثل : يقبل وتقبل .
- وبالتوحيد والجمع : في مثل : كتابه وكتبه .
- وبالتخفيف والتشديد : في مثل : يكذبون ويكذبون .
- بالغيب والخطاب : في مثل : يعملون وتعملون .
- وبالإسكان والضم : في مثل : قدس وقدس .
- وباختلاف حركات الإعراب : في مثل : ولكن الشياطين ، ولكن الشياطين .

- وبالأمر والإخبار : في مثل : واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى .
- واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى .
- وسمى هذا النوع بالفرش (أو بالفروع) « ١٠ هـ .

* * *

(١) المدخل والتمهيد في علم القراءات والتجويد ، تأليف د . عبد الفتاح إسماعيل شلبي ص ١٠١ .

**** معركة ابن الجزرى - ابن الحاجب :**

*** كانت أقوال ابن الحاجب تمثل عقبة رئيسية أمام الهدف الذى يسعى ابن الجزرى لتحقيقه ، ومن هنا جاء الصراع .**

فابن الحاجب كان يقول بتواتر السبع باتفاق ، وتواتر الثلاث المكملة للعشر باختلاف ، وشذوذ ما وراء ذلك . وقوله هذا كان عقبة رئيسية أمام ابن الجزرى وهو يحاور قاضى القضاة (١) لإقناعه بتواتر العشر وإصدار فتوى بذلك . ومن هنا بدأت المعركة .

إلا أن ما يستوجب الانتباه فى حوار ابن الجزرى عبارة لها مغزاها إذ قال (٢) :

» . . . قلت له ما معناه : كان ينبغى أن تقول والعشر (متواترة) ولا بد .

فقال لى (الشيخ ابن السبكي) : أردنا التنبيه على الخلاف .

فقلت : يا سيدى وأين الخلاف ؟ وأين القائل بالخلاف ؟ ومن نص من الأئمة أو غيرهم على أن قراءة أبى جعفر ويعقوب وخلف غير متواترة ؟ .

فقال : يفهم من قول ابن الحاجب : والسبع متواترة .

فقلت : أى سبع ؟ .

وعلى تقدير أن يقول هى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو وابن عامر [وعاصم] (٣) وحمزة والكسائى مع أن كلام ابن الحاجب ما يدل على ذلك ، فقراءة خلف لا تخرج عن قراءة أحد منهم أبداً ولا عن قراءة عاصم وحمزة والكسائى فى حرف واحد .

فكيف يقول أحد بعدم تواترها مع ادعائه تواتر السبع ؟ .

(١) عبد الوهاب السبكي .

(٢) المنجد : ص ٥٠ . (٣) سقطت .

وايضاً فلو قلنا إن مراده قراءة هؤلاء السبعة ، فمن أى رواية ومن أى طريق ، ومن أى كتاب ؟ .

فالتخصيص لم يدعه ابن الحاجب . ولو ادعاه لما سلم إليه ، ولا يقدر عليه . بقى الإطلاق وهو : كل ما جاء عن السبعة .

فقراءة يعقوب وأبى جعفر فيما انفردا به جاءت عن السبعة « ١٠ هـ .

ويهمنا من الحوار السابق العبارة الأخيرة التى تفيد بأنه إذا كان من المستحيل إطلاق لفظ التواتر على سبيل التخصيص لتعدد الرواة والطرق والوجوه ، فلا يبقى غير الإطلاق الذى يعنى تواتر كل ما جاء عن السبعة المشهورة ، وكأن التواتر قد انتقل من كونه صفة للقراءات السبع إلى كونه صفة للقراء السبع على الإطلاق ، وبهذا يمكن أن يدخل فيهم من قرأ بقراءتهم فلم يخرج عنها ، وهم القراء الثلاثة المكملين للعشرة .

وتواتر القراء الثلاثة جاء تدعيماً لتواتر السبعة المشهورين وما وراء القراء العشرة فشاذ .

وإذا كان ابن الجزرى قد نجح فى هذه الجولة ، فاصبح « معشر العشرة » إلا أنه لم ينجح فى إضفاء صفة « التواتر » على القراءات العشر بجميع مكوناتها فرشاً وأصولاً ، وقف فى سبيله أيضاً ابن الحاجب بقوله : الفرش متواتر والأصول غير متواترة .

وكان هذا هو مدار الصراع فى الجولة الثانية بينهما .

* يقول ابن الجزرى تحت عنوان « فى أن القراءات العشر متواترة فرشاً وأصولاً حال اجتماعهم وافتراقهم وحل مشكل ذلك » (١) : « اعلم أن العلماء بالغوا فى ذلك نفياً وإثباتاً ... »

أما من قال بتواتر الفرش دون الأصول فابن الحاجب ، قال فى مختصر الأصول له :

(١) المنجد : ص ٥٧ .

القراءات السبع متواترة فيما ليس من قبيل الأداء كالمدة والإمالة وتخفيف الهمزة ونحوه . فزعم أن المد والإمالة وما أشبه ذلك من الأصول كالإدغام وترقيق الراءات وتفخيم اللامات ونقل الحركة وتسهيل الهمزة من قبيل الأداء ، وأنه غير متواتر .

وهذا قول غير صحيح كما سنبينه « ١٠ هـ .

ومضى ابن الجزرى فى منجده يفند هذا القول بدقة لا بأس بها ، إلى أن قال (١) :

« وليت الإمام ابن الحاجب أخلى كتابه (مختصر الأصول) من ذكر القراءات وتواترها كما أخلى غيره كتبهم منها .

وإذ قد ذكر فليته لم يتعرض إلى ما كان من قبيل الأداء .

وإذ قد تعرض فليته سكت عن التمثيل .

فإنه إذا ثبت أن شيئاً من القراءات من قبيل الأداء لم يكن متواتراً عن النبى ﷺ كتقسيم وقف حمزة وهشام وأنواع تسهيله فإنه - وإن تواتر تخفيف الهمز فى الوقف عن رسول الله ﷺ - فلم يتواتر أنه وقف على موضع خمسين وجهاً ولا بعشرين ولا بنحو ذلك ، وإنما إن صح شيء فيها فوجه .

وبالباقي لا شك أنه من قبيل الأداء « ١١ هـ .

وهكذا وافق ابن الجزرى على كلام ابن الحاجب فى قسم منه ، وهو وجوه تقسيم وقف حمزة وأنواع تسهيل هشام ، وإن عارض ابن الحاجب فى ضرورة تواتر الهمز بصفة عامة عن الرسول ﷺ ، هذا وإلا تعرض القرآن للخطر .

وأما عن المد فقد اعترف ابن الجزرى أيضاً - وبنفس الأسلوب السابق - بأن الجزء المشترك من المد فقط هو الذى يمكن اعتباره متواتراً ، ونفى صفة التواتر عن اختلاف درجاتهم فى المد ، حين قال (٢) :

(١) المنجد : ص ٦٢ .

(٢) المنجد : ص ٥٩ .

« وكيف يكون المد غير متواتر واجمع الناس عليه خلفا عن السلف ؟ »

فإن قيل : قد وجدنا القراء في بعض الكتب كالتيسير للداني وغيره جعل لهم فيما مد للهمز مراتب في المد إشباعاً وتوسطاً وفوقه ودونه وهذا لا ينضبط إذ المد لاحد له ، وما لا ينضبط كيف يكون متواتراً ؟ قلت (ابن الجزرى) : نحن لا ندعى أن مراتبهم متواترة !! وإن كان قد ادعاه طائفة من القراء الاصوليين . بل نقول إن المد العرضى من حيث هو متواتر مقطوع به قرأ به النبى ﷺ وأنزله الله تعالى عليه وأنه ليس من قبيل الأداء فلا أقل من أن نقول القدر المشترك متواتر ، وأما ما زاد على القدر المشترك كعاصم (رواية شعبة) وحمزة وورش فهو إن لم يكن متواتراً فصحيح مستفاض متلقى بالقبول .

ومن ادعى تواتر الزائد على القدر المشترك فليبين « ١٠ هـ .

وهكذا فشل ابن الجزرى فى جولته الثانية مع ابن الحاجب فى دحض ادعائه بعدم تواتر الاصول فى القراءات السبع المشهورة بصورة نهائية ، بل واعترف ابن الجزرى - صراحة - وكما بينا فى أكثر من موضع ، بعدم تواتر جزئى فى الاصول ، وأنه يكفيننا القول بأنها صحيحة (خبر آحاد) مستفاضة متلقاة بالقبول وإن لم تبلغ درجة التواتر وتهدى من يدعى غير ذلك أن يبينه ، فالبينة على من ادعى .

ولم يرد إلى علمنا من فعل حتى يؤمننا هذا .

* * *

**** معركة ابن الجزرى - أبى شامة (ت ٦٦٥ هـ) :**

كان من نتائج المعركة الفكرية السابقة أن تراجع ابن الجزرى قليلاً عن فكرة شرط التواتر كأصل من أصول القراءة المقبولة ، والذي أراد أن يثبته بديلاً عن شرط « صحة السند » .

إلا أن أهم نتائج معركته الفكرية الثانية مع أبى شامة تمثلت فى تراجعته عن الإصرار على التزام التواتر فى جميع الألفاظ المختلف فيها .

قال ابن الجزرى (١) :

« قال أبو شامة فى المرشد (الوجيز) : فالحاصل أننا لسنا ممن يلتزم التواتر فى جميع الألفاظ المختلف فيها .

قلت (ابن الجزرى) :

ونحن كذلك . . . لكن فى القليل منها (٢) !! » ١ هـ .

وهكذا وجد ابن الجزرى نفسه مضطراً للاعتراف بوجود « قليل من عدم التواتر » فى فرش الحروف .

وملخص نتائج معارك ابن الجزرى هى :

(١) الفوز المؤقت فى معركة « تعشير العشرة » . . . وصدرت الفتوى بذلك .

(٢) الهزيمة النسبية فى معركة إحلال ركن « تواتر السند » محل ركن « صحة السند » .

* فى الأصول . . . أمام ابن الحاجب .

* فى الفرش . . . أمام أبو شامة .

• تراجع ابن الجزرى عن شرط التواتر فى حروف الاختلاف :

فما كان من ابن الجزرى إلا أن تراجع عن شرط « تواتر السند » .

واعترف بأنه « رأى فاسد » (٣) على حد قوله فى كتابه « النشر » فقال

فيه :

« وقد شرط بعض المتأخرين التواتر فى هذا الركن ولم يكتف فيه

بصحة السند ، وزعم أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، وأن ما جاء مجيء

الآحاد لا يثبت به قرآن . وهذا مما لا يخفى ما فيه .

(١) المنجد : ص ٦٧ .

(٢) وباقى عبارة ابن الجزرى : « كما تقدم فى الباب الثانى (من المنجد) » .

(٣) النشر ص ١٣ .

فإن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنتين الأخيرين وغيره . إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن النبي ﷺ وجب قبوله وقطع بكونه قرآناً سواء وافق الرسم أم خالفه .

وإذا اشترطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف ، انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم .

ولقد كنت قبل أجنح إلى هذا القول ثم ظهر فساد « ١ هـ .

ويجب التنبيه هنا على عدة نقاط :

– ولد ابن الجزرى سنة ٧٥١ هـ .

– انتهى من تأليف كتابه « منجد المقرئين ومرشد الطالبين » سنة ٧٧٣ هـ .

– انتهى من تأليف كتابه « النشر في القراءات العشر » سنة ٧٩٩ هـ .

أى أن ابن الجزرى كان عمره ٢٣ سنة عندما ألف « المنجد » ، الذى اشترط فيه التواتر .

وكان عمره حوالى ٤٨ سنة عندما ألف النشر ، واعترف فيه بفساد رأيه بضرورة اشتراط « التواتر » بدلاً من « صحة السند » ، متابعاً فى ذلك ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) وإن لم يعلنه ، ومكى بن أبى طالب (ت ٤٣٧ هـ) فى إبانته .

* وقد اعترض من علماء القراءات المعاصرين د . شعبان إسماعيل على رأى ابن الجزرى بخصوص اكتفائه بشرط « صحة السند » وتنازله عن شرط « التواتر » كركن من أركان القراءة المقبولة . ويشير د . شعبان القضية فى كتابه « القراءات أحكامها ومصادرها » تحت عنوان : هل صحة السند كافية ، فيقول (١) :

(١) القراءات وأحكامها ومصادرها : ص ٧٨ ، ٧٩ . ط سنة ١٩٨٦ ، القاهرة .

« إن اشتراط « التواتر » فى قبول القراءة هو رأى جمهور العلماء من الأصوليين ، وفقهاء المذاهب الأربعة ، والمحدثين والقراء ، فيرون أن شروط القراءة الصحيحة هو التواتر ، ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر .

وقال الشيخ مكى بن أبى طالب القيسى : القراءة الصحيحة ما صح سندها إلى النبى ﷺ وساغ وجهها فى العربية ، ووافقت خط المصحف .

وتبعه (مكى) على ذلك بعض المتأخرين ، ومنهم الإمام ابن الجزرى ، حيث قال فى طبيته :

فكل ما وافق وجه نحوى وكان للرسم احتمالاً يحوى

وصح إسناداً هو القرآن فهذه الثلاثة الأركان

وحيثما يختل ركن أثبت شذوذه لو أنه فى السبعة

وهو رأى ضعيف لا يعول عليه ، لأنه يؤدى إلى تسوية غير القرآن بالقرآن .

واشترط ابن الجزرى - نفسه - فى كتابه « المنجد » التواتر فى قبول القراءة الصحيحة ، فكان بذلك مخالفاً لما اشترطه هو فى كتابه المذكور « ١ . هـ .

* وأقول معقبا :

لم يكن للعالم الجليل الدكتور شعبان أن يتعرض لإبداء الرأى فى قول العلامة الإمام ابن الجزرى بعبارة من مثل التى قالها : « وهو رأى ضعيف لا يعول عليه » لسببين :

الأول : أن د . شعبان لم يستطع الرد على التحدى الذى أعلنه ابن الجزرى فى كتابه « المنجد » حين قال :

« ومن ادعى تواتر الزائد على القدر المشترك (فى المد) فليبين » .

الثانى : أن الدكتور شعبان قد وافق ابن الجزرى على شرطه « صحة السند » فى نفس كتابه الذى ضعف فيه هذا الرأى .

فقد قال د . شعبان فى كتابه « القراءات ، أحكامها ومصادرها » (١) .
تحت عنوان « أنواع القراءات من حيث السند » ، قال :

« بين الإمام ابن الجزرى أن أنواع القراءات من حيث السند ستة :

الأول : المتواتر :

وهو ما رواه جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم .

مثاله : ما اتفقت الطرق فى نقله عن السبعة .

وهذا الغالب فى حروف القرآن .

الثانى : المشهور :

وهو ما صح سنده بأن رواه العدل الضابط عن مثله وهكذا .

ووافق العربية .

ووافق أحد المصاحف العثمانية .

سواء أكان عن الأئمة السبعة أم العشرة أو غيرهم من الأئمة المقبولين .

واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط ، ولا من الشذوذ .

إلا أنه لم يبلغ درجة المتواتر .

مثاله :

- ما اختلف فى نقله عن السبعة ، فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض .

ومن أشهر ما صنف فى هذين النوعين : التيسير للدانى والشاطبية وطيبة

النشر فى القراءات العشر .

وهذا النوعان هما اللذان يقرأ بهما مع وجوب اعتقادهما ولا يجوز

إنكار شيء منهما « ١٠ هـ .

وأنهى د . شعبان ما نسبته إلى ابن الجزرى ، ولم يعقب عليه بأى نقد مما يفهم منه أنه يوافقه أو يقره بالسكوت ، وإلا ثبت تناقضه .

* * *

**** القياس فى القراءات القرآنية :**

والقياس فى القراءات نوعان عند ابن الجزرى (١) :

الأول : القياس المطلق :

وهو الذى ليس له أصل فى القراءة يرجع إليه ، ولا ركن وثيق فى الأداء يعتد عليه ، ولا يعترف بأن القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول ، ويزعم الآخذ به أن كل ما صح عنده وجه فى العربية بحرف من القرآن يوافق المصحف فقراءته جائزة فى الصلاة وغيرها .

مثاله : قراءة ابن مقسم العطار . وقد تمت استتابته على يد ابن مجاهد .

حكمه : بدعة ضالة يكفر صاحبها ويستتاب .

الثانى : نسبة جزئى إلى كلى :

يقول عنه ابن الجزرى :

« أما إذا كان القياس على :

— إجماع انعقد .

— أو عن أصل يعتمد .

فيصير إليه عند :

— عدم النص .

— وغموض وجه الأداء .

فإنه مما يسوغ قبوله ولا ينبغى رده .

(١) النشر : ص ١٧ - ١٨ .

لاسيما فيما تدعو إليه الضرورة ، وتمس الحاجة ، مما يقوى وجه الترجيح
ويعين على قوة التصحيح .

بل قد لا يسمى ما كان كذلك قياساً على الوجه الاصطلاحي ، إذ هو فى
الحقيقة : نسبة جزئى إلى كلى .

كمثل :

ما اختير فى تخفيف بعض الهمزات لأهل الأداء .

وفى إثبات البسمة وعدمها لبعض القراء .

ونقل (كتابه إنى) ، وإدغام (ماله هلك) قياساً عليه .

وقياس (قال رجلان . وقال رجل) على (قال رب) فى الإدغام كما
ذكره الدانى وغيره ونحو ذلك مما :

– لا يخالف نصاً .

– ولا يرد إجماعاً ولا أصلاً .

مع أنه قليل جداً .

وإلى ذلك أشار مكى بن أبى طالب فى التبصرة حيث قال : « فجميع
ما ذكرناه فى هذا الكتاب ينقسم ثلاثة أقسام » :

* قسم قرأت به ونقلته وهو منصوص فى الكتب موجود .

* وقسم قرأت به وأخذته لفظاً أو سماعاً وهو غير موجود فى الكتب .

* وقسم لم أقرأ به ، ولا وجدته فى الكتب ، ولكن قسته على ما قرأت

به؛ إذ لا يمكن فيه إلا ذلك عند عدم الرواية فى النقل والنص وهو الأقل « ١ هـ .

* ثم يأتى الإمام البنا الدمياطى (ت ١١١٧ هـ) فى كتابه « إتحاف

فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر » فيكرر بالنص ما قاله ابن الجزرى ثم

يضيف (١) :

« وأما كثرة الوجوه بحيث بلغت الألوف فإنما ذلك عند المتأخرين دون المتقدمين لأنهم (المتقدمين) كانوا يقرؤون القراءات طريقاً طريقاً فلا يقع لهم إلا القليل من الأوجه . وأما المتأخرون فقرؤوها رواية رواية ، بل قراءة قراءة ، بل أكثر ، حتى صاروا يقرؤون الحثمة الواحدة للسبعة أو العشرة فتشعبت معهم الطرق وكثرت الأوجه » ١٠ هـ .

* * *

**** خاتمة :**

وبعد ، فإذا كان حديث « الأحرف السبعة » يمثل « بداية التاريخ » للقراءات القرآنية ، فإن فتوى ابن الجزرى بأن « العشر متواترة معلومة من الدين بالضرورة » كانت بمثابة « نهاية التاريخ » فى دنيا القراءات .

فقبل السنة التاسعة للهجرة كان هناك « قرآن بلا قراءات » .

فلما ظهر حديث الأحرف السبعة - فى تلك السنة على الأغلب - نشأت بظهوره « القراءات » ، فأصبح « القرآن يتلى بقراءات متعددة » .

والتعدد ليس مرادفاً للتناقض بالضرورة ، إلا أنه مثير للخلاف بحكم طبيعته . والاختلاف حركة ، والحركة حياة ، والحياة تطور ، والتطور دورات .

والقرآن كائن حى ، بدأ بآية ، تلتها آيات ، ثم آيات ، ثم سور ، وجرت عليه سنة الله فى الأحياء فمنه الناسخ والمنسوخ ، تلاوة وحكما ، حتى إذا انقضت نحو عشرين عاماً أو يزيد نزل فيها منجماً ، جاءت العرضة الأخيرة تعلن عن تمام نوره وكمال بدره ، قرآناً عربياً غير ذى عوج ، تنزيل من عزيز حميد .

فى تلك اللحظة ، ولدت القراءات من رحم القرآن ، ولادة شرعية بموجب حديث الأحرف السبعة المتواتر قطعى الثبوت ، ظنى الدلالة ، بل مشكلها بإجماع . وكان القراءات كانت المولود الواقعى للقرآن المثالى . فما أن توقف الوحي عن السعى بين السماوات والأرض حاملاً آيات القرآن ، حتى بدأت حركة السعى بين البشر فى أرجاء الأرض حاملة القراءات القرآنية إلى شتى أرجائها .

وكما نزل القرآن ، قطعى الثبوت ، بآيات متشابهات ظنية الدلالة من أمثال الحروف فى فوائح السور (الم ، طه ، يس . .) ، جاء حديث الأحرف السبعة متواتراً أيضاً ، قطعى الثبوت ، ظنى الدلالة ، فلا أحد يعرف على وجه اليقين

حتى الآن معنى كلمة « حرف » ، ولا المقصود من العدد « سبعة » . وشكل هذا الغموض المتعمد حافظاً لا يهدأ للعقل البشرى لأن يمارس مهمته التي خلق من أجلها وهي « التفكير » ومحاولة الفهم والتفسير ، حتى يصل لليقين ، ويطمئن به .

لقد استغرقت دورة القرآن عشرين عاماً منذ نزل وحتى اكتمل بالعرضة الأخيرة . أما دورة القراءات فقد استغرقت - فيما أرى - نحو ثمانمائة عام ، منذ بدأت في العام التاسع للهجرة بحديث الأحرف السبعة ، وحتى اكتملت على عصر ابن الجزرى (ت ٨٣٣ هـ) بفتوى ابن السبكي بتواتر العشرة وشذوذ ما وراءها ، وأن هذا وذاك « معلوم بالضرورة » .

إلا أن الإمام البنا الدمياطى (ت ١١١٧ هـ) أبى إلا أن يحسم أمر الشواذ فالف سنة ١٠٨٢ هـ كتابه « إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر » ، فوثق أربع قراءات شاذة ، وأضاف بذلك ثلاثمائة سنة إلى عمر القراءات فأصبحت إحدى عشر قرناً أو نحوه .

وكانت أهم المحطات في مسيرة « القراءات » هي :

- * بداية القراءات بموجب حديث الأحرف السبعة سنة ٩ هـ .
- * تدوين المصحف العثماني الإمام سنة ٣٠ هـ .
- * تأليف كتاب السبعة لابن مجاهد نحو سنة ٣٠٠ هـ على الأرجح (١) .
- * تأليف كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزرى سنة ٧٩٩ هـ .
- * تأليف كتاب إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للبنا الدمياطى سنة ١٠٨٢ هـ .

ولم تكن تلك المراحل سوى علامات على جهد مستمر لم ينقطع ، ولم

(١) الاختيار في القراءات ، د . عبد الفتاح شلبي ، مركز بحوث الدراسات الإسلامية

تمثل تلك الوقفات سوى بلورة لجهود سبقتها ، ولم تكن بأى حال طفرات نشأت بالصدفة أو تولدت من فراغ .

فالمصحف العثماني ، كان أساسه الصحيفة التي جمع فيها القرآن في خلافة أبى بكر الصديق بعد إلحاح من عمر بن الخطاب وطول تردد من زيد بن ثابت . (رضى الله عنهم أجمعين) .

والصحيفة كان أساسها ما دون من القرآن على عهد النبي ﷺ على الاكتاف واللخف والعظام والجلود وغيرها ، دونها كتبة الوحي أولاً بأول .
فانظر سنة التطور ، كيف أخذت مجراها على أرض الواقع .

وابن مجاهد لم يسع السبعة من فراغ . فالإمام الرازي (١) يوضح أن المسلمين كانوا قد ارتضوا خمس قراءات ، وأن ابن مجاهد لم يفعل سوى أن أضاف إليهم اثنين هما : الكسائي وحمزة ، كما أشار إلى أن ابن مجاهد كان متردداً بين الكسائي ويعقوب قبل أن يستقر رأيه على الكسائي . ومن هنا فقد جاءت خطوة ابن مجاهد تطويراً وبلورة لما وافق رضا المسلمين كافة ، ليس إلا .

فإذا وصلنا إلى عشرة ابن الجزرى ، وجدنا أن الناس كانوا على قراءتهم وقراءة غيرهم منذ مئات السنين ، وأن ما فعله حين الحق الثلاثة بسبعة ابن مجاهد لم يكن سوى اختياراً لقراء لم تخرج قراءتهم عن قراءة السبعة ، فلماذا لا تلحق بهم وتأخذ حكمهم ؟ .

هذا ولا يفوتنا التلميح لما تندربه البعض من أن تلقيب أحدهم وهو خلف « بالعاشر » جاء على محمل أنه « تكملة عدتهم » (٢) !! ولا يخفى المعنى .

أما الجانب الآخر الذى أتى به الجزرى فقد كان إطلاق لفظ « المتواترة » على القراءات ليحل محل لفظ « المشهورة » . ذلك أن سبعة ابن مجاهد كانت

(١) المنجد : ص ٧٥ .

(٢) د شوقي ضيف في مقدمة كتابه السبعة : ص ١٤ ، دار المعارف .

تلقب بالمشهورة . ثم تطور الأمر بمرور السنين حتى أصبح يطلق عليها السبع المتواترة . ظهر ذلك من محاورات ابن الجزرى فى كتابه المنجد . وكان الإجماع قد انعقد على أن السبعة متواترة باتفاق وأن الثلاثة المكملة متواترة باختلاف . إذن فالعشرة كانت معروفة ومحددة ومقومة من قبل ابن الجزرى . فماذا أضاف إذن ؟

لقد انصب جهده لكى يجعل الثلاثة متواترة أيضاً ، واتخذ ذريعة لذلك أن العامة قد خدعهم الرقم « سبعة » فظنوا أن سبعة ابن المجاهد هى السبعة أحرف التى نزل عليها القرآن !! ...

ومن هنا حاول ابن الجزرى أن يزرع الناس عنها ، فحوّلهم إلى العشرة . إلا أن أحداً من الناس أو الأمصار لم يتحول عن قراءة واحد من سبعة ابن مجاهد إلى واحد من ثلاثة ابن الجزرى وحتى يومنا هذا . كما أن أغلب الآراء حتى اليوم على رأى بتواتر السبع باتفاق وتواتر الثلاث بخلاف . فهل يعنى ذلك أن جهد ابن الجزرى ذهب هباء ؟

الإجابة حتماً بلا . إلا أن الناس قد أخذوا منه ما يحقق رضائهم ، فثبتوا لقب « المتواترة » على سبعتهم المفضلة ، واطمأنوا بها على حفظ القرآن ، وتركوا الثلاثة وما وراءها للعلماء مجالاً لأبحاثهم ، فقد كان هذا اختيارهم (الناس) منذ عهد ابن مجاهد . والدليل أن قراءة خلف كان يطلق عليها « اختيار خلف » الذى لم يخرج عن قراءة أساتذته الكسائى وحمزة وعاصم الكوفيون ، وهم ثلاثة من السبعة ، فاكتفوا بهم . وأكثر من هذا أن الناس كانت قد اختارت خمسة منهم فقط قبل أن يأتى ابن مجاهد فيضيف اثنين من الكوفة هما حمزة والكسائى ، وقد كان عاصم الكوفى واحداً من هؤلاء الخمسة الذين اجتمعت على قراءتهم الناس فى الأمصار .

أما قراءة أبى جعفر ، فقد سبق والتف الناس حول قراءة تلميذه نافع حتى أصبحت هى قراءة المدينة . وما دام الناس قد اختاروا فليس لأحد أن يجىء بعد

سبعمائة عام ليغير من اختيارهم ، ولو بفتوى . أما يعقوب البصرى ، فلم يترك أحد قراءة شيخه أبى عمرو بن العلاء إلى قراءته . وقد اختار الناس الاستاذ .

ويبدو أن هذا هو ما حدا بابن الجزرى لفرض اختياره « للعشر المتواترة » عن طريق فتوى تلوح لكل من يعتقد بغير ما كتب فيها بأنه « منكر للمعلوم من الدين بالضرورة » ، وتسלט على الناس سيف التكفير لإقرار رأى واحد من البشر ليس بنبى ولا برسول ولا بمعصوم .

وأكدت الأيام ذلك ، فسرعان ما تراجع ابن الجزرى بنفسه عن رأيه هذا واصفاً إياه بالفساد .

لقد دخل الناس فى دين الله أفواجا يوم قال لهم الرسول ﷺ وقد تمكن من رقابهم جميعاً يوم فتح مكة : « اذهبوا فانتم الطلقاء » .

وأرى - والله أعلم - أن محطة ابن الجزرى كانت نهاية التاريخ فى دنيا القراءات ، ليس بسبب أنه أتى بالقول الفصل فيها ، بل لأنه أغلق بفتوى التكفير باب التفكير فى علم القراءات والدليل على ذلك أن البنا الدمياطى حين ألّف فى القراءات الأربع عشرة ، لم يخرج فى حرف واحد عن تكرار عبارات من سبقوه من أئمة القراءات ، وكان هذا بعد ثلاثمائة سنة من فتوى ابن الجزرى - ابن السبكي . وما زال هذا العرف سائداً حتى اليوم ، لدرجة أننا لن نتجاوز إن أسمىناه « سنة متبعة » يأخذها الآخر عن الأول .

* إن بعض القراءات من أمثال « مثقال نملة » ، لم تكن موجودة قبل سنة ٩ هـ . ثم سُمح بها النبى ﷺ وصوبها وأقرها بموجب حديث الأحرف السبعة فى إطار رخصة التيسير وتعارف الصحابة على القراءة بمثلها دون مرأى حتى سنة ٣٠ هـ . ثم أصبحت مكروهة بعد المصحف الإمام سنة ٣٠ هـ بصفتها خارجة عن الإجماع على رسم المصحف . ثم استتيب من قرأ بمثلها كابن شنبوذ بعد سنة ٣٠٠ هـ بصفتها شاذة للسبب السابق ولسبب آخر تم إضافته هو

مخالفتها لشرط صحة السند ، حيث إنها خبر آحاد ، ووصفت بالشذوذ من قبل ابن مجاهد ، ووصف الشاذ بعد ابن مجاهد بأنه لا يقصد به الضعف ، ولكنه لم يشتهر ولم يتلق بالقبول .

وأخذ الحنفية بمثله فى فتاواهم ، وخالفهم بعض الشافعية فاعتبروها ليست بقرآن ، ورد عليهم الجمهور بأنها وإن انتفى كونها قرآناً ، إلا إنها تعد أخباراً ، وخبر الواحد يعمل به ولا يعتبر فى العقائد ، واعتبرها البعض تفسيراً للقرآن ، وأخيراً منعها أبو عمرو بن الصلاح منع تحريم لامنح كراهة قبيل عصر ابن الجزرى .

والخلاصة فى تطور القراءات الشاذة ، أنها بدأت حلالاً وانتهت حراماً . بدأت قرآناً وانتهت بأنها ليست بقرآن .

والقراءات المقبولة ، بدأت بقراءة النبى ﷺ قبل سنة ٩ هـ ، ثم تطورت إلى عدد نجهله إبان نزول حديث الأحرف السبعة ، ثم وصلت للرقم خمسين أو نحوه فى حدود سنة ٣٠٠ هـ ثم استقرت على خمس ثم سبع بعد سنة ٣٠٠ هـ ثم وقفت عند عشر بعد سنة ٨٠٠ هـ .

وتطور حكم القراءات المقبولة ، من المجمع عليها بموجب موافقتها للمصحف العثمانى المجمع عليه ، ثم أخذت حكم المشهورة على عصر ابن مجاهد سنة ٣٠٠ هـ ، ثم أخذت حكم المتواترة المعلومة من الدين بالضرورة منذ سنة ٨٠٠ هـ وحتى الآن .

* وأخيراً ، فإنه باستقراء تاريخ القراءات يمكن القول بأن :

- دعوى ابن شنبوذ كانت - شكلاً ومضموناً - مطابقة لدعوى ابن مسعود فى الإقراء بالشاذ ، وقد حكم عليها بأنها : خروج على « الإجماع » الذى انعقد « للمصحف العثمانى الإمام » .

وهنا يثور السؤال الخالد : هل الخروج على الإجماع ، خروج عن المعلوم من الدين بالضرورة ، يكفر صاحبه ؟ .

- القضايا التي أثبتت حول رأى ابن الحاجب ورأى أبى شامة على عصر ابن الجزرى لم تحسم بعد حتى يومنا هذا . ذلك أن ابن الجزرى قد أقر - وهو يهاجمها - بصحتها من حيث المبدأ ، وانتهى إلى أنها ليست صحيحة على الإطلاق ، بل صحيحة فى القليل فقط ، فكان الاختلاف بشأنها خلافاً فى الكم ، لا فى الكيف . مما أرى معه أنها بذلك لا تدخل فى دائرة « المعلوم بالضرورة » مما يوجب تكفير من يقول بخلافها ، وأنها تحتاج للمزيد من البحث والجهد .

- أما عن « ابن مقسم العطار » ، الذى نفى شرط « الرواية » وأسقط ليس فقط شرط التواتر أو حتى صحة السند ، بل حاول أن يضرب القاعدة المعروفة والاصل السائد ، وهو أن القراءة « سنة متبعة » يأخذها الآخر عن الأول ، فتتحول القراءة بذلك عن النقل إلى العقل ، مما لا يخفى خطره ، فذلك هو الخروج عن المعلوم بالضرورة فى حدها الأعلى . وذلك هو الخط الأحمر الذى يوجب - بحق - تكفير من يحاول الاقتراب منه ، فضلاً عن اقتحامه . فعند هذا الحد تصبح القراءات والقرآن حقيقتان متحدتان ، ويصبح الاجتهاد فى القراءات نوعاً من التحريف فى القرآن .

* * *

**** أعتقد . . . وأميل . . . وأرجح . . . وأوافق . . . ولا أدرى :**

* أرجح القول بأن « القرآن و (مطلق) القراءات » حقيقتان متغايرتان على القول بأنهما حقيقتان متحدتان . أوافق الزركشى ^(١) ومن تابعه .

* وأرجح القول بأن « القرآن والقراءات السبع المتواترة » حقيقتان متغايرتان .

* وأرجح القول بأن « القرآن والقراءات العشر المشهورة » حقيقتان متغايرتان ؟ .

(١) القراءات أحكامها ومصادرها : د . شعبان إسماعيل ص ٢٠ .

* وأسأل : هل « قراءة النبي ﷺ » كما نطقها من فيه ﷺ هي هي بعينها قراءة عاصم برواية حفص عنه كما هي مسجلة على شرائط الكاسيت من أولها إلى آخرها ؟ وهل قراءة النبي ﷺ هي هي بعينها قراءة نافع برواية ورش عنه كما هي مسجلة على شرائط الكاسيت من أولها إلى آخرها ؟ وهل قراءة النبي هي هي بعينها قراءة أي قارئ من سبعة ابن مجاهد الأشهر أو عشرة ابن الجزري (المتواترة) برواية أي راوٍ عنهم من أولها لآخرها كما هي مدونة في كتاب السبعة لابن مجاهد أو النشر في القراءات العشر لابن الجزري ؟ .

وأرد : باني أميل إلى القول بأن قراءة النبي من فيه ﷺ موجودة في القراءات العشر جميعها برواتها العشرين ، موزعة هنا وهناك من غير تعيين ولا تخصيص ؟ أوافق مكى في إبانته ، وإن اقتصر هو على السبع دون العشر (١) .

* وأرجح أن القراءة بالحروف المختلفة بموجب حديث الأحرف السبعة كانت إقراءً من النبي ﷺ بوجه أو بوجهين ، ثم إقراراً منه ﷺ لقراءة الصحابة بتصويبها في باقي الأوجه على الأغلب الأعم ، فرشاً كانت أم أصولاً . إجابة على تساؤل طرحه د . عبد الصبور شاهين في كتابه تاريخ القرآن (٢) .

* وأعتقد أن النبي ﷺ لم يتواتر عنه أنه وقف على موضع خمسين وجهاً ولا بعشرين ولا بنحو ذلك ، وإنما إن صح شيء منها فوجه والباقي لا شك أنه من قبيل الأداء . أوافق ابن الجزري (٣) .

* وأعتقد بالرأي القائل بأننا لسنا ممن يلتزم التواتر في جميع اللفاظ المختلف فيها ، لكن في القليل منها (٤) . أوافق ابن الجزري .

* وأرجح القول بأن القدر المشترك في مراتب المد متواتر ، وأما ما زاد على القدر المشترك فهو إن لم يكن متواتراً فصحيح مستفاض متلقى بالقبول ، يلحق بالقراءة المتواترة وإن لم يرق إليها (٤) أوافق ابن الجزري .

(٢) تاريخ القرآن : ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٤) المنجد : ص ٥٩ .

(١) الإبانة : ص ٣٦ .

(٣) المنجد : ص ٦٢ .

* وأقر ابن الجزرى (١) على تحديه فيما يتعلق بالبند السابق : « ومن ادعى تواتر الزائد (على القدر المشترك فى المد العرضى) فليبين » .

* وأرجح القول بأن القراءة الشاذة ولو كانت صحيحة فى نفس الامر فإنها بما كان أذن فى قراءته ولم يتحقق إنزاله (٢) ، أوافق ابن الجزرى .
* وأرجح القول بأن : المقروء به عن القراء العشرة على قسمين :

الأول : متواتر . . . وهو ما اتفقت الطرق فى نقله . . . وهو الغالب فى حروف القرآن .

والثانى : صحيح مستفاض متلقى بالقبول (مشهور) . . وهو ما اختلف فى نقله .

وأن القطع حاصل بهما ، وليس بالمتواتر فقط ، مع وجوب اعتقادها .
أوافق ابن الجزرى (٣) .

* وأرجح القول بعدم تواتر ما ورد فى الكتب المشهورة المتلقاة بالقبول من تباين بعض الأصول والفرش ، كما فى الشاطبية نحو قراءة ابن ذكوان (تتبعان) بتخفيف النون ، وقراءة هشام (أفعدة) بياء بعد الهمزة ، وكقراءة قنبل (على سوقه) بواو بعد الهمزة وغير ذلك من التسهيلات والإمالات التى لا توجد فى غيرها من الكتب إلا فى كتاب أو اثنين وهذا لا يثبت به تواتر .

وأعتقد أن هذا وشبهه - وإن لم يبلغ مبلغ التواتر - صحيح مقطوع به ، نعتقد أنه من القرآن من باب أنه من الأحرف السبعة .

وأميل للقول بأن خبر الواحد العدل الضابط إذا انفرد بشيىء تحتمله العربية والرسم واستفاض وتلقى بالقبول ، قطع به ، وحصل به العلم (٤) . أوافق ابن الجزرى .

(٢) المنجد : ص ٢٤ .

(٤) المنجد : ص ٢٠ .

(١) المنجد : ص ٥٩ .

(٣) المنجد : ص ١٩ .

* وأرجح شرط « صحة السند » على شرط « التواتر » في تحديد صفة القراءات المقبولة المقطوع بها (١) أوافق ابن الجزرى .

* وأميل إلى تعريف التواتر بأنه : ما رواه جماعة عن جماعة . . . كذا إلى منتهاه ، يفيد العلم . . . من غير تعيين عدد ، هذا هو الصحيح (٢) .
أوافق ابن الجزرى .

* وأعتقد أن القراءات السبع والعشر قد اشتملت فى القليل جداً على بعض « القياس » - ليس بمعناه الاصطلاحى العام - بل فى إطار نسبه جزئى إلى كلى .، وبمعنى أن القراءة به لم تأت عن طريق النقل من كتاب ، ولا التلقى سماعاً على شيخ ، ولكن بالقياس على قراءة أخرى ، كما أقر بذلك مكى ابن أبى طالب فى تبصرته ، وما مثل له الدانى وسبق وروده .

وأن هذا القياس ليس هو القياس المطلق الذى ليس له أصل فى القراءة يرجع إليه ، بل هو مما صير إليه على إجماع انعقد أو أصل معتمد ، عند عدم النص وغموض وجه الاداء ، وأن اللجوء إليه كان فيما تدعو إليه الضرورة وتمس الحاجة (٣) .

* ولا أوافق د . سالم محيسن على قوله : « لا فرق بين كل من القرآن والقراءات ، إذ كل منهما الوحى المنزل على النبى ﷺ » . أوافق د . شعبان إسماعيل بأنه رأى مردود وغير مقبول (٤) .

* وأقر أن رأى اجتهاد وصواب يحتمل الخطأ .

* وأسأل الله وحده ثواب المجتهد .

* وأطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين .

* * *

(١) النشر : ص ١٣ . (٢) المنجد : ص ١٥ .

(٣) راجع النشر : ص ١٧ - ١٨ . (٤) القراءات ، أحكامها ومصادرها : ص ٢٢ .

الفصل الثالث

مفهوم الاختيار فى القراءات

- الاختيار عند القراء
- الاختيار فى القراءات
- الاختيار فى اللهجات
- الاختيارات المرفوضة
- اختيار عدم الاختيار

2010年10月

2010年10月

2010年10月

* اختيار القراءة عند القراء :

يقول د . شوقي ضيف (١) :

« . . . ولم يفكر (ابن مجاهد) فى أن ينفرد لنفسه بقراءة يشتهر بها وتعرف به ، ولو فكر لاستطاع فى يسر أن يتميز بقراءة يختارها من قراءات الأئمة ، وليكن مثلاً نافع أساسها ثم يتركه إلى حروف يختارها من لدن قراء آخرين يخالفه فيها ، وبذلك يصبح صاحب قراءة منفردة متميزة » .

وهكذا ، وضع د . شوقي ضيف أيدينا ببساطة على « المنهج » الذى اتبعه القراء للانفراد بقراءة ، تعرف بهم ، وتنسب إليهم .

ونقطة الارتكاز فى هذا المنهج هو « الاختيار » . أما الإطار الذى يحكم الاختيار فهو : أن القراءة « سنة متبعة » يأخذها الآخر عن الأول . أما مقياس نجاح هذا الاختيار من عدمه فهو : القبول والاشتهار عند الناس . وإقبال الناس على قراءة دون أخرى يتوقف أساساً على عاملين :

١ - مقياس اللغة : ومدى اشتهارها وشيوعها فى هذا المصر أو ذاك .

٢ - سهولة التذكر : بحيث تستطيع عقول أوساط القراء أن تتمثلها وتستوعبها .

* اختيار القراء عند ابن مجاهد وابن الجزرى :

وأوضح د . شوقي أن هذه العوامل كانت تقف وراء اختيار ابن مجاهد لسبعته ، يكتفى بهم عن سواهم ، فقال :

« . . . وليختار (ابن مجاهد) طائفة نابهة من القراء يكتفى بهم عن سواهم حتى تستطيع عقول أوساط القراء أن تتمثلهم وتستوعبهم » .

فاجتهد للأمة وللدِين وقرآنه العظيم ، وبالف فى اجتهاده ، حتى استصفى

(١) راجع مقدمته لكتاب السبعة : ص ٢٤ .

سبعة من أئمة القراء في أمصار خمسة ، هي أهم الأمصار التي حملت عنها القراءات في العالم الإسلامي ، وهي المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام ، واختار من المدينة نافعاً ومن مكة ابن كثير ومن الكوفة عاصماً وحمزة والكسائي ومن البصرة أبا عمرو بن العلاء ، ومن الشام عبد الله بن عامر .

وقد رأى لكل قارئ من قراء الكوفة الثلاثة مذهباً متميزاً في القراءة ينفرد به عن زميليه ، حمله عنه جلة القراء من العالم الإسلامي ، فرأى أن يستبقيهم جميعاً ^(١) .

فانظر مفهوم د . شوقي عن الدوافع الكامنة عند ابن مجاهد والتي وقفت وراء اختياره لهؤلاء السبعة دوناً عن غيرهم والتي تركز على أن يتمتع القارئ الذي وقع عليه اختياره « بمذهب » متميز في القراءة ينفرد به عن غيره ، ثم قارن هذا المنهج في الاختيار - والذي مكث في الأرض - بمنهج ابن الجزري المعاكس تماماً ، عندما استند في اختياره للثلاث المكملة للعشر إلى أنها « لم تخرج عنها » ، وهو ما سنعرض له تفصيلاً ، وبخاصة اختيار خلف الذي لم يخرج فيه أبداً عن قراءة من سبقوه في الكوفة ، ويعقوب الذي حاول التوفيق بين البصرة والكوفة ، ويبدو أن ذلك جاء على حساب « التميز والتفرد في المذهب » مما جعل ابن مجاهد يستبعده - بعد طول تردد - من السبعة مفضلاً عليه الكسائي الذي كان مذهبه أكثر تفرداً في ميزان ابن مجاهد على الأرجح .

*** الاختيار بين القراء والقراءات عند مكى بن أبى طالب :**

يقول الإمام مكى في إبانته ^(٢) :

« ... وقد اختار الطبرى وغيره .

وأكثر اختياراتهم إنما هو في الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء :

*** قوة وجهه في العربية .**

*** وموافقته للمصحف .**

(٢) ص ٨٩ .

(١) السبعة : ص ٢٠ .

* واجتماع العامة عليه .

والعامة عندهم :

* ما اتفق عليه أهل المدينة وأهل الكوفة :

فذلك عندهم حجة قوية ، توجب الاختيار .

* وربما جعلوا العامة :

• ما اجتمع عليه أهل الحرمين (مكة والمدينة) .

فذلك كان محاولة مكى بن أبى طالب لتفسير مفهوم الاختيار ، بأنه كان

يتم على أساس « المفاضلة بين القراءات » (١) .

ثم انتقل الإمام مكى إلى « احتمال آخر » ، أو قل « فرضية أخرى » ، قد

تفسر مفهوم الاختيار ، فافتراض أنه ربما كان يتم على أساس « المفاضلة بين

القراء » وليس بين « القراءات » ، فقال (٢) :

« وربما جعلوا الاختيار :

* ما اتفق عليه نافع وعاصم .

فقراءة هذين الإمامين أوثق القراءات ، وأصحها سنداً ، وأفصحها فى

العربية .

ويتلوهما فى الفصاحة خاصة قراءة :

* أبى عمرو والكسائى « ١ هـ .

وهكذا فإن رأى الإمام مكى بن أبى طالب لم يخرج عن كونه مجرد

« احتمالات » ، أو قل « فروض » وضعها فى إطار محاولته لتفسير معنى

ومفهوم « الاختيار » .

(١) الاختيار فى القراءات ، منشؤه ومشروعيته : د . عبد الفتاح إسماعيل شلى ، سنة

١٩٩٦ ، ص ٦١ .

(٢) الإبانة : ص ٨٩ ، والاختيار : ص ٦٠ .

وقد تراوح فيها بين مقياسين للاختيار :

الأول : قراءات متفق عليها (بين أهل المدينة وأهل الكوفة) .

الثاني : قرأء متفق عليهم (نافع وعاصم ، يليهم أبو عمرو والكسائي) .

ولقد أثبتت نتائج الدراسة الإحصائية (سيأتى بيانها تفصيلاً) التنافر الشديد بين اختيارات أهل الكوفة وأهل المدينة ، كما أثبتت أيضاً التنافر الشديد بين اختيارات أبى عمرو واختيارات الكسائي فرشاً وأصولاً على السواء .

وصدقت بذلك فراسة الإمام مكى بن أبى طالب حينما اعتبر اتفاق أى من القطبين المتنافرين ، حجة قوية توجب الاختيار ، وإن لم ينص صراحة على تنافر اختياراتهم .

* اختيار مرفوض بسبب اللغة :

أولاً : ابن محيصة (ت ١٢٣ هـ) :

وهو من القرأء الأربعة عشر (أحد الأربعة أصحاب القراءة الشاذة) .

قال الذهبي عنه : « ولابن محيصة رواية شاذة فى كتاب المنهج وغيره » (١) .

وقال ابن الجزرى : « قراءته فى كتاب المنهج ، والروضة ، وقد قرأت بها القرآن ، ولولا ما فيها من مخالفة المصحف لالحقت بالقراءات المشهورة . . . » .

وقال ابن مجاهد : « كان لابن محيصة اختيار فى القراءة على مذهب العربية ، فخرج عن إجماع أهل بلده ، فرغب الناس عن قراءته ، وأجمعوا على قراءة ابن كثير لأتباعه » .

وقال الامام الطبرى فى تفسيره : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا ﴿ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ » (٢) .

(لبداً) : وفيها لغتان : كسر اللام ، وضم اللام .

(١) انظر الاختيار فى القراءات : د . عبد الفتاح شلى ص ٦٤ وما بعدها ، ومعرفة القرأء

(٢) الجن : ١٩ .

الكبار للذهبي : ج ١ ، ص ٩٩ .

وقراءة الأمصار على كسر اللام ، غير أن ابن محيصة كان يضمها ، وهما بمعنى واحد ، غير أن القراءة التي عليها قرأ الأمصار أحب إليّ . . . » (١) .

وقال ابن مجاهد : « وكان ابن محيصة عالماً بالعربية ، وكان له اختيار لم يتبع فيه أصحابه ، وأخذ عن مجاهد (٢) أيضاً، ويروى أن مجاهد كان يقول : ابن محيصة يبني ويرصص في العربية ، يمدحه بذلك !! » (٣) .

ثانيا : عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩ هـ) :

يقول د . عبد الفتاح شلبي : « وكان الغالب عليه حب (النصب) إذا وجد لذلك سبيلاً » (٤) . ومن اختياراته :

* ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي . . . ﴾ (٥) .

* ﴿ وَالسَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ ﴾ (٦) .

* ﴿ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ (٧) .

والقراءة العامة على الرفع فيهم .

وكان هذا سبباً في رفض اختياراته ، وانحساره عن دائرة الضوء في عالم القراءات .

* اختيار مرفوض بسبب رسم الكلمات بالمصحف العثماني :

وخير مثال له : ابن شنبوذ ، وقد سبق الحديث عنه وعن مذهبه في إحياء القراءة بالقراءات الشاذة (الخارجة عن مصحف عثمان) والموجودة في مصحف عبد الله بن مسعود رأس القرء بالكوفة وأبي بن كعب رأس القرء بالمدينة .

(١) الاختيار : ص ٦٥ ، وتفسير الطبري : ج ٢٩ ص ٧٤ .

(٢) مجاهد بن جبر المكي ، أستاذ ابن محيصة وتلميذ ابن عباس .

(٣) السبعة : ص ٦٥ .

(٤) الاختيار : ص ٦٦ ، وطبقات القرء : ج ١ ، ص ٦١٣ .

(٥) النور : ٢ . (٦) المائدة : ٣٨ .

(٧) هود : ٧٨ .

* اختيار مرفوض بسبب السند :

وخير مثال له : ابن مقسم العطار ، وبدعته الشهيرة بمخالفة مبدأ « القراءة سنة متبعة » ، فكان يتندع من عند نفسه قراءات لم ينقلها عن شيوخ سابقين له ، وإن حافظ فيها على الركنين : رسم المصحف العثماني ، وموافقة العربية .
وقد سبق الحديث عن دور ابن مجاهد في محاكمتها واستتابتها .

* مفاضلة بعض أئمة الفقه الإسلامي بين القراء :

* كان الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) ، وهو أحد الأئمة الأربعة يميل لقراءة نافع .

يقول ابن مجاهد : « حدثني ... سمعت مالكا يقول : قراءة نافع سنة » (١) .

ويفسر الأستاذ سعيد إعراب ذلك ، فيقول (٢) :

« وربما كان لانتشار المذهب المالكي بهذه الديار (المغرب) أثر لذلك ، فنافع القاريء شيخ لمالك ، ويروى عنه أنه قال : إن قراءة أهل المدينة سنة ، قيل له : قراءة نافع ؟ قال : نعم » .

* كان الإمام أحمد بن حنبل يفضل قراءة نافع يليها قراءة عاصم ، ولا يحب قراءة حمزة .

يقول سعيد إعراب : « قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت أبي : أي القراءة أحب إليك ؟ قال : قراءة أهل المدينة . قلت : فإن لم تكن ، قال : قراءة عاصم » (٣) .

وجاء في كتاب جمال القراء (٤) :

(١) السبعة : ص ٦٢ .

(٢) القراء والقراءات بالمغرب : سعيد إعراب ، دار المغرب الإسلامي ، ط ١٩٩٠ ،

بيروت ، ص ١٣ .

(٣) المرجع السابق : ص ٢٣ .

(٤) راجع جمال القراء : ص ٤٧٣ ، والاختيار : ص ٦٠ .

« قال سويد : مضيت أنا وأحمد بن رافع إلى أحمد بن حنبل فقال : ما حاجتكما ؟ »

قلنا : نحن نقرأ قراءة حمزة ، وبلغنا أنك تكره قراءته ، فقال أحمد ابن حنبل : حمزة قد كان من العلم بموضع ، ولكن لو قرأتم بحرف نافع وعاصم ، فدعونا له وخرجنا » ١٠ هـ .

* مفهوم الاختيار عند ابن الجزرى :

يقول ابن الجزرى (١) : « . . . وبهذا افترق اختلاف القراء من اختلاف الفقهاء ، فإن اختلاف القراء كل حق وصواب نزل من عند الله ، وهو كلامه لا شك فيه ، واختلاف الفقهاء اختلاف اجتهادى والحق فى نفس الأمر فيه واحد ، فكل مذهب بالنسبة إلى الآخر صواب يحتمل الخطأ ، وكل قراءة بالنسبة إلى الأخرى حق وصواب فى نفس الأمر ، نقطع بذلك ونؤمن به . »

ونعتقد أن معنى إضافة كل حرف من حروف الاختلاف إلى من أضيف إليه من الصحابة وغيرهم إنما هو من حيث إنه كان أضبط له وأكثر قراءة وإقراء به ، وملازمة له ، وميلا إليه ، لا غير ذلك .

وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة ورواتهم المراد بها أن ذلك القارئ وذلك الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به ، فآثره على غيره ، وداوم عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف به ، وقصد فيه ، وأخذ عنه ، فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء . وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم ، لا إضافة اختراع ورأى واجتهاد » ١٠ هـ .

ويقدر ابن الجزرى أنه : ليس فى شىء من القراءات تناف ولا تضاد ولا تناقض . وكل ما صح عن النبى ﷺ من ذلك فقد وجب قبوله إذ كل قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها .

(١) النشر : ج ١ ص ٥٢ .

ومن قرأ على قراءة فلا يدعها رغبة عنها فإنه من كفر بحرف منه كفر به كله « (١) .

* رأى عمر بن الخطاب في اختيار أبي بن كعب (رضى الله عنهما) :
في كتاب المصاحف للسجستاني قال (٢) :

« والألحان اللغات . وقال عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) :

إننا لنرغب عن كثير من لحن أبي . يعنى لغة أبي « ١ هـ .

* رأى نافع في اختيار لأبي عمرو :

« قال الأصمعى : سمعت نافعاً يقرأ : ﴿ يَقْضِ الْحَقُّ ﴾ فقلت له :

إن أبا عمرو يقرأ : (يَقْضِ الْحَقُّ) (٣) . . . وقال : القضاء مع الفصل (٤) .

فقال نافع : وى يا أهل العراق . تقيسون فى القرآن . . . ١١

ثم أضاف معقبا ومؤولا لقول القارئى كليهما :

ومعنى قول أبى عمرو : القضاء مع الفصل : أى أنى (أبو عمرو)

اخترت هذه لهذا ، ولم يرد رد القراءة الأخرى .

ومعنى قول نافع : تقيسون فى القرآن : لم يرد به أن قراءتهم (أهل

العراق) أخذوها بالقياس ، وإنما يريد أنهم اختاروا ذلك لذلك ! .

والقراءتان ثابتتان عندهما « (٥) .

(١) النشر : ج ١ ص ٥١ .

(٢) ص ٤١ ، دار الكتب العلمية - بيروت .

(٣) تمام الآية : ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ .

(٤) الأنعام : ٥٧ .

(٥) الاختيار : ص ١٦ .

* رأى أبو عمرو فى اختيار للكسائى :

« قال محمد بن صالح : سمعت رجلاً يقول لأبى عمرو : كيف تقرأ : ﴿ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ ﴾ ^(١) ، قال : (لا يعذب ...) فقال له الرجل : كيف وقد جاء عن النبى ﷺ : (لا يعذب عذابه أحد) ؟ فقال أبو عمرو : لو سمعت الرجل الذى قال : سمعت النبى ﷺ ما أخذته عنه . وتدرى لم ذاك ؟ لأنى أتهم الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به العامة . »

ويعقب السخاوى على ذلك فيقول ^(٢) : وقراءة الفتح ثابتة أيضاً بالتواتر ، وقد تواتر الخبر عند قوم دون قوم ، وإنما أنكرها أبو عمرو لأنها لم تبلغه على « وجه التواتر » ^(٣) يريد السخاوى بذلك أن يجد العذر لأبى عمرو لإنكاره ورده قراءة ثبتت متواترة عند الكسائى ، بأنها لم تثبت متواترة عند أبى عمرو .

* ابن مجاهد يصف قراءتى أبى عمرو والكسائى بأنهما « اختيار » :

* يقول ابن مجاهد : « واختار (الكسائى) من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءة متوسطة غير خارجة عن آثار من تقدم من الأئمة » ^(٤) .

* ويقول ابن مجاهد أيضاً : « لا يكاد (أبو عمرو) يخالف فى اختياره ما جاء عن الأئمة قبله » ^(٥) .

ويقول ابن مجاهد مؤكداً على أن قراءة أبى عمرو لم تخرج عن كونها اختيار :

(٢) جمال القراء : ج ١ ص ٢٣٥ .

(٤) السبعة : ص ٧٨ .

(١) الفجر : ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) الاختيار : ص ٣١ .

(٥) السبعة : ص ٨١ .

« وكان أبو عمرو حسن الاختيار » (١) .

وقال : « حدثني محمد بن عيسى بن حيان ، قال حدثنا نصر بن علي قال : قال لي أبي : قال لي شعبة (أحد راويي عاصم) :

أنظر ما يقرأ به أبو عمرو مما يختار لنفسه فأكتبه فإنه سيصير للناس إسناداً » (٢) .

* ابن الجزرى يصف قراءة خلف العاشر بأنها « اختيار » :

يقول ابن الجزرى :

« قال أبو بكر بن اشتة : إنه (خلف) خالف حمزة - يعنى فى اختياره - فى مائة وعشرين حرفاً . قلت (ابن الجزرى) : تتبعته اختياره فلم أره يخرج عن قراءة الكوفيين فى حرف واحد ، بل ولا عن حمزة والكسائى وأبى بكر (شعبة) إلا فى حرف واحد » (٣) .

ثم يقول مؤكداً على تسميه قراءة خلف العاشر بأنها « اختيار خلف » : « وتوفى الوراق سنة ست وثمانين ومائتين وكان ثقة قيماً بالقراءة ضابطاً لها منفرداً برواية اختيار خلف لا يعرف غيره » (٤) .

* وأطلق الإمام الحافظ أبو عمرو الدانى اسم « الاختيار » على قراءة

يعقوب :

فقال : « وائتم بيعقوب فى اختياره عامة البصريين بعد أبى عمرو ، فهم أو أكثرهم على مذهبه » (٥) .

* وأطلق الإمام الرازى لفظ « الاختيارات » على « القراءات » :

قال الرازى وهو بصدد الحديث عن اختيار ابن مجاهد للقراء السبعة : « فإن قيل : فقد اجتمعت على الائتمام بهم (القراء السبعة) وقبول

(٢) السبعة : ص ٨٢ .

(١) السبعة : ص ٨٤ .

(٤) النشر : ج ١ ص ١٩١ .

(٣) النشر : ج ١ ص ١٩١ .

(٥) النشر : ج ١ ص ١٨٦ .

اختياراتهم ، فالجواب : إن الأمر على ذلك أو قريب منه وهذه سنة الله في خلقه « (١) .

وقال الرازى أيضاً مؤكداً على مفهومه عن القراءات السبع بأنها لم تخرج عن كونها اختيارات :

« وصار بذلك قبول اختياراتهم على صورة الإجماع » (٢) .

هذا وقد وصف ابن الجزرى كلام الرازى (٣) بأنه فى غاية الإنصاف والمتانة .

* اختيار اللهجات فى القراءات :

ليست اللهجات مجرد تنوع فى النطق فقط ، ولكنها تشتمل على الفصحى وعلى الهابط أيضاً .

ولقد اجتهد القراء فى اختيار الفصحى من اللهجات ، ونبذ الهابط منها عند اختيار حروف القراءة .

يقول د . عبد الصبور شاهين فى مقدمة كتابه « أبو عمرو بن العلاء » (٤) :

« إن قراءات القرآن على اختلافها لم يرد فيها ما يتصل بالظواهر اللهجية الهابطة ، كالعننة والكشكشة والفحفة والعجعة والاستنطاء ، فقد آل أغلب ذلك إلى الانقراض ، بل اشتملت على الظواهر الراقية التى تناسب وفصاحة اللسان العربى ، وقداسة القرآن العربى ، وذلك : كالإمالة والإدغام والهمز والإسكان وغيرها من الظواهر ... »

فهذه ظواهر فصحي امتصتها لهجة قريش أو بعضها من تقاليد اللهجات

(١) المنجد : ص ٧٤ . (٢) المنجد : ص ٧٥ .

(٣) الإمام أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازى .

(٤) أبو عمرو بن العلاء : د . عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة . سنة

١٩٨٧ ، ص ٩ .

المجاورة ، التي كانت تنازعها السيطرة على لسان العرب ، وبخاصة لهجة تميم « ١٠٠ هـ .

* أمثلة لظواهر لهجية هابطة :

وفيما يلي أمثلة من بعض ما أورده د . على عبد الواحد وافى فى كتابه « فقه اللغة » (١) وإن لم يقسمها إلى فصحي وهابطة :

* عننة تميم :

إبدال همزة (أن) عيناً . . . فى لغة تميم .

مثال : (عن توسمت) بدلاً من (أن توسمت) .

* كشكشة أسد :

إبدال الكاف شيئاً . . . فى لغة أسد .

مثال : (عlish) مكان (عليك) .

* شنشنة اليمن :

إبدال الكاف شيئاً . . . مطلقاً فى لغة اليمن .

مثال : (لبيش اللهم لبيش) مكان (لبيك اللهم لبيك) .

* استنطاء هذيل :

إبدال العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء . . . عند هذيل وقيس والأنصار

وسعد بن بكر .

مثال : يقولون (إنا أنطيناك الكوثر) فى ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ (١) .

وهو منتشر فى اللهجات العامية بالعراق فى العصر الحاضر .

ثم يورد د . وافى أمثلة لبعض القراءات التى اشتملت على ظواهر لهجية

(١) فقه اللغة : د . على عبد الواحد وافى ، دار نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة ،

وأن وضع لها عناوين توحى بأنها ما يطلق عليه علماء القراءات « الأصول » مثل الهمز ، والإمالة ، والإدغام ، والتفخيم ، والإبدال ، وغيرها : وكأنه بذلك يلفت النظر إلى الدور الذي لعبته « اللهجات » في أصول القراءة ، ومن أمثلة ذلك :

* همز ياء (النبي) في بعض اللهجات .

مثال : (النبيء) . وبها جاءت قراءة نافع المدني .

* تسكين ذال (أذن) في بعض اللهجات .

مثال : (أذن) بدلاً من (أذن) . وبها جاءت قراءة نافع أيضاً .

* همز الياء .

مثال : (ضئاء) بدلاً من (ضياء) . وبذلك جاءت قراءة ابن كثير

المكي .

* إدغام الصوتين المتحددين في المخرج أو المتقاربين فيه إذا تجاورا .

مثال : (اتختم) بدلاً من (اتخذتم) وبذلك جاءت قراءة أبي عمرو

البصرى .

* النطق بالصاد في بعض الكلمات في صورة بين الصناد والزاي .

مثال : (الصراط) . وبها جاءت قراءة حمزة .

هذا ، ونظراً لعدم وجود مقياس دقيق وحد واضح يفصل بين ما يمكن اعتباره فصيحاً وبين ما يمكن اعتباره هابطاً في اللهجات ، فإن « صراعاً ما » قد نشأ بين اللهجات ، بعد الترخيص بالقراءة على الأحرف السبعة ، على النطق بحروف القرآن بهذه اللهجة أو تلك . ومع أنه لم يرد عن النبي ﷺ إلا إقراره وتصويبه لكل من اختلفت قراءته فاحتكم إليه ، إلا أن ذلك لم يستمر بعد وفاته ، حيث كان للصحابه آراء بهذا الخصوص ، نبعت كلها من واقع فهمهم وإدراكهم لمفهوم ومعنى رخصة التيسير .

* آراء الصحابة فيما يخص اللهجات :

فعثمان بن عفان (رضى الله عنه) ورد عنه - بصرف النظر عن صحة

السند - ما يفيد بأن هذا الموضوع كان يشغله كما كان يشغل اهتمام الرأى العام حين شرع فى كتابة المصحف العثمانى الإمام .

يقول السجستانى فى كتابه « المصاحف » (١) :

« حدثنا عبد الله قال : حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد قال : أخبرنى أبى قال : أخبرنا سعيد بن عبد العزيز أن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية ، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ .

وفى حديث آخر يقول السجستانى :

« حدثنا . . . عن زياد بن أبى المليح عن أبيه :

قال عثمان بن عفان : يملئ هزيل ويكتب ثقيف » (٢) .

ويقول الإمام مكى فى الإبانة (٣) :

« وقال عثمان للرهط من قريش : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما أنزل بلسانها » ١٠ هـ .

وهكذا اختلفت الروايات حول عثمان ، وإن كان الأغلب أن اختار لهجة قريش ولغتها ولسانها عندما أمر بكتابة المصاحف .

أما عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ، فقد وردت عنه أيضاً الكثير من الأخبار التى توضح مدى اهتمامه بالموضوع ، ودوره الفاعل فى اختيار ، أو ترجيح لهجة عن لهجة ، أو اختيار ظاهرة لهجية فصيحة وإن لم تكن قرشية .

يقول السجستانى (٤) :

« حدثنا . . . قال : لما أراد عمر (ابن الخطاب) أن يكتب الإمام ، أقعد له نفرأ من أصحابه وقال :

(١) كتاب المصاحف : للسجستانى ، ص ٣٢ .

(٢) المصاحف : ص ٣٤ . (٣) الإبانة : ص ٦٥ .

(٤) المصاحف : ص ١٧ .

إذا اختلفتم فى اللغة فاكتبوها ببلغة مضر ، فإن القرآن نزل على رجل من مضر .

وقال السجستاني أيضاً (١) :

« حدثنا . . . قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

لا يملين فى مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف .

وقال السجستاني (٢) :

« والألحان اللغات : وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

إننا لنرغب عن كثير من لحن أبى . . . يعنى لغة أبى (بن كعب) .

ويقول د . عبد الصبور شاهين (٣) :

« وقد كانت مبالغة ابن مسعود فى التزام رواياته والاعتزاز بقراءته ، مدعاة

إلى أن ينكر عمر رضى الله عنه مسلكه ، فكتب إليه حين علم أنه يقرئ الناس (عتى حين) :

« إن القرآن لم ينزل ببلغة هذيل ، فأقرئ الناس ببلغة قريش ، ولا تقرئهم

ببلغة هذيل » (٤) .

وبعد دراسة متعمقة ، يثبت د . عبد الصبور شاهين فى كتابه « أبو عمرو

ابن العلاء » أن « عمر بن الخطاب كان أحد المصادر التى روت قراءة الإدغام عن

رسول الله ﷺ ، وأخذت عنه هذه القراءة » (٥) بالرغم من أن الإدغام هو إحدى

الظواهر اللهجية لتميم ، أما قراءة قريش فقد اشتهرت بالتحقيق وليس بالإدغام .

إلا أن د . شاهين قد اعتبر الإدغام التميمي ظاهرة لهجية راقية وفصيحة ، ولهذا

(١) المصاحف : ص ١٧ . (٢) المصاحف : ص ٤١ .

(٣) أبو عمرو بن العلاء : ص ٨٥ .

(٤) القراءات واللهجات : عبد الوهاب حمودة ص ٨ .

(٥) أبو عمرو بن العلاء : ص ٨٨ .

تبناها عمر بن الخطاب وغيره من الصحابة ، على حين اعترض عمر على غيرها من الظواهر اللهجية الهابطة - فى رأيه - ، كما أوضحنا .

وكان هذا هو مفهوم الاختيار فى مجال اللهجات ، الذى بدأ منذ عهد الصحابة ، واستمر حتى ظهر جلياً واضحاً عند القراء من التابعين وتابعى التابعين ومن جاء بعدهم .

* اختيار أبى عمرو بن العلاء إدغام تميم :

ولقد اشتهر قارئ البصرة أبو عمرو بن العلاء بالإدغام ، حتى كان أحد السمات المميزة لقراءته . وقد جاء هذا اختياراً منه لظاهرة لهجية فصيحة راقية ، فى حدود الرواية ، فالقراءة « سنة متبعة » .

ويبلور د . شاهين ذلك فيقول (١) :

« فابو عمرو فى اختياره لقراءته كان خاضعاً لاعتبارين :

(١) التزام الصدق فى الرواية عن النبى ﷺ أولاً وقبل كل شىء ، وذلك أساس اختياره .

(٢) الصراع العلمى بين القبائل التى دخلت فى الإسلام ، وقد ألقى هذا الاعتبار ظله على انفراده بالإدغام بهذه الصورة الشاملة .

ولم يكن هذا الانفراد انتصاراً خالصاً للهجة معينة ، بقدر ما كان استخداماً لظاهرة لغوية راقية ، فى تلاوة أرقى نص لغوى » .

هذا ، ويمكنك فهم هذه العبارة جيداً إذا علمت أن القارئ أبو عمرو بن العلاء كان ينتسب لتميم ، وإن الإدغام الذى اشتهر به دوناً عن باقى القراء كان لهجة تميمية . وأن أبا عمرو لم يأت اختياره تعصباً للهجة قومه بقدر ما جاء اختياراً للأفصح من لغات العرب وفى إطار ما ورد بالرواية . فأتى اختياره هنا بمثابة تذوق وميل وحب للإدغام ، « فاختاره لقراءته من بين ذلك الحشد الهائل من الروايات والقراءات الذى تحصل لديه » (٢) .

(١) أبو عمرو بن العلاء : ص ٨٦ .

(٢) السابق : نفس الصفحة .

ولما صادف اختيار أبى عمرو هذا قبولاً لدى « الرأى العام » ، فقد التف الناس حول قراءته حتى ذاعت واشتهرت فى الأمصار ، ومن هنا اختارها ابن مجاهد حين سبع سبعته . تم هذا لأبى عمرو بعد أن تعرض لأكثر من اختبار ، أجراه له « الرأى العام » ليستوثق من أن اختياره هذا قد جاء عن رواية متواترة ، وفى كل مرة كان أبو عمرو ينجح فى إثبات ذلك ، حتى اطمأن الناس . ولم يكن ذلك أمراً سهلاً بالمرة (١) .

* * *

* عاصم . . . قارىء اختار ألا يختار :

وحفص . . . روى عن عاصم بلا اختيار :

على النقيض من أبى عمرو بن العلاء ، جاءت تصريحات عاصم بن أبى النجود لتؤكد أنه لم يخالف أستاذه وشيخه أبا عبد الرحمن السُّلمى فى حرف واحد من حروف القرآن . وعلى هذا النهج سار تلميذه وربيبه وراويه « حفص » ليؤكد أنه لم يخالف شيخه وأستاذه عاصم فى حرف واحد من قراءته ، بل وأكثر من هذا يعلن - وبفخر يحسب له - أنه لم يقرأ على أحد سوى أستاذه عاصم .

وهكذا وصلتنا رواية حفص عن قراءة عاصم بلا خلاف فى حرف واحد . وهى القراءة التى حققت النصر الاستراتيجى - على المدى البعيد - وإن لم تحقق النصر التاكتيكى فى بدء ظهورها ، على الأقل بين العوام لأسباب سبق ذكرها ، ويأتى فى مقدمتها أسباب تتعلق بالخيلاء الذى اشتهر عن عاصم والترفع الذى جعل راويه الثانى شعبه لا يمكن الناس من نفسه ، حتى جاء اليوم الذى لا تجد فيه من يقرأ بقراءة عاصم فى الكوفة إلا الرجل أو الرجلان ، فى حين التف الجميع حول قراءة حمزة - المنافس العتيد لعاصم - لتستحوذ على شعبية القاهرة فى حينها .

(١) انظر : أبو عمرو بن العلاء د . عبد الصبور شاهين .

إلا أن « الصفوة » من القراء والرواة في كافة الأمصار كان لهم رأى آخر .
فقد علموا فضل هذه القراءة - التى أتت بلا اختيار - وبإسناد غاية فى العلو ،
فالتف الجميع حولها مع مرور الوقت ، يأخذون عنها ويختارون منها لقراءاتهم ،
أعلنوا ذلك أم أخفوه ، فقد أثبتته الإحصاءات ، وبخاصة فى فرش الحروف .

فقد اتجه نحو حروف عاصم بحفص عنه ، القارئان النحويان ، أبى عمر بن
العلاء فى البصرة ، والكسائى فى الكوفة ، وهما من السبعة . وقد تابعهما على
نفس الاتجاه ، القارئ يعقوب فى البصرة وخلف فى الكوفة وهما من العشرة
وفى المدينة ، اتجهت اختيارات نافع فى فرش الحروف نحو رواية حفص عن
عاصم .

ولم يشذ عن ذلك التوجه سوى ابن محيصن فى مكة ، وقد علمنا كيف
هجر الناس قراءته إلى قراءة معاصره ابن كثير الذى ارتبط فرش حروفه بقراءة
عاصم بحفص عنه هو الآخر .

أما ابن عامر قارئ الشام الأوحى بعد أبى الدرداء فقد جاء ارتباطه بقراءة
عاصم على القمة ، ويبدو أن ذلك كان من العوامل التى شجعت ابن مجاهد
على أن يدخله فى سبخته المشهورة .

أما اليوم ، فرواية حفص عن عاصم هى التى تتربع على عرش الشهرة فى
معظم أنحاء العالم الإسلامى ، لتعلن بعد نحو خمسة عشر قرناً من الزمان ،
قتلت فيه القراءات والروايات بحثاً وتدقيقاً ، أنها الاختيار الأنسب .

وتنتهى رواية حفص عن عاصم إلى القطيبين عثمان وعلى رضى الله
عنهما . فقد كان أبو عبد الرحمن السلمى يسمع من عثمان ويعرض على
على . وعن السلمى قرأ عاصم ، فلم يخالفه فى حرف واحد مما أخذه عن
عثمان وعلى . وعن عاصم روى حفص ، فلم يخالفه فى حرف واحد مما قرأه
على السلمى .

وقد حدث أبو بكر بن عياش (شعبة) قال : قال لى عاصم :
« ما أقرانى أحد حرفاً إلا أبو عبد الرحمن السلمى ، وكنت أرجع من

عنده فأعرض على زر (بن حبيش) ، وكان زر قد قرأ على عبد الله (بن مسعود) (١) .

روى حفص عن عاصم ، قال : قال لى عاصم :

ما كان من القراءة التى أقرأتك بها فهى القراءة التى قرأت بها على أبى عبد الرحمن السلمى عن على . وما كان من القراءة التى أقرأتها أبا بكر ابن عياش (شعبه) - وهو مكثر فى الإمامة عن عاصم - فهى القراءة التى كنت أعرضها على زر بن حبيش عن ابن مسعود (٢) .

وهكذا يبين لنا هذا الخبر أن عاصماً لم ينتهج منهج الاختيار عند قراءته عن شيوخه ، بمعنى الخلط بين القراءات المختلفة ، والخروج بتوليفة تعبر عن مذهب له ذا طابع متميز ، كما فعل أبو عمرو مثلاً . ولكنه كان شديد الحرص على أن ينقل كل قراءة أخذها عن واحد من شيوخه ، تماماً كما تلقاها منه ، نقية من أى اختيار لشيخ آخر يغير من معالمها .

فنقل قراءة السلمى إلى حفص ، تماماً كما أخذها عنه ، لم يخالفه فى حرف واحد ، فجاءت خالية من الإمامة إلا فى كلمة (مجريها) .

وأقرأ راويه الثانى أبا بكر بن عياش (شعبه) قراءة أخذها عن زر بن حبيش عن ابن مسعود ، كثرت فيها الإمامة .

وإلى هذه النتيجة وصل الدكتور عبد الفتاح شلبى فى رسالة الماجستير عن الإمامة فى القراءات واللهجات العربية .

فإن قلت إن ابن مجاهد قد أورد أن الاختلاف بين حفص وشعبة فى روايتهما عن عاصم قد بلغ خمسمائة وعشرين حرفاً (٣) .

(١) الإمامة فى القراءات واللهجات العربية : رسالة ماجستير للدكتور عبد الفتاح شلبى ، دار نهضة مصر ، ص ١٢٣ ، والسبعة : لابن مجاهد ص ٧٠ .

(٢) الإمامة : ص ١٢٤ .

(٣) السبعة : هامش ص ٧١ .

أقول : إنه اختلاف معلوم المصدر . فرواية حفص عن عاصم تنتهى إلى السلمى ، أما رواية شعبة عن عاصم فتنتهى إلى زر بن حبیش . وتنتهى قراءة السلمى إلى على وعثمان ، فى حين تنتهى قراءة زر بن حبیش إلى ابن مسعود ، وعنه جاءت الإمالة .

هذا ولم يفعل عاصم - باسم الاختيار - ما فعله غيره من القراء حين خلطوا اختياراتهم من هنا وهناك بعضها ببعض ، فوصلتنا قراءة مهجنة غير نقية . وكان عاصم قادراً على أن يفعل ذلك دون شك ، إلا أنه أثر أن ينقل لنا قراءة شيوخه نقية تماماً . وترك لمن خلفه مهمة الاختيار بين قراءته النقية عن مصادره الواضحة ، وقراءة غيره المهجنة فرشاً أو أصولاً أو كليهما معاً .

وأعتقد أن هذا السبب وحده كان كافياً لأن تنتصر قراءة عاصم برواية حفص عنه فى المعركة فى النهاية ، اختياراً من الناس والتاريخ معاً .

انظر إلى الفرق بين هذا المنهج : منهج حفص عن عاصم عن السلمى عن على وعثمان بلا اختلاف فى حرف واحد ، وبين منهج الكسائى قارئ الكوفة (من السبعة) حين خالف قراءة أستاذه حمزة (من السبعة أيضاً) فى نحو ثلاثمائة حرف لأنه قرأ على غيره ، فاختر من قراءة حمزة ، ومن قراءة غيره قراءة ، وترك منها كثيراً ، على حد تعبير الإمام مكى بن أبى طالب (١) .

أو انظر لأبى عمرو بن العلاء ، فقد قرأ على ابن كثير (قارئ مكة ، من السبعة) وهو يخالفه فى أكثر من ثلاثة آلاف حرف ، لأنه قرأ على غيره ، واختار من قراءته (ابن كثير) ومن قراءة غيره قراءة (٢) .

ويقول ابن مجاهد (٣) : « اختار الكسائى من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءة متوسطة غير خارجة عن آثار من تقدم من الأئمة » . إلا أنه لم يذكر على وجه التحديد عن أى إمام من هؤلاء الأئمة ترك الكسائى اختيار شيخه وأستاذه حمزة إلى اختياره فى كل حرف من حروف الاختلاف .

(١) الإبانة : ص ٥٠ . (٢) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(٣) السبعة : ص ٣٥ .

* نافع يختار لنفسه ، ولا يختار لغيره :

إما رواية ورش عن نافع المدني ، وهى الرواية التى ما زالت محتفظة بكيانها إلى جانب رواية حفص عن عاصم ، حيث يقرأ بها المغرب وأجزاء من السودان وغيرها فى الوقت الحاضر ، وضبطت بها المصاحف هناك ، فيقول عنها الإمام مكى فى إبانته (١) :

« وهذا قالون (الراوى الثانى لنافع) ربيب (نافع) وأخص الناس به .
ورش أشهر الناس فى المتحملين إليه ، اختلفا فى أكثر من ثلاثة آلاف حرف ،
من قطع وهمز ، وتخفيف وإدغام وشبيهه .

ولم يوافق أحد من الرواة عن نافع رواية ورش عنه ، ولا نقلها أحد عن نافع غير ورش .

وإنما ذلك لأن ورشاً قرأ عليه (نافع) بما تعلم فى بلده ، فوافق ذلك رواية قرأها نافع عن بعض أئمتة ، فتركه على ذلك .
وكذلك ما قرأ عليه قالون وغيره « ١ هـ .

فانظر الفرق هنا بين منهج عاصم ومنهج نافع . فنافع لا يقرأ ورشاً ولا قالون بما اختاره من القراءة ، ولكنه « يقرهما » على ما قرأ عليه بشرط أن يكون قد سمع ذلك من شيوخه .

فإذا سألت عن عدد شيوخه ، أجبتك على لسان نافع بأنهم أكثر من سبعين شيخاً من التابعين .

يقول نافع :

« قرأت على سبعين من التابعين ، فما اتفق عليه اثنان أخذته ، وما شذ فيه واحد تركته » .

(١) الإبانة : ص ٨٤ .

ويعقب مكى بن أبى طالب : فكان مما قرأ عليه بما اتفق فيه اثنان من أئمتته لم ينكر عليه ذلك (١) .

إلا أن ما نود الإشارة إليه هنا هو التساؤل الآتى :

من هم على وجه التحديد شيوخ ورش الذين قرأ عليهم بمصر ، وأقره نافع على قراءته عنهم ؟

أعتقد أنك لن تجد لهذا السؤال إجابة محددة ، وهو جدير بأن يكون نقطة بحث لرسالة ماجستير أو دكتوراه . فإذا نجح الباحث فى التوصل إلى تفسير ، وجب ساعتها على علماء القراءات واللغويين المعاصرين أن ييسروا ما تم التوصل إليه للذكر ، فيطرحوه ، وأمثاله ، فى كتب منشورة بلغة سهلة ميسرة ، تكفى المسلمين - من غير المتخصصين - مؤونة الغوص فى المتاهات والخروج بلا شىء .

ونعود إلى منهج نافع ، حيث لم يقرئ أحداً بقراءته التى اختارها لنفسه إلا أن يطلب منه ذلك .

يقول مكى (٢) : « وقد روى عنه (نافع) أنه كان يقرئ الناس بكل ما قرأ به حتى يقال له :

نريد أن نقرأ عليك باختيارك مما رويت » .

ويقول أيضاً (٣) : « وقد روى عن غير نافع أنه كان يرد على أحد ممن يقرأ عليه إذا وافق ما قرأ به على بعض أئمتته .

فإن قيل له : أقرئنا بما اخترته من روايتك ، أقرأ بذلك » .

* * *

(٢) الإبانة : ص ٨٤ .

(١) الإبانة : ص ٨٣ .

(٣) الإبانة : ص ٨٥ .

الباب الثاني

اتجاهات القراء

الفصل الرابع

أشهر المقرئين من الصحابة والتابعين

- مبعوثو عثمان إلى الأمصار •
- القراء من الصحابة والتابعين •
- القراء بالشاذ من الصحابة والتابعين •
- الصحابة الذين انتهت إليهم القراءات •
- ماذا عن ابن مسعود ؟ •

**** أشهر المقرئين من الصحابة والتابعين :**

*** المبعوثون بنسخ المصحف الإمام إلى الأمصار :**

يقول د . عبد الفتاح شلبي (١) :

« لم يرسل عثمان المصاحف إلى الأمصار وحدها بل أرسل مع كل مصحف إماماً عادلاً ضابطاً تكون قراءته موافقة لما في هذا المصحف » غالباً :

– فامر زيد بن ثابت أن يقرء بالمدنى .

– وبعث عبد الله بن السائب (المخزومي) مع المصحف المكي .

– والمغيرة بن أبي شهاب (المخزومي) مع الشامي .

– وأبا عبد الرحمن السلمى مع (المصحف) الكوفى .

– وعامر بن عبد القيس مع البصرى .

فعند ذلك اجتمع الناس فى الأمصار على مصحف عثمان ، وقرأ أهل كل مصر من قراءتهم التى كانوا عليها بما يوافق خط المصحف تلقياً عن الصحابة الذين تلقوه من فمه ﷺ ، وتركوا من قراءتهم ما خالف خط المصحف .

وقام التابعون فى ذلك مقام الصحابة .

فقرأ قوم مصحفهم : ﴿ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ ﴾ (٢) بالحاء والباء على ما كانوا عليه ، وقرأ الآخرون : (من كل جدث) بالجيم (والثاء) على ما كانوا عليه .

وقرأ قوم : ﴿ يَقْضُ الْحَقُّ ﴾ (٣) بالصاد على ما كانوا عليه .

وقرأ الآخرون : (يَقْضِ الحق) بالضاد على ما كانوا عليه .

وكذلك ما أشبه هذا ، لم يخرج أحد فى قراءته عن صورة خط المصحف ولم يكن فى ذلك متشعباً ، وباختياره ، وإنما كان ذلك بناء عن قراءة سمعها من

(١) المدخل والتمهيد : د . عبد الفتاح شلبي ، المكتبة الفيصلية – مكة ص ٥٤ .

(٢) الانبياء : ٩٦ . (٣) الأنعام : ٥٧ .

أشيأه (الصأابة القراء) مسنده إلى رسول الله ﷺ كما يقول زيد بن ثابت :
القراءة سنة « أ هـ .

والصأابى الوأىء فى مبعوئى عثمان هو زيد بن ثابت (ت ٤٥ هـ) .
وهو كاتب النبى وأمينه على الوأى ، كما أنه كان الثقة الذى وكل إليه أمع
القرآن فى صأيفة وأءة بتكليف من أبى بكر ، ثم نسخ المصأف الإمام
بتكليف من عثمان ، وأخيراً كلفه عثمان بأن يكون مبعوئه ووكيله فى إقراء
القرآن بالمدينة من وأع نسخة المصأف الإمام .

وقء ءءلمء على يءيه فى القراءة الكأير من الصأابة ، ويأى على رأسهم :
عءء الله بن عباس ، وأبو هريرة . اللذان ءءلمءا أيضاً على الصأابى المقرئ
أبى بن كعب ، رأس الإقراء بالمدينة .

أما عءء الله بن السائب المأزمى مبعوئ عثمان إلى مكة ، فقد ءءلمء عليه
ابن كأير المكى (٤٥ هـ - ١٣٠ هـ) قارئ مكة من سبعة ابن مأهء
المشهرة .

والمأيرة بن أبى شهاب المأزمى مبعوئ عثمان إلى الشام ، فهو صأاب
سيدنا عثمان بن عفان ، وعرض عليه القرآن نفسه ، وقد ءءلمء عليه عءء الله بن
عامر الدمشقى (٢١ - ١١٨ هـ) أءء القراء السبعة ، ومقرئ الشام وأعلامهم
سنداً .

وأبو عءء الرحمن السلمى مبعوئ عثمان إلى الكوفة للإقراء بنسخة
المصأف الإمام ، فقد « ءعلم القرآن من عثمان وعرضه على على » (١) ،
وءءلمء عليه عاصم بن أبى النأوء مقرئ الكوفة ، لم يأالفه فى أرف وأء .
أما عامر بن عءء القيس مبعوئ عثمان إلى البصرة بنسخة من مصأفه
الإمام فبيءو أن قراءءه لم ءشتهر هناك ، أىء لم يءرءء اسمه إلا فيما نءر .

(١) الإمالة : ص ١١٣ .

* المشهورون من الصحابة :

يقسمهم د . شوقي ضيف إلى مهاجرين وأنصار فيقول (١) :

* من المهاجرين :

الخلفاء الراشدون سعد بن أبي وقاص وطلحة وعبد الله بن مسعود وحذيفة وسالم وأبو هريرة وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن السائب المخزومي وعبد الله بن الزبير وأمّهات المؤمنين : عائشة وحفصة وأم سلمة .

* ومن الأنصار :

زيد بن ثابت وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء وأنس بن مالك ومُجمَع بن جارية « ١٠ هـ .

أما د . شعبان إسماعيل فيقسمهم إلى أساتذة وتلاميذ ، ويركز على بعضهم فقط ممن اعتبرهم « مشهورين » ، فقال (٢) :

« اشتهر من الصحابة عدد كثير بإقراء القرآن الكريم ، بجميع قراءاته ورواياته نذكر منهم :

١ - عثمان بن عفان (رضى الله عنه) ٠٠٠ وتلمذ عليه الكثيرون ، منهم : المغيرة بن أبي شهاب المخزومي (ت ٩١ هـ) .

٢ - علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) ٠٠٠ وتلمذ عليه كل من :

(أ) أبي عبد الرحمن السلمى (ت ٧٣ هـ) .

(ب) أبي الأسود الدؤلى (ت ٦٩ هـ) .

(ج) عبد الرحمن بن أبي ليلى (ت ٨٣ هـ) .

٣ - أبي بن كعب (رضى الله عنه) من أجلاء الصحابة ، من

(١) السبعة : ص ١٢ ، ١٣ .

(٢) القراءات ، أحكامها ومصادرها : ص ٥١ - ٥٢ .

كُتِّبَ الوحي لرسول الله ﷺ قرأ القرآن على رسول الله ﷺ وأتم حفظه في حياته ﷺ .

أخذ عنه الكثيرون منهم :

(أ) عبد الله بن عباس .

(ب) أبو هريرة .

(ج) أبو عبد الرحمن السلمي ، وغيرهم كثيرون .

٤ - زيد بن ثابت الأنصاري ، أحد كتّاب الوحي لرسول الله ﷺ وهو الذي جمع القرآن في عهد الخليفتين : (أبي بكر) و (عثمان) رضي الله عنهما . كما أوفده (عثمان بن عفان) إلى أهل المدينة المنورة مع المصحف الذي أرسله إليهم .

وتتلمذ عليه الكثيرون منهم :

(أ) أبو هريرة .

(ب) عبد الله بن عباس .

(ج) عبد الله بن عمر .

(د) أنس بن مالك . رضي الله عنهم جميعا .

٥ - عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) ، من أجلاء الصحابة ومن السابقين إلى الإسلام ، أتم حفظ القرآن في حياة النبي ﷺ . قال عنه ﷺ : « من أحب أن يقرأ القرآن غصّاً كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أم عبد » .

تتلمذ عليه الكثيرون منهم :

(أ) علقمة بن قيس .

(ب) الأسود بن يزيد النخعي .

(ج) مسروق بن الأجدع .

(د) أبو عبد الرحمن السلمي .

٦ - أبو موسى الأشعري (رضى الله عنه) الصحابى الجليل ، كان من أطيب الناس صوتاً بالقرآن الكريم . سمع النبي ﷺ قراءته فقال : « لقد أوتيت مزامراً من مزامير آل داود » .

تتلمذ عليه الكثيرون منهم :

(أ) سعيد بن المسيب .

(ب) حطان الرقاشى .

(ج) أبو رجاء العطاردى (١) « ١٠ هـ .

* رواة القراءات الشاذة من الصحابة :

يقول د . شعبان إسماعيل (٢) إن رواة القراءات الشاذة كثيرون ، ومنهم بعض الصحابة والتابعين ، وذكر منهم على سبيل المثال :

١ - عبد الله بن مسعود (ت ٣٢ هـ) .

٢ - أبو موسى الأشعري (ت ٥٢ هـ) ، وهو عبد الله بن قيس ، كان من قراء الصحابة وفضلائهم ، ومن أكثرهم فقهاً ، وأحسنهم صوتاً بقراءة القرآن .

٣ - عبد الله بن الزبير بن العوام ، القرشى المكى ، الصحابى الجليل (ت ٧٣ هـ) .

وما يهمنا هنا هو ما ورد بخصوص ابن مسعود ، رأس مدرسة الكوفة فى الإقراء ، والذى إليه انتهت خمس قراءات من بين الأربع عشر ، أو أربع قراءات من العشر المشهورة ، أو ثلاث قراءات من السبع المتواترة . فقد انتهت إليه قراءة الأعمش وحمزة ، والكسائى وخلف وعاصم برواية شعبة عنه .

ونتوقف قليلاً أمام عبارة أوردها د . شعبان إسماعيل فيما يخص ابن مسعود ، حيث قال عنه (٣) : « أتم حفظ القرآن فى حياة النبي ﷺ » .

(١) راجع النشر : ج ١ ص ٦ .

(٢) القراءات ، أحكامها ومصادرها : ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٣) السابق : ص ٥٢ .

وقد خالف بذلك قول الإمام مكى بن أبى طالب من إبانته حين قال (١) :

« ولم يختلف فى أن ابن مسعود لم يكن على عهد النبى ﷺ جمع القرآن كله . بل قال إنى جمعت منه على عهد النبى بضعا وسبعين سورة ، وتلقيت من فى رسول الله ﷺ سبعين سورة » .

ويشير الإمام مكى إلى أن الأحاديث التى وردت عن النبى ﷺ بشأن ابن مسعود ربما كانت تشير إلى « سماع ترتيل القرآن » من ابن مسعود ، وأن معنى ذلك أن النبى كان يحض الناس على ترتيل القرآن كما يرتله ابن مسعود إذا قرأ وليس معناه أنه يريد حرفه الذى يخالف المصحف (٢) .

وأقول : إذا جاز هذا الفهم للأحاديث التى وردت بشأن ابن مسعود فهى صحيحة أيضاً - وبنفس المعنى - فيما يخص أبو موسى الأشعرى حيث تشير نصوص الأحاديث إلى حسن أدائه ، ولا تشير إلى حروف قراءته ، والتى صنفت فى الشواذ بما يشبه الإجماع .

ويقودنا ذلك إلى استعراض سريع لموقف باقى الصحابة من ناحية جمعهم القرآن على عهد النبى ﷺ من عدمه .

*** هل حفظ الصحابة القرآن على عهد النبى ﷺ :**

ناقش مكى بن أبى طالب هذا الموضوع فبدأ بطرح سؤال افتراضى (٣) :

« قال : فإن سأل سائل ، فقال :

هل جمع حفظ القرآن على عهد النبى ﷺ أحد من الصحابة ، فتقوى بذلك الأنفس فيما يقرءونه اليوم ؟ »

فالجواب :

أنه قد اختلف الناس فيمن جمع القرآن على عهد النبى ﷺ .

ثم بدأ فى سرد مجموعة من الأخبار التى وردت فى هذا الشأن بأسماء

(٢) الإبانة : ص ٩٧ - ٩٨ .

(١) الإبانة : ص ٩٥ .

(٣) الإبانة : ص ٩٢ .

مجموعة من الصحابة منهم : أبى بن كعب وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبى حذيفة وعثمان بن عفان وتميم الدارى (١) وأبو الدرداء وسعد بن عبيد القارىء وأبو زيد (١) وزيد (ليس زيد بن ثابت) (١) .

وقال ابن عباس :

« جمع القرآن على عهد النبى ﷺ أربعة : معاذ بن جبل وأبى بن كعب وسالم مولى أبى حذيفة . . . ومجمع بن جارية » .

ثم قال مكى أنه لم يختلف فى أن ابن مسعود لم يكن على عهد النبى ﷺ جمع القرآن كله ، بل جمع فقط نحو سبعين سورة .

ورد على تساؤل بخصوص عدم ورود ذكر زيد بن ثابت فى بعض الأخبار ، بأن النبى ﷺ قد ترك ذكر من اشتهر فى القرآن وعرف فضله ولم يجهل قدره وعلمه كزيد بن ثابت وعلى بن أبى طالب ، فنبه على قوم لم يشتهروا فى ذلك الوقت مثل شهرتهما .

فإن قيل :

فإن بعض القراء السبعة المشهورين ومن تقدمهم من أنهم يسندون قراءتهم إلى ابن مسعود عن النبى ، وإلى على (بن أبى طالب) عن النبى ، وإلى عثمان عن النبى وهؤلاء لم يكونوا يحفظون القرآن على عهد النبى ﷺ .

فكيف قرءوا على النبى ، ونقلوا عنه القراءة ، وهم لا يحفظون القرآن ؟

فالجواب :

أن عثمان ، قد روى أنه كان يحفظ القرآن على عهد النبى ﷺ .

أما ابن مسعود فيجوز أن يكون قرأ (ما زاد على السبعين سورة) بعد موت النبى ﷺ على من قرأ على النبى ، فأسنده إلى النبى (١) .

(١) الإبانة : ص ١٠٣ .

ويجوز أن يكون قراه على النبي تلقيناً ، ولم يكمل له إتقان حفظه إلا بعد موت النبي ﷺ .

ويجوز أن يكون سمعه من النبي فيقوم سماعه منه مقام قراءته عليه .
ويستطرد مكى بن أبى طالب فيقول :

وكذلك تأويلنا فى على وعثمان إن كانا لم يكمل لهما حفظ القرآن على عهد النبي ﷺ .

وينهى الإجابة بقوله :

على أن القراء يسندون قراءتهم فى الأكثر إلى أبى (بن كعب) ، وزيد (بن ثابت) والنبي ﷺ . وقد صحت قراءتهما (أبى وزيد) على النبي ﷺ .

والخلاصة : أن الإمام مكى يوحى حديثه - على ما فهمنا - بأنه :

* مطمئن لحفظ أبى بن كعب وزيد بن ثابت القرآن كله على عهد النبي ﷺ .

* غير مطمئن تماماً بأن : عثمان وعلى قد جمعا القرآن كله على عهد النبي ﷺ .

* يشك فى أن ابن مسعود قد جمع على عهد النبي ﷺ أكثر من سبعين سورة فقط .

* أن النبي ﷺ كان يمدح طريقة ابن مسعود فى ترتيل القرآن ، وليس حروفه التى حفظ بها القرآن ووردت بها الكثير من القراءات الشاذة .

* غير متأكد من الحرف الذى كتب عليه المصحف الإمام ، هل هو حرف زيد بن ثابت أم حرف أبى بن كعب ؟ وإن رجح أنه حرف زيد قائلاً : « وعلى الحرف الأول (حرف زيد) أكثر الرواة » (١) .

ويعنى بحرف زيد : قراءته وروايته وطريقته .

(١) الإبانة : ص ٩٥ .

* شبهة ألحقت بابن مسعود (رضى الله عنه) :

نوه محقق كتاب الإبانة الدكتور عبد الفتاح شلبى فى هامش الكتاب معلقاً على خبر ابن عباس الذى سبق ذكره بأنه قد جمع القرآن على عهد النبى ﷺ أربعة ، ذكر منهم مجمع بن جارية ، فقال فى الهامش (١) :

« ومجمع بن جارية بن عامر العطاف الانصارى الصحابى ، وكان غلاماً حدثاً ، حين جمع القرآن .

وكان أبوه جارية ممن اتخذ مسجد الضرار .

وكان مجمع يصلى بهم فيه ، ثم أخربه النبى ﷺ .

فلما كان زمان عمر ، كلم ليصلى بالناس ، فقال (عمر) : لا ...
أو ليس بإمام المنافقين فى مسجد الضرار .

فقال لعمر : والله الذى لا إله إلا هو ما علمت بشيء من أمرهم .

فتركه عمر فصلى بهم « ١٠ هـ تعليق د . شلبى بالخبر الذى أسنده إلى كتاب « طبقات القراء : ج ٢ ص ٤٢ » .

* الصحابة الذين انتهت إليهم القراءات السبع :

هم : أبى بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، وعلى بن أبى طالب ، وعثمان ابن عفان رضى الله عنه .

١ - قال القرطبى (٢) :

* أسند عاصم قراءته إلى على وابن مسعود .

* وأسند ابن كثير قراءته إلى أبى بن كعب .

* وكذلك أبو عمرو بن العلاء أسند قراءته إلى أبى .

* وأما عبد الله بن عامر فإنه أسند قراءته إلى عثمان .

(١) هامش الإبانة : ص ٩٤ ، تحقيق د . عبد الفتاح إسماعيل شلبى .

(٢) تفسير القرطبى : ص ٥٨ ، الاختيار فى القراءات : ص ١٠ - ١١ .

وهؤلاء يقولون : قرأنا على رسول الله ﷺ .

(٢) وقال الزركشى (١) :

* قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو راجعة إلى أبى .

* وقراءة ابن عامر إلى عثمان بن عفان .

* وقراءة عاصم وحزمة والكسائى إلى عثمان وعلى وابن مسعود .

(٣) وعلمنا أن مكى بن أبى طالب رجع أن « المصحف الإمام » - وهو

أساس قراءة السبعة - قد كتب على حرف زيد بن ثابت ، أى على قراءته وروايته وطريقته .

* أين ابن مسعود من رواية حفص عن عاصم ؟ :

لما كان المصحف السائد بمصر حالياً ، وبمعظم البلاد الإسلامية أيضاً ، هو النسخة المكتوبة من القرآن الذى يتلى برواية حفص عن قراءة عاصم ، وعلى أساسها تم شكله ونقطه . ولما كانت الآراء قد اجتمعت على أن قراءة عاصم تنتهى إلى ابن مسعود - جنباً إلى جنب - مع عثمان وعلى .

فقد كان من الطبيعى عند كتابة « التعريف بالمصحف » ، والذى يكتب عادة فى نهاية كل مصحف مطبوع ، أن يرد اسم ابن مسعود فيمن انتهت إليهم رواية حفص، ولكن الحاصل أنك لا تجد اسم ابن مسعود فيمن أسندت إليهم رواية حفص عن قراءة عاصم . بل وتجد أسماء أبى بن كعب وزيد بن ثابت ، جنباً إلى جنب مع عثمان وعلى .

وفيما يلى نص ما كتب تحت عنوان « تعريف بهذا المصحف الشريف » لمصحف المدينة النبوية المطبوع بمجمع خدام الحرمين الشريفين الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة بإشراف وزارة الحج والأوقاف عام ١٤١٣ هـ :

« كتب هذا المصحف وضبط على ما يوافق رواية حفص بن سليمان

(١) البرهان فى علوم القرآن ، للزركشى : ج ١ ص ٣٣٨ .

ابن المغيرة الأسدي الكوفي لقراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي التابعي عن
أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي عن عثمان بن عفان وعلى بن
أبي طالب وزيد بن ثابت وأبي بن كعب عن النبي ﷺ « ١٠ هـ .

فأين ابن مسعود الذي تواترت الروايات - بما يشبه الإجماع - على أن
قراءة عاصم انتهت إليه فيمن انتهت ؟ .

وما السرفى إضافة زيد بن ثابت وأبي بن كعب مع العلم بأن ما تواتر من
الروايات لم تذكر إلى جانب ابن مسعود سوى عثمان وعلى ، وإليهم الثلاثة
أسند علماء القراءات على مر العصور قراءة عاصم ؟ .
وأبدأ بالرد على السؤال الأخير فأقول :

ربما ورد اسم زيد بن ثابت وأبي بن كعب لأن على حرفيهما كتب
المصحف العثماني الإمام ، وعلى حرف زيد بالذات أكثر الرواة ، على حد قول
مكي بن أبي طالب في إبانته ، والذي قال إن حرفه يعنى : قراءته وروايته
وطريقته .

فإذا كان ذلك كذلك ، فوجب إذن إسناد أى رواية لأى من القراء السبعة
المتواترة إلى زيد وأبي ، من باب دورهما المعروف فى كتابة « المصحف الإمام »
المتواتر قطعاً ، اليقيني الثبوت بالدليل المادى الملموس الذى هو خطه ورسمه ،
من غير نقط ولا إعجام .

فإذا أتينا إلى الضبط والشكل والإعجام ، فلا بد إذن أن يتم ذلك على
أساس القارئ ، وهو عاصم الكوفي فى حالتنا .

فإذا علمنا أن ابن مجاهد كان قد اختار لكل قارئ راويين ، ولما علمنا أن
راويي عاصم هما : حفص وشعبة . وأن شعبة قد خالف حفصاً فيما رواه عن
عاصم فى أكثر من خمسائة حرف ، كما سبق وأوضحنا ، فقد كان من
الضرورى أن يتم ضبط المصحف على إحدى الروایتين .

وفى حالتنا ، تم ضبط المصحف على رواية حفص ، وليس على رواية

شعبة . فإذا ربطنا هذا باختفاء اسم ابن مسعود من إسناد رواية حفص ، فإنه لا يبقى أمامنا سوى تفسير واحد ، وهو :

أن قراءة عاصم تنتهى إلى ابن مسعود فقط فيما رواه عنه شعبه . وأن رواية حفص عن عاصم تنتهى إلى عثمان وعلى ، دون ابن مسعود .

يؤكد ذلك ، ما جاء بالتعريف من إسناد رواية حفص لقراءة عاصم عن أبي عبد الرحمن السلمى عن عثمان وعلى . ولم يذكر إسناد قراءة عاصم لزر بن حبيش ، والمعروف أن عاصماً كان يعرض عليه ما قرأه على السلمى ، وأن قراءة زر بن حبيش كانت تنتهى إلى ابن مسعود .

من هنا يمكن القول بأن عاصماً قد أقرأ راوييه بقراءتين :

الأولى : أقرأها لحفص ، عن السلمى ، عن عثمان وعلى .

والثانية : أقرأها لشعبة ، عن زر بن حبيش ، عن ابن مسعود

(وعثمان) .

وإلى هذه النتيجة انتهى د . عبد الفتاح إسماعيل شلبى فى رسالته للماجستير بعنوان « فى الدراسات القرآنية واللغوية . . . الإمالة فى القراءات واللهجات العربية » (١) وناقشها عام ١٩٥٢ م ، فقال :

« وإذا فقد كانت هناك مدرستان لعاصم :

أحدهما : ممثلة فى السلمى ، يؤثر عنها الفتح .

والأخرى : ممثلة فى زر بن حبيش ، يؤثر عنها الإمالة .

فما أثر هاتين المدرستين فى رواية كل من أبى بكر (شعبة) وحفص عن

عاصم ؟

لقد روى أبو بكر عن عاصم إمالة غامرة ، ولم يرو حفص عن عاصم إلا

(١) مطبوعة فى كتاب بنفس العنوان ، دار نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة ،

(مجريها) (١) في المشهور عنه . فهل اتصلت رواية أبي بكر بشيوخ عاصم :
زر أو الشيباني من أصحاب المدرسة المميلة ؟ .

وهل اتصلت قراءة حفص بشيخ عاصم أبي عبد الرحمن السلمي ، وهو
صاحب المدرسة الفاتحة .

يجيب عن هذا ما رواه حفص عن عاصم إذ قال : قال لي عاصم :

« ما كان من القراءة التي أقرأتك بها فهي القراءة التي قرأت بها علي
أبي عبد الرحمن السلمي عن علي . وما كان من القراءة التي أقرأتها أبا بكر
ابن عياش - وهو مكثر في رواية الإمامة عن عاصم كما انتهينا من قبل -
فهي القراءة التي كنت أعرضها علي زر بن حبيش عن ابن مسعود (٢) » ١٠١ هـ .

وبهذا نكون قد فسرنا التناقض الظاهري بين ما جاء علي لسان علماء
القراءات مما امتلأت به كتب القراءات وعلوم القرآن علي مدى خمسة عشر قرناً
من الزمان ، من نسبة قراءة عاصم إلي ابن مسعود ، وما جاء مكتوباً في مصاحفنا
التي نقرأ بها من عدم ذكر ابن مسعود فيمن أسندت إليهم قراءة عاصم .
إلا إنك لو أعدت قراءة النص السابق لما وجدت لعثمان ذكراً !! .

انظر قول عاصم لحفص : « ما كان من القراءة التي أقرأتك بها ، فهي
القراءة التي قرأت بها علي أبي عبد الرحمن السلمي عن علي » . ولم يذكر
عثمان .

ومن العجيب أن د . شلبي في نفس كتابه (٣) قد ذكر أن السلمي قد
تعلم القرآن من عثمان ، وعرض علي علي .

ويبدو أن الأمر قد يحتاج « لدكتوراه » أو أكثر ، علناً نصل إلي رأي
نطمئن إليه في مسألة : « عثمان وعلي ، وأيهما تعلم منه السلمي القرآن » .

* * *

(٢) طبقات القراء : ج ١ ص ٣٤٨ .

(١) هود : ٤١ .

(٣) الإمامة : ص ١١٣ .

* المشهورون من التابعين بإقراء القرآن :

يقول د . شوقي ضيف (١) :

« وعن هؤلاء الصحابة الاجلاء وأمثالهم من الحفظة حملة القرآن رواه بقراءته التابعون ، ونصب أعينهم المصحف العثماني ؛ وقاموا فى ذلك مقام الصحابة الذين تلقوه شفاهاً عن الرسول ﷺ فهم يتقيدون بما أقرءوهم به حرفاً حرفاً وحركة وسكوناً .

واشتهر منهم فى كل بلد ومصر جماعة كانوا يقرئون الناس ويأخذون القراءة عنهم عرضاً : آية آية وكلمة كلمة وشكلة شكلة ومدة مدة ، منهم :

* فى المدينة :

عبد الله بن عباس بن أبى ربيعة المخزومى وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ويزيد بن رومان وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق وابن شهاب الزهري وعمر بن عبد العزيز .

* وفى مكة :

مجاهد بن جبر ودرياس مولى ابن عباس وعطاء وطاووس .

* وفى الكوفة :

زر بن حبيش وعلقمة والأسود بن يزيد ومسروق بن الأجدع وأبو وائل والحرث بن قيس وعمرو بن شرحبيل . . . وكلهم من تلامذة ابن مسعود .

وأبو عبد الرحمن السلمى عبد الله بن حبيب . . . وهو أول من أقرأ الناس بالكوفة القراءة التى جمع عثمان الناس عليها (وهو أيضاً مبعوث عثمان بنسخة المصحف الإمام إلى أهل الكوفة) . .

* وفى البصرة :

الحسن البصرى : أحد القراء الأربعة عشر المميزين . وابن سيرين وقتادة ويحيى بن يعمر ونصر بن عاصم وعبد الله بن أبى إسحاق الحضرمي .

(١) السبعة : ص ١٣ .

* وفى الشام :

المغيرة بن أبى شهاب المخزومى ، أخذ القراءة عن عثمان . وخليد بن سعيد ، أخذ القراءة عن أبى الدرداء ، ١٠٠ هـ .

* * *

* تابعو التابعين من القراء :

وتكاثر فى كل مصر من هذه الأمصار خلفاء هذا الجيل الأول من التابعين يتقدمهم :

* فى المدينة :

مسلم بن جندب وشيبة بن نصاح وأبو جعفر يزيد بن القَعْقَاع : أحد القراء العشرة النابهين ونافع أحد القراء السبعة .

* وفى مكة :

حُمَيْد بن قيس ومحمد بن عبد الرحمن بن مُحَيْصِن أحد القراء الأربعة عشر وعبد الله بن كثير أحد القراء السبعة .

* وفى البصرة :

عيسى بن عمر الثقفى والحسن البصرى أحد القراء الأربعة عشر - كما أسلفنا - وعاصم الجحدري وأبو عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة وتلميذاه يعقوب بن إسحاق الحضرمى أحد القراء العشرة ويحيى بن المبارك اليزيدى أحد القراء الأربعة عشر .

* وفى الكوفة :

ممن قرأ على تلامذة ابن مسعود : يحيى بن وثاب وإبراهيم النخعى والأعمش سليمان بن مهران أحد القراء الأربعة عشر ، ثم عاصم بن أبى النجود تلميذ أبى عبد الرحمن السلمى وهو أحد القراء السبعة المقدمين .

وخلفه على القراءة فى الكوفة حمزة وتلميذه الكسائى وهما من القراء السبعة .

* وفي الشام :

انتهت القراءة عند خلفاء التابعين إلى عبد الله بن عامر أحد القراء السبعة .

* ومن لمعت أسماؤهم في أوائل القرن الثالث الهجري خلف بن هشام ببغداد ، أخذ القراءة عن تلامذة حمزة ، وروى الحروف عن تلامذة عاصم وأبي عمرو بن العلاء وغيرهما ، واختار له حرفاً أو قراءة ، يتفق فيها مع حمزة إلا قليلاً ، وهو أحد القراء العشرة ، أو قل تكملة عدتهم (١) . ١٠ هـ .

* * *

* رواة القراءات الشاذة من التابعين وتابعيهم وأئمة القراء :

أورد بعضهم - فهم كثر - د . شعبان إسماعيل (٢) فذكر منهم :

أولاً : أصحاب القراءات الأربع التي تلى العشر : وهم :

١ - الحسن البصري : (٢١ - ١١٠ هـ) :

الحسن بن أبي الحسن يسار ، السيد الإمام ، أبو سعيد البصري إمام زمانه علماً وعملاً ، قرأ على حطان الرقاشي عن أبي موسى الأشعري (من الصحابة الذين قرءوا بالشاذ) . كان ثقة في نفسه ، حجة رأساً في العلم والعمل ، عظيم القدر .

وكان كثير التدليس ، فلا يحتج بقوله عمن لم يدركه (٣) .

ولكنه حافظ علامة من بحور العلم ، فقيه النفس ، كبير الشأن ، عديم النظير .

(طبقات ١ / ٢٣٥) ، ميزان الاعتدال ١ / ٢١٦ ، التذكرة ١ / ٦٦) .

(١) السبعة : ص ٤٤ .

(٢) القراءات : ص ١٠٥ - ١٠٧ ، الإتحاف : ص ٧ ، وطبقات القراء : ج ١ ، والقراءات

القرآنية : د . عبد الصبور شاهين .

(٣) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث : الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة

ص ٤٢٢ .

٢ - ابن محيصن (ت ١٢٣ هـ) :

محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي ، مولا هم المكي ، مقرأ أهل مكة مع ابن كثير ، ثقة ، روى له مسلم ، عرض على مجاهد (بن جبر) ودرياس (مولى ابن عباس) وابن جبير (وهم تلامذة ابن عباس) .
وفى قراءته مخالفة للمصحف .

وقد كان له اختيار في القراءة على مذهب العربية ، فخرج به عن إجماع أهل بلده (مكة) ، فرغب الناس عن قراءته ، وأجمعوا على قراءة ابن كثير لاتباعه . (طبقات ٢ / ١٦٧) . وكان شيخاً لأبي عمرو بن العلاء .
٣ - اليزيدي (ت ٢٠٢ هـ) :

يحيى بن المبارك بن المغيرة ، أبو محمد العدوي البصري ، المعروف باليزيدي ، نحوي ثقة علامة كبير ، نزل بغداد ، وعرض على أبي عمرو ، وهو الذي خلفه في القراءة ، وأخذ عن حمزة ، وروى القراءة عنه أولاده الخمسة ، والدوري والسوسي (راويا أبي عمرو بن العلاء) وغيرهم كثير . (طبقات ٢ / ٣٧٥) .

٤ - الأعمش (٦٠ - ١٤٨ هـ) :

سليمان بن مهران ، أبو محمد الأسدي الكاهلي . إمام جليل ، أخذ القراءة عن إبراهيم النخعي وزر بن حبيش وزيد بن وهب ، وعاصم وغيرهم .
أحد الأئمة الثقات ، ما نقموا عليه إلا التدليس ^(١) . (طبقات ١ / ٣١٥) ، وتقريب التهذيب ١ / ٣٣١ .

ثانيا : رواة الشواذ عموماً من التابعين وتابعيهم :

١ - نصر بن عاصم (ت ١٠٠ هـ) :

الليثي ، ويقال : الدؤلي البصري النحوي ، من كبار التابعين ، عرض على

(١) القراءات القرآنية : ص ٤١٥ .

أبي الأسود الدؤلى ، وعرض عليه وقيل روى عنه أبو عمرو بن العلاء قارىء البصرة . ثقة .

٢ - مجاهد بن جبر (ت ١٠٣ هـ) :

أبو الحجاج المكي ، أحد الاعلام من التابعين والائمة المفسرين ، قرأ على عبد الله بن السائب وابن عباس ، وأخذ عنه ابن كثير (مقرأء مكة من السبعة) وابن محيصن (مقرأء مكة من الاربعة عشر) .

وله اختيار فى القراءة رواه الهذلى فى كامله بإسناد غير صحيح (١) .

(طبقات ٢ / ٤١ ، والميزان ٢ / ٣٣٢) .

٣ - أبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥ هـ) :

الاموى ، أبو عبد الله المدنى ، أخذ القراءة عن أبيه عثمان بن عفان ، وزيد ابن ثابت ، رضى الله عنهم أجمعين ، ثقة .

٤ - ابن سيرين (ت ١١٠ هـ) :

محمد بن سيرين البصرى ، مولى أنس بن مالك ، إمام البصرة مع الحسن البصرى ، روى عن زيد بن ثابت ، وردت عنه الرواية فى حروف القرآن ، ولد لستين بقيتا فى خلافة عثمان ، وكان من خيرة التابعين ، فقيهاً إماماً غزير العلم ، ثبتاً ، علامة فى التعبير ، رأساً فى الورع (طبقات ٢ / ١٥١ ، والتذكرة ١ / ٧٣) .

٥ - عمرو بن عبيد (ت ١٤٤ هـ) :

ابن باب ، أبو عثمان البصرى ، وردت عنه الرواية فى حروف القرآن ، وروى عن الحروف عن الحسن البصرى ، وسمع عنه .

قال حميد : كان يكذب على الحسن . . . وقال ابن حيان : كان من

(١) القراءات : د . شاهين ص ٤٤٩ ، والقراءات : د . شعبان ص ١٠٦ .

أهل الورع والعبادة وهو رأس المعتزلة ، كان يشتم الصحابة ، ويكذب في الحديث وهما لا تعمداً (١) .

وقال الدارقطني : ضعيف (طبقات ١ / ٦٠٢ ، والميزان ٢ / ٢٦٤) .

٦ - إبراهيم النخعي (ت ٩٦ هـ) :

ابن يزيد بن قيس بن الأسود ، أبو عمران النخعي الكوفي ، أخذ عنه الأعمش ، إمام مشهور ، يرسل عن جماعة ، ولا يصح له سماع من صحابي .

كان لا يحكم العربية ، وربما لحن ، وقد استقر الأمر على أنه حجة ، وأنه إذا أرسل عن ابن مسعود وغيره فليس ذلك بحسن (طبقات ١ / ٢٩ - الميزان ٣١ / ١) .

٧ - أبان بن تغلب (ت ١٤١ أو ١٥٣ هـ) :

الربيعي ، أبو سعد ، ويقال أبو أميمة الكوفي .

قال الذهبي : شيعي جلد ، لكنه صدوق .

وثقه ابن حنبل وابن معين .

قال السعدي : زائف مجاهر . (طبقات ١ / ٤ ، الميزان ١ / ٤) .

٨ - البزى (١٧٠ - ٢٥٠ هـ) : أحد راويي ابن كثير :

أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة ، المكي ، أستاذ محقق ضابط متقن في القراءة ، وهو في الحديث : ضعيف منكر الحديث (٢) . (طبقات ١ / ١١٩ ، ميزان ١ / ٥٨) .

٩ - الجحدري (ت ١٢٨ هـ) :

عاصم بن أبي الصباح العجاج ، الجحدري البصري . عرض على سليمان

(١) القراءات : د . عبد الصبور ص ٤٤٢ .

(٢) السابق : ص ٤١٦ .

ابن قتيبة عن ابن عباس . وقراءته في الكامل والاتصاح فيها مناكير ولا يثبت
سندها .

والسند إليه صحيح في قراءة يعقوب من قراءته على سلام منه .
روى حروفاً عن أبي بكر الصديق (طبقات ١ / ٣٤٩ - ميزان الاعتدال
٢ / ٤) .

١٠ - ابن جريج (٨٠ - ١٥٠ هـ) :

عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، أبو الوليد ، القرشي . روى القراءة
عن ابن كثير - وهو في الحديث يدلّس ، مع أنه ثقة ، ويروى أحياناً أحاديث
موضوعة .

١١ - أبو حيوة (ت ٢٠٣ هـ) .

شريح بن يزيد أبو حيوة الحضرمي الحمصي ، صاحب القراءة الشاذة ،
ومقرئ الشام . ذكره ابن حبان في الثقات ، وله اختيار في القراءة ، وروى
القراءة عن الكسائي (من السبعة) . (طبقات ١ / ٣٢٥) .

١٢ - خارجة (ت ١٦٨ هـ) :

خارجة بن مصعب : أبو الحجاج الضبي السرخسي ، أخذ القراءة عن
نافع وأبي عمرو ، وله شذوذ كثير عنهما ، لم يتابع عليه ، وروى أيضاً عن
حمزة حروفاً .

ضعفه غير واحد ، وواه أحمد (طبقات ١ / ٢٦٨) .

١٣ - الضبي (ت ١٦٨ هـ) :

المفضل بن محمد ، أبو محمد الضبي ، الكوفي ، إمام مقرئ نحوي
إخباري ، موثق ، عرض على عاصم والأعمش .
قال أبو حاتم : ثقة في الأشعار ، غير ثقة في الحروف (حروف القرآن) .

ابن أبى حاتم الرازى : متروك الحديث ، متروك القراءة .

(طبقات ٢ / ٣٠٧ ، والميزان ٢ / ٤٩٨) .

١٤ - ابن أبى عبله (ت ١٥١ هـ) :

إبراهيم بن أبى عبله ، واسمه شمر بن يقظان أبو إسماعيل ، الشامى ،
الدمشقى ثقة كبير ، تابعى ، له حروف فى القراءات واختيار خالف فيه العامة ،
فى صحة إسنادها إليه نظر . أخذ القراءة عن الزهرى وأنس بن مالك ، وقيل :
عن أم الدرداء الصغرى ووائله بن الأسقع . (طبقات ١ / ١٩) .

١٥ - عيسى - عيسى البصرى - عيسى بن عمر - عيسى بن عمر

الثقفى (ت ١٤٩ هـ) :

معلم النحو ، ومؤلف الجامع والإكمال . عرض على ابن إسحق والجحدرى
والحسن البصرى غير أنه كان له اختيار فى القراءة على مذاهب العربية يفارق
قراءة العامة ، ويستنكره الناس ، وكان الغالب عليه حب النصب إذا وجد
لذلك سبيلا .

(طبقات ١ / ٦١٣ ، البحر ٨ / ٤١١) .

* * *

تعقيب :

ونكتفى بهذا القدر من التراجم لمن اشتهر عنه القراءة بالشاذ من التابعين
وتابعى التابعين ، ونخرج منه بنتيجة رائعة ، وهى أن الأئمة من السلف لم
يتركوا صغيرة ولا كبيرة إلا أحصوها . وأقول أكثر من ذلك إنهم كانوا غاية فى
التشدد - المحمود - فيما يتعلق بعلم الجرح والتعديل مما جعلنا اليوم على ثقة
تامة - تكاد تكون يقيناً - من الموازين الحساسة للغاية التى بين أيدينا ، نفرز بها
الغث من السمين فى تراثنا العظيم .

واعتقد أنه جاء دورنا لنقد التراث وتنقيته مما شابه - بحكم الواقع - على
مر السنين ، ثم عرضه نقياً خالصاً ، أبيض وأسود ، فبضدها تظهر الأشياء .

فإن نحن فعلنا ، فإننا بذلك نكون قد ساهمنا فى تشكيل العقل المسلم

على أساس من الوضوح فى الرؤية ، بعيداً عن تجميع المفاهيم ، فتنشأ الأجيال على بصيرة ، قادرة على تمييز الطيب من الخبيث والحق من الباطل ، والاتباع على بينة من التقليد الأعمى . وعلى هذا كان السلف الصالح ، فارتقوا فى سلم الحضارة ، كسبوا الدنيا والآخرة . وعن هذا النهج حاد المتأخرون حتى سقطوا فى هوة الجمود والموات . والله الأمر من قبل ومن بعد ، سبحانه لا يستحيى من الحق ، وأكثرنا للحق كارهون !! .

* * *

الفصل الخامس

وقفة واجبة عند علوم الحديث

- الحديث المرسل
- التدليس
- الجرح والتعديل

* مقدمة :

لكى نتمكن من الحكم الصحيح على من روى بالشاذ ، بلا إفراط فى الاتهام ، ولا تفريط فى الدقة العلمية ، وجب علينا التوقف قليلاً عند علوم الحديث ، وبخاصة :

١ - علم مصطلح الحديث : لتتعرف على معنى الحديث المرسل ، وحكمه ، وحكم « مرسل الصحابى » .

٢ - علم الجرح والتعديل : لتتعرف على معنى الجرح ، ومعنى التعديل ، ومراتب الجرح والتعديل ، وحكم هذه المراتب .

٣ - ثم نصنف قراء الشواذ على ضوء ما علمنا ، ونوضح إلى أى مدى ذهب علماؤنا من السلف الصالح إلى ترجمة مقاييسهم الرائدة التى وضعوها إلى واقع عملى ، حين طبقوها بعقريّة فذة على كل من تصدر للإقراء والقراءة والرواية لحروف القرآن ، لا يفرقون بين صحابى من الأساتذة ولا تابعى من التلامذة ، فالكل عندهم - وهم حملة الأمانة - سواء أمام « كلام الله » .

* * *

* الحديث المرسل اصطلاحاً :

« هو ما سقط من آخر إسناده من بعد التابعى » .

كان يقول التابعى : قال رسول الله ﷺ كذا ، أو فعل كذا ، أو فُعل بحضرته كذا .

وأقل هذا السقط أن يكون قد سقط الصحابى ، ويحتمل أن يكون قد سقط معه غيره كتابعى مثلاً (١) .

* مرسل الصحابى :

(١) مباحث فى علوم الحديث : مناع القطان - الناشر مكتبة وهبة ، ص ١٢١ ، وأيضاً

نزهة النظر : ص ٣٦ .

وهو ما يخبر به الصحابي عن شيء فعله النبي ﷺ أو نحوه مما يُعلم أنه لم يحضره لصغر سنه ، كعبد الله بن عباس وغيره من صغار الصحابة ، أو لتأخر إسلامه .

* حكمه :

ذهب جمهور العلماء من المحدثين والاصوليين إلى أن مرسل الصحابي صحيح يحتج به . وهذا الرأي هو الأصوب ، لأن الصحابة جميعاً عدول .

فالظاهر فيما أرسله الصحابي أن :

– يكون قد سمعه من رسول الله ﷺ .

– أو من صحابي آخر سمعه عن النبي ﷺ .

ولذا فإن علماء أصول الحديث يعتبرون مرسل الصحابي في حكم الحديث الموصول المسند .

أما مرسل التابعي فما دون ذلك ، فقد اختلف فيه ، هل يحتج به أم لا ؟ .

* * *

● المدلس (١) :

* التدليس اصطلاحاً : إخفاء عيب في الحديث وتحسين لظاهره .

* أقسام التدليس :

الأول : تدليس الإسناد : أن يروى الراوى عن من لقيه ما لم يسمعه منه ، أو عن عاصره ولم يلقه ، موهماً أنه سمعه منه ، كان يقول : (عن فلان) أو (قال فلان) ولا يصرح بالسماع بأن يقول : (حدثنا فلان) ، أو (سمعت) أو (أخبرنا) .

* مثاله : ما أخرجه الحاكم بسنده إلى علي بن خشرم قال :

(١) السابق : ص ١٢٦ ، وتدريب الراوى : ص ١٣٩ – وعلوم الحديث : ص ٦٦ – ونزهة النظر : ص ٣٩ ، وتيسير مصطلح الحديث : ص ٧٩ .

قال لنا ابن عيينة ، عن الزهري .

ف قيل له : سمعته من الزهري ؟ .

فقال : لا ، ولا ممن سمعه من الزهري .

حدثني عبد الرازق ، عن معمر ، عن الزهري .

فابن عيينة - كما ترى - قد عاصر الزهري ولقيه ، ولكنه لم يسمع منه ،

وإنما سمع من عبد الرازق ، وعبد الرازق سمع من معمر ، ومعمر هو الذي أخذ
عن الزهري وسمع منه .

* والفرق بينه وبين الإرسال : أن الإرسال روايته عن من لم يسمع منه .

أما إذا صرح بالسماع أو التحديث ولم يكن قد سمعه من شيخه ولم يقرأه
عليه ، فإنه لا يكون مدلساً ، بل يكون كاذباً فاسقاً .

* حكمه : وقد ذم هذا القسم كثير من العلماء ، وكان شعبة أشد الناس
إنكاراً له ، ونقل عن الشافعي أنه قال : التدليس أخو الكذب .

* تدليس التسوية :

وهو : رواية الراوي عن شيخه ، ثم إسقاط راوٍ ضعيف بين ثقتين لقي
أحدهما الآخر ؛ تحسيناً للحديث .

* حكمه : هو أحد أنواع تدليس الإسناد ، بل هو شر أنواعها .

* رواية المدلس :

(أ) ذهب فريق من أهل الحديث ، والفقهاء إلى عدم قبول رواية المدلس
مطلقاً ، ولو لم يعرف أنه دلس إلا مرة واحدة ، كما نص عليه الشافعي ، سواء
بين السماع أو لم يبين .

(ب) ذهب ابن الصلاح إلى التفصيل :

فما رواه المدلس بلفظ محتمل لم يبين فيه السماع والاتصال ، وكان حكمه حكم المرسل ، فيُرد ولا يحتج به .

وما رواه بلفظ صريح فى الاتصال نحو : سمعت ، وحدثنا ، وأخبرنا ، يقبل ويحتج به .

هذا وفى الصحيحين (البخارى ومسلم) وكتاب المصاحف للسجستانى وغيرها من الكتب المعتمدة الكثير من الأحاديث التى يقول فيها المدلس : حدثنا ، أو سمعت ، أو أخبرنا ، حيث جاء ذلك عن سفيان بن عيينة ، وسفيان الثورى ، والأعمش وقتادة وغيرهم .

قال ابن الصلاح : والصحيح التفصيل بين ما صرح فيه بالسماع ، فيقبل ، وبين ما أتى فيه بلفظ محتمل فيرد .

قال : وفى الصحيحين من حديث جماعة من هذا الضرب ، كالسفيانيين ، والأعمش ، وقتادة ، وهشيم (بن بشير) ، وغيرهم (١) .

* والقسم الثانى من أقسام التدليس هو تدليس الشيوخ :

وهو : أن يروى الراوى عن شيخ حديثاً سمعه منه ، فيذكره بما لم يشتهر به من اسم ، أو كنية ، أو نسبة إلى قبيلة ، أو بلده ، أو صنعة ، أو نحو ذلك ، تعمية لأمره ، وتوعيراً للوقوف على حاله .

* مثاله (٢) :

قول أبى بكر بن مجاهد أحد أئمة القراء (ومسبع السبعة المتواترة) :

« حدثنا عبد الله بن أبى عبد الله » . . .

يريد به : أبى بكر بن أبى داود السجستانى (صاحب كتاب

المصاحف) .

* حكمه :

(٢) السابق : ص ١٢٩ .

(١) السابق : ص ١٢٨ .

تدليس الشيوخ كراهته أخف من تدليس الإسناد ، لأن المدلس لم يسقط
أحدًا ، وإنما كانت الكراهة بسبب صعوبة معرفة المروى عنه لدى السامع .

* * *

**** الجرح والتعديل :**

*** الجرح اصطلاحاً :**

هو ظهور وصف فى الراوى يثلم عدالته ، أو يخل بحفظه وضبطه ، مما
يترتب عليه سقوط روايته ، أو ضعفها وردّها .

*** والتجريح :**

هو وصف الراوى بصفات تقتضى تضعيف روايته ، أو عدم قبولها .

*** والعدل اصطلاحاً :**

هو من لم يظهر فيه ما يخل بدينه ومروءته ، فيقبل لذلك خبره وشهادته .

*** والتعديل :**

هو وصف الراوى بصفات تزكيه ، فتظهر عدالته ، ويُقبل خبره .

*** وعلم الجرح والتعديل :**

هو علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بالفاظ مخصوصة لقبول
رواياتهم أو ردّها (١) .

*** مراتب الجرح والتعديل :**

يقول ابن مجاهد (٢) : « وقد ينسى الحافظ فيضيع السماع وتشتبه عليه
الحروف (وجوه القراءات) ، فيقرأ بلحن (وجه من وجوه القراءة غير المروية عن
السلف) لا يعرفه ، وتدعوه الشبهة إلى أن يرويه عن غيره ويبرىء نفسه ،
وعسى أن يكون عند الناس مصدّقاً فيحمل ذلك عنه ، وقد نسيه ووهم فيه

(١) السابق : ص ٦٥ ، ومقدمة كتاب الجرح والتعديل : لابن أبى حاتم الرازى : ٣/١ .

(٢) السبعة : ص ٤٦ .

وجسر على لزومه والإصرار عليه « ١٠ هـ .

وقد نص العلماء على مراتب الجرح والتعديل ، والألفاظ الدالة على كل مرتبة ، فجعلوا مراتب التعديل ستاً ، ومراتب الجرح ستاً .

* مراتب التعديل :

المرتبة الأولى : تكون بما دل على المبالغة فى التعديل ، أو كان على وزن « أفعل » التفضيل .

مثل : فلان إليه المنتهى فى التثبت .

أو : فلان أثبت الناس .

أو : أوثق الناس .

أو : اضبط الناس .

المرتبة الثانية : تكون بما تأكد توثيقه بصفة من الصفات الدالة على العدالة والتوثيق ، سواء أكان ذلك باللفظ ، أو بالمعنى .

مثل :

ثقة ثقة أو : ثقة ثبت أو : ثقة مأمون أو : ثقة

حافظ .

المرتبة الثالثة : تكون بما يدل على التوثيق من غير تأكيد .

مثل :

ثقة أو : ثبت أو : حجة أو : متقن .

المرتبة الرابعة : تكون بما يدل على التعديل والتوثيق دون إشعار بالضبط

والإتقان .

مثل :

صدوق أو : مأمون أو : محله الصدق أو : لا

بأس به .

المرتبة الخامسة : تكون بما ليس فيه دلالة على التوثيق أو التجريح (بين

بين) .

مثل :

• فلان شيخ أو روى عنه الناس أو حسن الحديث .

المرتبة السادسة : تكون بما يُشعر بالقرب من التجريح .

مثل :

• فلان صالح الحديث أو يكتب حديثه .

* حكم مراتب التعديل :

(أ) المراتب الثلاث الأولى : يحتج بأهلها ... وإن كان بعضهم أقوى

من بعض .

(ب) المرتبتان الرابعة والخامسة :

* لا يحتج بأهلها ... ولكن :

* يكتب حديثهم .

* ويختبر ضبطهم : بعرض حديثهم على أحاديث الثقات الضابطين ،

فإن وافقهم احتج بحديثهم وإلا فلا .

(ج) المرتبة السادسة :

* لا يحتج بأهلها .

* يكتب حديثهم للاعتبار فقط .

* ولا يختبر حديثهم ، وذلك لظهور أمرهم في عدم الضبط .

* مراتب الجرح :

المرتبة الأولى : تكون بما دلَّ على التليين - وهي أسهلها في الجرح .

مثل :

• فلان لين الحديث أو : فيه مقال أو : فيه ضعف .

المرتبة الثانية : تكون بما يدل على تضعيف الراوى وعدم الاحتجاج به .

مثل :

فلان لا يحتج به . . . أو : ضعيف . . . أو : له مناكير . . . أو : مجهول .

المرتبة الثالثة : تكون بما يدل على ضعفه الشديد وعدم كتابة حديثه .

مثل :

فلان ضعيف جداً . . . أو :واه بمرة . . . أو : لا يكتب حديثه . . . أو : لا تحمل الرواية عنه . . . أو : ليس بشيء .

المرتبة الرابعة : تكون بما يدل على اتهامه بالكذب أو الوضع ونحوه .

مثل :

فلان متهم بالكذب . . . أو : متهم بالوضع . . . أو : يسرق الحديث . . . أو : ساقط . . . أو : متروك . . . أو : ليس بثقة .

المرتبة الخامسة : تكون بما يدل على وصفه بالكذب أو الوضع ونحوه .

مثل :

كذاب . . . أو : دجال . . . أو : وضاع . . . أو : يكذب . . . أو : يضع .

المرتبة السادسة : تكون بما يدل على المبالغة فى الكذب - وهى أسوأ

مراتب الجرح .

مثل :

فلان اكذب الناس . . . أو : إليه المنتهى فى الكذب . . . أو : هو ركن الكذب .

* حكم مراتب المجرح :

(أ) الأولى والثانية :

* لا يحتج بحديثهم .

* يكتب حديثهم للاعتبار فقط .

وأهل المرتبة الثانية دون أهل المرتبة الأولى بالطبع .

(ب) المراتب الأربع الأخيرة :

* لا يحتج بحديثهم .

* ولا يكتب .

* ولا يعتبر به (١) .

(١) مباحث في علوم الحديث : ص ٧١ - ٧٣ ، وتدريب الراوى فى شرح تقريب

النواوى : للسيوطى - المكتبة العلمية ص ٢٢٩ - ٢٣٣ ، وتيسير مصطلح الحديث : د .

محمود الطحان ص ١٥٢ - ١٥٤ .

مراتب التعميل					
1	2	3	4	5	6

يكتب و يحتج بهم

يكتب
يختار للاحتجاج

يكتب
لا يختار
لا يحتج

مراتب الجرح					
1	2	3	4	5	6

لا يحتج بهم
يكتب للاعتبار فقط

لا يحتج بهم
لا يكتب حديثهم
لا يعتبر بهم

شكل (أ) يوضح حكم مراتب الجرح و التعميل

1	2	3	4	5	6
---	---	---	---	---	---

1	2	3	4	5	6
---	---	---	---	---	---

يكتب

لا يكتب

يحتاج

قد يحتاج

لا يحتاج

يكتب و يحتاج به يكتب وقد يحتاج به يكتب و لا يحتاج به لا يكتب و لا يحتاج به

اليزيدي

بن محيىن

بن محيىن

الأعشى

الأعشى

الحسن البصرى

الحسن البصرى

شكل (ب) يوضح حكم القراء بالقرءات الأربع الشاذة بعد العشرة على ضوء مراتب الجرح و التعديل

مراتب التعميل						مراتب الجرح					
1	2	3	4	5	6	1	2	3	4	5	6
يكتب ويضخ به						لا يكتب ولا يضخ به					

ابن
البري

ابن سيرين

نصر بن عاصم

ابن أبي عملة

مجاهد بن حير

الجعدي

ابن أبي عملة

مجاهد

الجعدي

أبو حنيفة

عيسى الثقفي

أبو إمام الثقفي

ابن حريج

ابن بن تغلب

الضمي

ابن حريج

ابن بن تغلب

الضمي

عمر بن عبيد

خارجة

عمر بن عبيد

شكل (ج) يوضح حكم بعض من قرأ بالأحرف الشاذة خارج القراءات الأربعة عشر على ضوء مراتب الجرح و التعميل

* تعقيب :

** من اشتهر بالتدليس : الأعمش والحسن البصرى :

ويبدو أن علماء الجرح والتعديل قد تعارفوا على أن التدليس مرتبة خفيفة من مراتب الجرح ، ولعلهم اعتبروه نوعاً من « التجميل » فغفروا ذلك ، باستثناء قلة منهم مثل الإمام الشافعى الذى اعتبر التدليس أخو الكذب - وكما ذكرنا .

* والأعمش هو رأس مدرسة الإقراء بالكوفة ولاشك ، أخذ حرف ابن مسعود عن يحيى ابن وثاب الذى أخذها عن تلامذة ابن مسعود من أمثال : علقمة والأسود والسلمانى ومسروق وزيد وغيرهم .

وقراءة الأعمش هى جذع قراءة حمزة والكسائى من السبعة ، وخلف العاشر . ولم يشذوا عن اختياره إلا فى حروف قليلة .

* أما الحسن البصرى ، فهو مؤسس مذهب المعتزلة - وإن نسب لغيره . وقد اجتمع القراء الأربعة عشر على الأخذ بأصول قراءته بدرجات متفاوتة وإن هجروا جميعهم فرش حروفه بطريقة ملفتة للنظر .

أما عن إعراضهم عن فرش حروفه فهو أمر ليس بالمستغرب ، ولكن ما يستحق الدراسة بحق هو التفافهم (باستثناء الحجازيين) حول أصول قراءته ، وهى جديرة بأن تكون « نقطة بحث » لأحد باحثينا ممن يستهوهم حقل القراءات واللغة العربية .

** من اشتهر بأن له اختيار خالف فيه العامة :

- ابن محيصن ، ومجاهد بن جبر .
- عيسى بن عمر الثقفى النحوى البصرى .
- أبو حيوة ، وابن أبى عيلة .
- * أما مجاهد بن جبر ، فهو تلميذ ابن عباس وأستاذ قارئى مكة ،

ابن كثير من السبعة وابن محيصن من الأربعة عشر . وعنهما أخذ أبو عمرو مقرأ البصرة من السبعة جذع حروف قراءته . فاخذ أبو عمرو من ابن كثير فرش حروفه دون أصولها ، ولكنه أخذ عن ابن محيصن الفرش والأصول معاً ، فجاء ترتيب ابن محيصن بالنسبة لأبي عمرو فى الركن الثانى ، فرشاً بعد ابن كثير ، وأصولاً بعد الحسن البصرى .

ومجاهد بن جبر يكاد يكون نسخة طبق الأصل من أستاذه الصحابى الجليل ابن عباس . وقد اشتهر عنه إدخال الإسرائيليات فى التفسير (١) .

*** وأما ابن محيصن :** فإنه كان المنافس الأوحـد لابن كثير على الإقراء بمكة .

وكان أستاذه مجاهد بن جبر يقول إنه يبـنى ويرصـص فى العربية ، يمدحه بذلك . إلا أن الناس (فى مكة) هجروا قراءته إلى قراءة منافسه ابن كثير الذى اشتهر أنه يميل للاتباع فى الرواية مما يوحى بالثقة .

ولكن يبدو أن أهل البصرة كان لهم رأى آخر فى اختيار ابن محيصن ، فقد أخذ عنه الحروف فرشاً وأصولاً قرأ البصرة أبو عمرو (من السبعة) ، وتلميذه اليزيدى (من الأربعة عشر) ، ويعقوب (من العشرة) .

من هنا يمكننا القول بأن ابن محيصن السهمى – وإن كان قد خسر جولة فى صراعه مع ابن كثير فى مكة – فقد كسب المعركة وفرض نفسه على قرأ البصرة ووجد لنفسه مكاناً يستحقه بين الأربعة عشر .

*** ويبقى لنا « رجاء ونداء » إلى العالمين ببواطن الأمور فى عالم القراءات أن يتفضلوا علينا بتسليط المزيد من الأضواء على المعنى الكامن وراء التعبير الاصطلاحى الشائع : « له اختيار » وإلا فإن السكوت عن إظهار ما يعلمونه من الحق يمكن أن يفسر على أنه نوع من « التجميل » ، ليس بمعنى التدليس بطبيعة الحال .**

(١) الإسرائيليات فى التفسير والحديث : د . محمد حسين الذهبى .

* أما عيسى الثقفى : فيكاد يكون الوحيد الذى سلطت الاضواء على سبب استنكار الناس لقراءته ، فقالوا فى ذلك :
« غير أنه كان له اختيار فى القراءة على مذاهب العربية يفارق قراءة العامة . ويستنكره الناس .

وكان الغالب عليه : حب النصب إذا وجد لذلك سببلاً » .
وهو سبب مقنع للغاية .

ولنتذكر أنه كان قد عرض - فيمن عرض عليهم - على الحسن البصرى ، الذى انصرف الناس عن فرش حروفه إلى أصوله فى القراءة ، كما ذكرنا .
وحب النصب يصب فى الفرش ، ولا علاقة له بالأصول .

فلعله كان يحاول التشبه بأستاذه البصرى على نحو ما ، مستغلاً فى ذلك أنه كان معلماً للنحو ومؤلفاً فيه ، ولكنه فشل - فيما يبدو - فى أن تشكل اختياراته مذهباً متميزاً يلقي القبول ، فهجرت قراءته .

فإذا كان « حب النصب » هو السبب فى استنكار الناس لقراءة عيسى البصرى الثقفى ، فما هى الأسباب وراء انصراف الناس عن اختيار فرش الحروف عند أستاذه الحسن البصرى ؟ .

وما هى الأسباب وراء انصراف الناس عن قراءة ابن محيىن ؟
ومن المقصود على وجه التحديد « بالناس » الذين رغبوا عن حروف ابن محيىن ، هل هم أهل مكة ؟ .

ومن المقصود بالعامه ؟ هل هم عامة القراء المشتغلين بالإقراء ؟ أم هم عامة الناس ؟ .

* التدليس بين المفهوم الاصطلاحى والمفهوم الشائع :

هناك فجوة - ليست بالهينة - بين المفهوم الاصطلاحى وبين المفهوم الدارج لبعض المصطلحات المستخدمة فى علم الجرح والتعديل ، مما يشكل - حتماً - نوعاً من الالتباس لدى غير المتخصصين ، فيورثهم ذلك خللاً فى حكمهم على

ما ورد بترائهم العظيم ، ومن ثم خلاً فى التمييز بخاصة والتفكير بعامة فى أمور دينهم ودنياهم على السواء ، مما ينبغى التصدى له بالجهد والاجتهاد فى طرح الحلول لتدارك تلك المشكلة .

إن كلمة « تدليس » :

١ - « لا تعنى الكذب » عند الجمهور من الفقهاء ، والمحدثين والاصوليين .

٢ - وهى تعنى : « أخو الكذب » عند الشافعى (رحمه الله) .

٣ - وهى تعنى : أكثر من الكذب بكثير عند عامة الناس ورجل الشارع .
ذلك أنها كلمة موحية بالكثير من المعانى التى قد تدور حول النفاق أو الدجل أو الخيانة أو الخداع أو الاعوجاج والالتفاف أو التمويه أو الاحتيال أو التعتيم . .
إلخ .

ومن هنا ، فإنه ظلم كبير لائمة ثقات مثل الأعمش والحسن البصرى أن نترك سيرتهم العطرة ، وأعمالهم الجليلة فى خدمة كتاب الله نهبا لتلك التداعيات من المعانى التى ترد إلى أذهان القراء - طوعاً أو كرهاً - عندما تقترب أسماؤهم الرفيعة بصفة « التدليس » ، عارية مجردة تثير الالتباس وتوهم بغير الحق .

والأخطر من ذلك الظلم الكبير لسيرة أئمتنا الأجلاء من حملة القرآن ، ذلك الظلم الأكبر والجناية الأعظم التى ترتكب فى حق « العقل العربى المسلم » .

إذ ماذا تنتظرون من عقل رشيد مميز أن يتقبل الاضداد التالية للحكم على واحد :

١ - حافظ ، ثقة ، ثبت لكنه مدلس .

٢ - أحد الأئمة فى حروف القرآن لكنهرمى بالقدر .

٣ - قال ابن معين : « ومع هذا . . . فاحتج به أصحاب الصحاح » .

كل هذا التناقض ورد بصدد التعريف بـ « قتادة » ^(١) بإسناده .
والأمثلة غير ذلك تفوق الحصر .

وانا لا أحمل علماءنا المعاصرين فوق ما يطبقون ، ولكن الفت النظر إلى أن استمرار الأمور على هذه الوتيرة لا يبشر بخير في زمن كثر فيه المتربصون . ولا أعتقد أنه من الحكمة أن نداوها بالتى كانت هى الداء ، فنلجأ إلى التدليس نعالج به آثار « التدليس » ، أو نمحو به صفة التدليس عمن اشتهروا بها ، وإلا أصبح مثلنا كمثل النعامة التى تخفى رأسها فى الرمال حتى لا يدهمها الخطر القادم حتما ، وهو مدهمها على أى حال .

لقد سبق السيف العذل ، وأتى أمر الله ، وأصبح من رابع المستحيلات طمس أية حقائق فى عصر « الكمبيوتر وشبكات الإنترنت » ، ولم يبق أمامنا سوى خيار « المواجهة » ، و « المكاشفة » ، ولا أقول « التنوير » فلقد كرهتها حيث أصبحت كلمة حق يراد بها باطل ، مثلها فى ذلك مثل « المسجد الضرار » .

ولكننا نأبى الدنية فى ديننا الحنيف ، فلا يوجد فيه ما يستدعى الإخفاء أو التمويه أو التجمل أو المداراة أو التدليس . إنه دين الحق ، والحق نور يضىء ما حوله وليس ضباباً يحول دون الرؤية الثاقبة .

والحل أن يجتهد علماءنا ، فيتناولوا مثل هذه الأمور المشتبهات بالعرض الواضح والتفسير المقنع . وأن تمتلىء المكتبات والمناهج الدراسية ، وتجلجل الإذاعة المسموعة والمرئية بالعرض الأمين الرشيد للجانب المضيء وغير المضيء أيضاً من تراجم الأئمة . والأئمة بشر وليسوا ملائكة . والبشر يخطئ ويصيب ، ولا عصمة إلا لنبي .

(١) أنظر : القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث : د . عبد الصبور شاهين ،

فهرس تراجم الرجال : ص ٤٤٥ .

*** أبى بن كعب (رضى الله عنه) أحد صحابى التعظيم :**

ومن الغريب ، أنك لا تجد حتى الآن كتاباً عن سيرة الصحابى الجليل أبى بن كعب ، كاتب الوحي ، الذى حفظ كتاب الله من فم الرسول ﷺ آية آية ، وعرض عليه الرسول ﷺ ليعلمه أصول التلاوة والترتيل .

فإذا ما وقع فى أيدينا بعض الأحاديث المتناثرة عنه فى هذا الكتاب أو ذاك مثل كتاب : حياة الصحابة للكندهلوى^(١) ، وجدنا ما لا يسرنا .

فهذا حديث أو أكثر يشير إلى علاقة « بالجن » .

وذاك حديث أو أكثر ترميه - رضى الله عنه - بالنعمية والارتزاق بإقراء القرآن إلى الجد الذى جعل النبى ﷺ يتوعده بجهنم ، وجعل عمر بن الخطاب يتندر عليه .

وأحاديث تشير إلى خوفه وارتعاده لأسباب لا توجب ذلك بما يوحى بمرض نفسى معروف هو « الرهاب » .

ولم نجد أحداً حتى الآن ، تصدى لمثل هذه الافتراءات ، يرد غيبة هذا الإمام الجليل الذى إليه تنتهى قراءة القرآن باتفاق ، فيكتب الحديث ، ويخرجه ويختبره على مقاييس الجرح والتعديل سنداً ومتناً ، ويورد من الأحاديث ما يعارضه ، ثم يفصل برأيه واجتهاده .

والمصيبة أنك تجد العكس هو الحاصل . فمن الجماعات الحالية التى تقوم على الدعوة والتبليغ من يتعبد ويجمع البسطاء من الناس فى مجالس الذكر على كتاب « حياة الصحابة »^(٢) المشار إليه آنفاً ، يردد ما فيه على أنه دين الله الحنيف ، ويتمايل البسطاء نشوة وهم يتنفسون هذا الهراء ، ويعتقد دعائهم

(١) حياة الصحابة : لمحمد يوسف الكاندهلوى .

(٢) راجع الأحاديث التى وردت به عن أبى كعب : ج ٢ ص ٢٢٥ - ٢٠٨ - ٩٠ ،

ج ٣ ص ٣٨٤ ، ج ٤ ص ٣٨ - ٧٧ - ٨٢ - ١٥٨ - ٣٧٤ - ٤٠٩ ، ومعظمها من طبقات

ابن سعد .

وهم من غير المتخصصين ولا المتفقهين أنهم بذلك يدعون لدين الله فى الأرض ،
فضل سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

والغريب أن هذه الفئة - ومن على شاكلتها - هم الذين تفتح لهم الابواب
على مصراعها ، ويتمتعون - دوناً عن غيرهم - بحرية الرأى وحرية الاجتماع
وحرية التنقل . ليس ذلك فقط ، بل وتكفل جهودهم بالمباركة فى كل وقت
وحين !! ...

فهل هذا هو اختيار العقل المسلم الآن ؟

وأين هذا من اختيار السلف - كما أوردناه ؟

وهل مازلتم - بعد هذا - تبحثون عن سبب هوان الأمة ؟

إن من يتخلى عن عقله ، يكون قد تخلى عن دينه ... أفلا تعقلون ؟ .

* * *

الفصل السادس

اتجاهات القراء الأربعة عشر

- مراتب ارتباط القراء ، فرشاً وأصولاً .
- اتجاهات القراء بين شدة الموافقة وشدة الرفض .
- اتجاهات مدارس القراءات بالأمصار فرشاً وأصولاً .
- حفص عن عاصم . . . الأعلى فرشاً .
- الحسن البصري . . . هجروا فرشاً وأخذوا بأصوله .
- أبو جعفر . . . عارضوا أصوله .
- المدينة والكوفة . . . اختيار أم صراع ؟ .

* أسس تحديد الاتجاهات :

يوضح الجدول التالى فئات معاملات الارتباط وما يقابلها من الاتجاهات بالموافقة أو عدم الموافقة على اختيارات القراء فى الفرش ، والأصول ، ودرجات الموافقة والرفض مقابل كل فئة ، والرمز المعبر عنها .

ويلاحظ أن الرقم إذا وضع بين قوسين () فإنه يرمز إلى معامل ارتباط سالب بين قارئين ، يعبر بذلك عن الرفض (للاختيار) والتعارض والاعترا ب بين القراءتين كما يعبر الرقم بداخله عن شدة التعارض ، فكلما زاد الرقم كلما زاد التعارض .

فئة الارتباط %	(٤٠) فأقل	(٢٠) - (٣٩)	(١٩) - (١)	صفر - ١٩	٢٠ - ٣٩	٤٠ - ٦٩	٧٠ - ١٠٠
الاتجاه	ارفض بشدة	ارفض	أميل للرفض	بين بين	أميل للموافقة	أوافق	أوافق بشدة
الرمز	XXX	XX	X	-	✓	✓✓	✓✓✓

* ملاحظة هامة :

الدراسة الإحصائية تمت من واقع اختلافات القراء الأربعة عشر فى سورة البقرة ، والتي بلغت نحو ثلاثمائة اختلاف فى الفرش .
ومعاملات الارتباط تقريبية ، وهى مجرد مؤشر على الاتجاه ، والاختلافات من واقع كتاب « إتحاف فضلاء البشر » للعلامة الدمياطى البنا .

* ارتباط كل قارئ بباقي القراء الأربعة عشر ، فرشاً وأصولاً :

اسم القارئ : يزيد بن القعقاع المخزومي المدني .

كنيته : أبو جعفر .

ولد - توفي : (ت ١٣٠ هـ) ، على الأصح .

التصنيف : أحد العشرة ، مقرئ المدينة .

أصله : مولى (عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي) .

التعديل : ثقة - إمام أهل المدينة في القراءة - تابعي مشهور كبير القدر .

أساتذته : عرض على : مولاة ابن عياش ، وابن عباس ، وأبي هريرة .

وقرأ الثلاثة على أبي بن كعب .

وقرأ ابن عباس وأبو هريرة أيضاً على زيد بن ثابت .

تلامذته : أهمهم نافع مقرئ المدينة وأحد السبعة .

اتجاهاته :

(١) ارتبط قرأ الأمصار بفرشه أكثر مما ارتبطوا بأصوله .

(٢) عارضه قرأ الكوفة الأربعة بشدة ، ووافقهم شعبة عن عاصم .

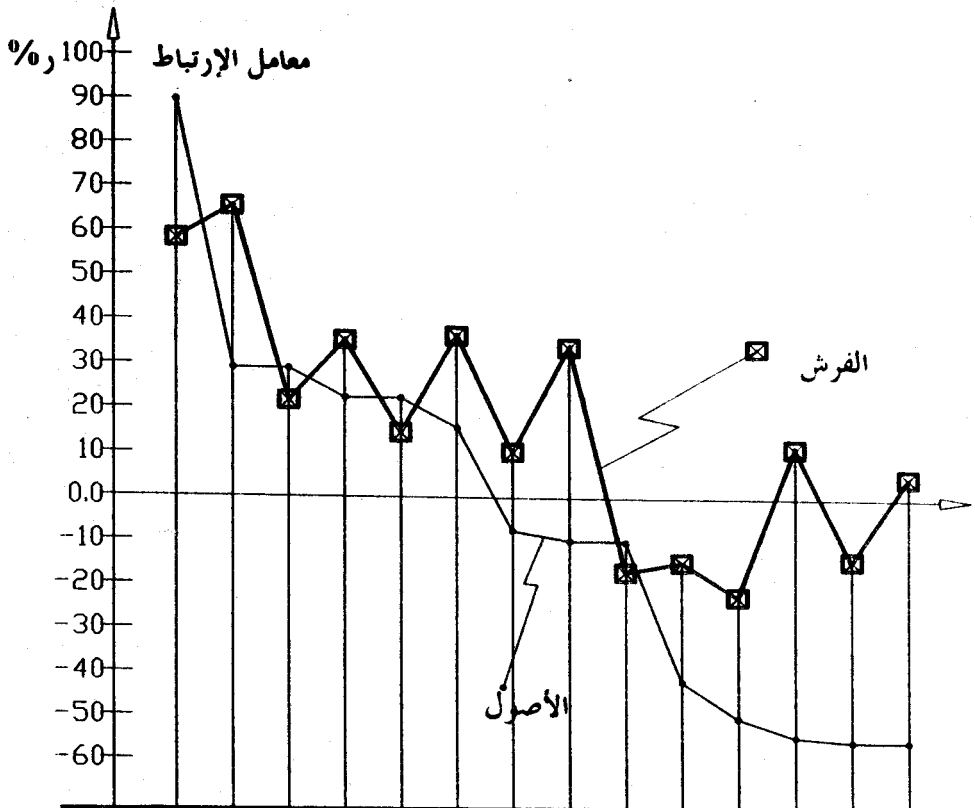
(٣) درجة معارضة الكوفيين وشعبة كانت في الأصول أشد منها في

الفرش .

(٤) أخذ عنه نافع جذع قراءته في الأصول (معامل الارتباط ٩٠ ٪) .

(٥) وافقه حفص عن عاصم ، ونافع في الفرش بدرجة أقل « ٦٥-٥٩ ٪ » .

* * *



شكل (١) يوضح معامل الارتباط في الفرش و الأصول بين أبي جعفر و القراء الأربعة عشر

اسم القارىء : نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم الليثى .

ولد - توفى : (٧٠ - ١٦٩ هـ) .

التصنيف : أحد السبعة ، مقرأء المدينة .

أصله : من أصفهان (فارس) ، مولى (جَعُونَة بن شعوب الليثى) .

التعديل : ثبت فى القراءة ، ثقة فى الحديث . انتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة ، وكان إمام الناس فى القراءة بها ، وأجمع الناس عليه بعد التابعين ، وأقرأ بها أكثر من سبعين سنة .

أساتذته : تلقى القراءة على سبعين من التابعين ، منهم : أبو جعفر ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وشيبه بن نصاح القاضى ، ويزيد بن رومان .
تلامذته : أبو عمرو بن العلاء ، مقرأء البصرة وأحد السبعة ، والإمام مالك والليث بن سعد .

اتجاهاته :

(١) تسير فى خطوط موازية تماماً لاتجاهات شيخه أبى جعفر ، وإن اقتربت من باقى مدارس الأمصار فى الأصول والفرش على السواء .

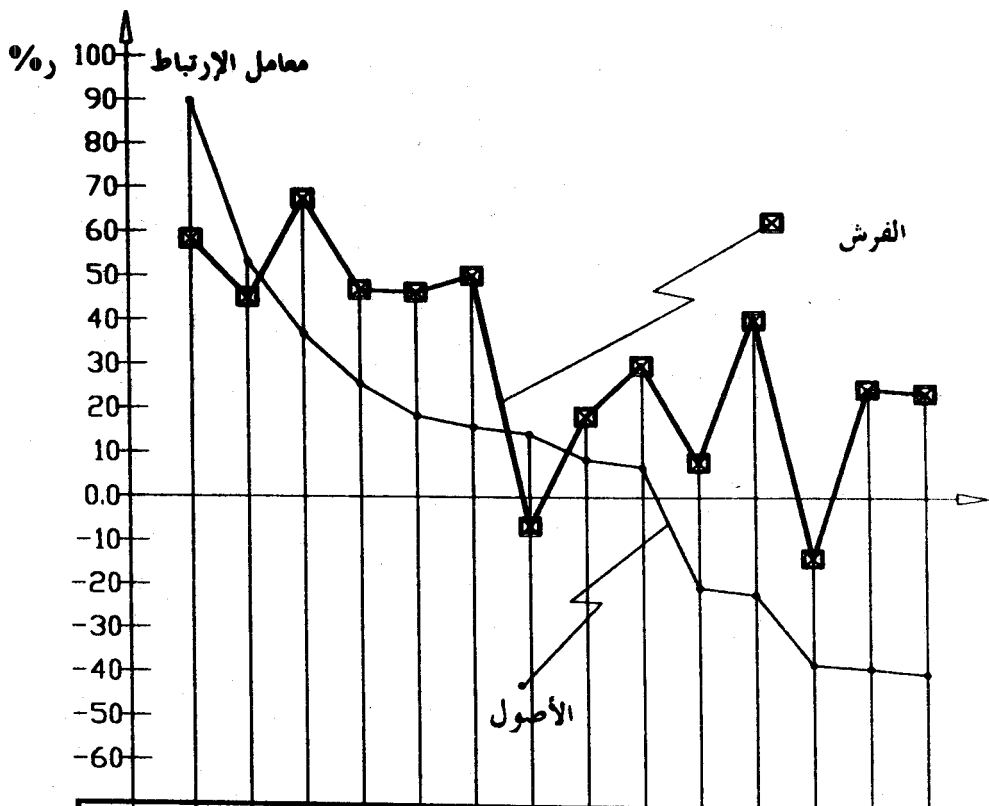
(٢) جذع أصوله مستمد من أصول أبى جعفر (معامل الارتباط ٩٠ ٪) .

(٣) فرشه يكاد يكون مناصفة بين أبى جعفر وحفص « ٥٩ - ٦٥ ٪ »

على التوالى .

(٤) عارضه الكوفيون كما عارضوا أبا جعفر وبخاصة فى الأصول ، ولكن

بدرجة أقل .



شكل (٢) يوضح معامل الارتباط في الفقرش و الأصول بين نافع
و القراء الأربعة عشر

اسمه : عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فيروز بن هرمز ،
الدارى المكى .

ولد - توفي : (٤٥ - ١٢٠ هـ) .

التصنيف : أحد السبعة ، مقرأ مكة .

أصله : مولى ، تابعى .

التعديل : إمام أهل مكة فى القراءة ، لم ينازعه فيها منازع ، وأجمع الناس
عليه حتى مات .

أساتذته : عبد الله بن السائب المخزومى مبعوث عثمان بالمصحف الإمام ،
ومجاهد بن جبر ، ودرباس (مولى ابن عباس) . وقرأ مجاهد على ابن السائب
وابن عباس ، وقرأ درباس على ابن عباس ، وقرأ ابن عباس على أبى بن كعب
وزيد ابن ثابت .

تلامذته : أبو عمرو بن العلاء ، قارئ البصرة وأحد السبعة .

معاصريه : ابن محيصن ، من الأربعة عشر ، إلا أن الناس انصرفت عن
اختياره إلى ابن كثير .
اتجاهاته :

(١) خطوط موازية لنافع ، وإن كانت أقرب إلى باقى قرأ الأمصار .

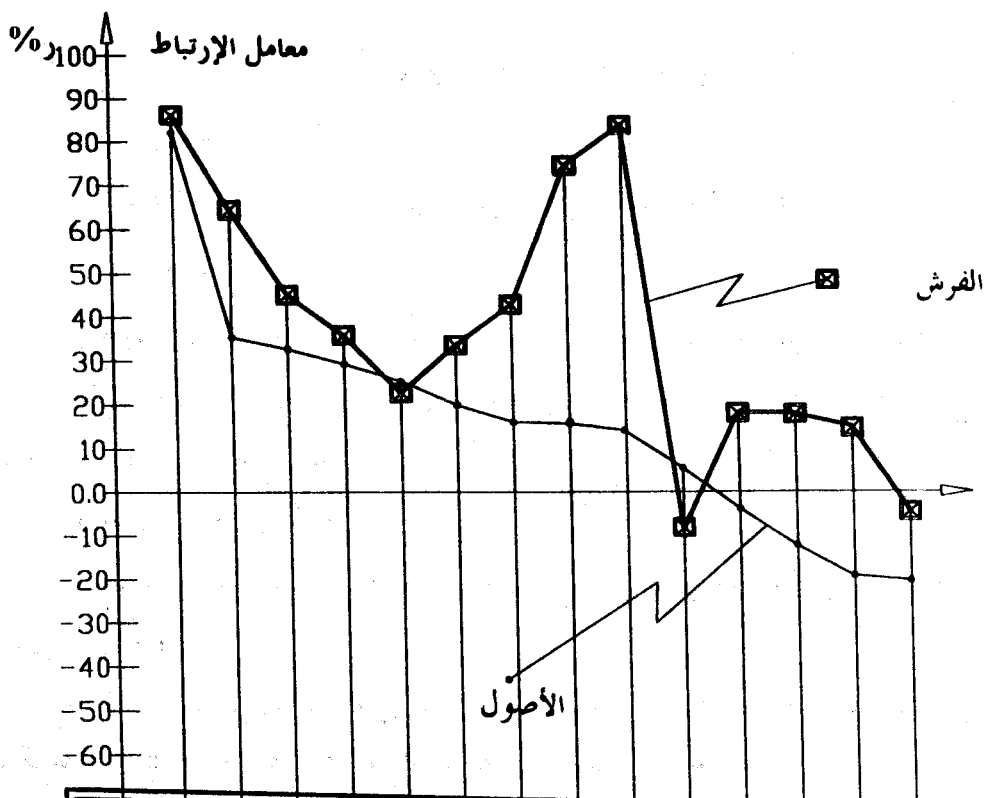
(٢) تحفظ الكوفيون الأربعة على أصول قراءته ، ولكن بدرجة أخف من
نافع .

(٣) تحفظ الكوفيون الأربعة أيضاً على فرش حروفه ولكن بدرجة أقل من
الأصول .

(٤) الارتباط على فرشه أكبر من الارتباط على أصوله بصفة عامة .

(٥) ارتبط به بشدة معاصره ابن محيصن فرشاً وأصلاً « ٨٦ - ٨٢ ٪ » .

(٦) ارتبط بفرشه بشدة : نافع والبصريان أبو عمرو وتلميذه اليزيدى من
الأربعة عشر .



شكل (٣) يوضح معامل الارتباط في الفرش و الأصول بين ابن كثير
و القراء الأربعة عشر

اسمه : محمد بن عبد الرحمن بن محيىن السهمى ، مولا هم المكى .

توفى : (ت ١٢٣ هـ) .

التصنيف : أحد الأربعة عشر ، مقرأ أهل مكة مع ابن كثير .

أصله : مولى .

التعديل : ثقة ، روى له مسلم ، أعلم قراء مكة بالعربية وأقواهم عليها .

الجرح : فى قراءته مخالفة للمصحف (الإمام) ، وكان له اختيار على مذهب العربية ، فخرج به عن إجماع أهل بلده ، فرغب الناس عن قراءته ، وأجمعوا على قراءة ابن كثير لاتباعه .

أساتذته : عرض على مجاهد بن جبر ودرباس مولى ابن عباس ، وهم من

شيوخ ابن كثير . .

[ويبدو أنه لم يعرض على ابن السائب مبعوث عثمان بالمصحف ، وهو

ما فعله ابن كثير ولعل هذا هو سر مخالفة بعض حروفه للمصحف] .

تلامذته : عرض عليه أبو عمرو مقرأ البصرة من السبعة ، فوافقه فى

فرشه دون أصوله .

انجمااته :

(١) موازية لمعاصره ومنافسه ابن كثير ، وإن تميزت عنه بما يلى :

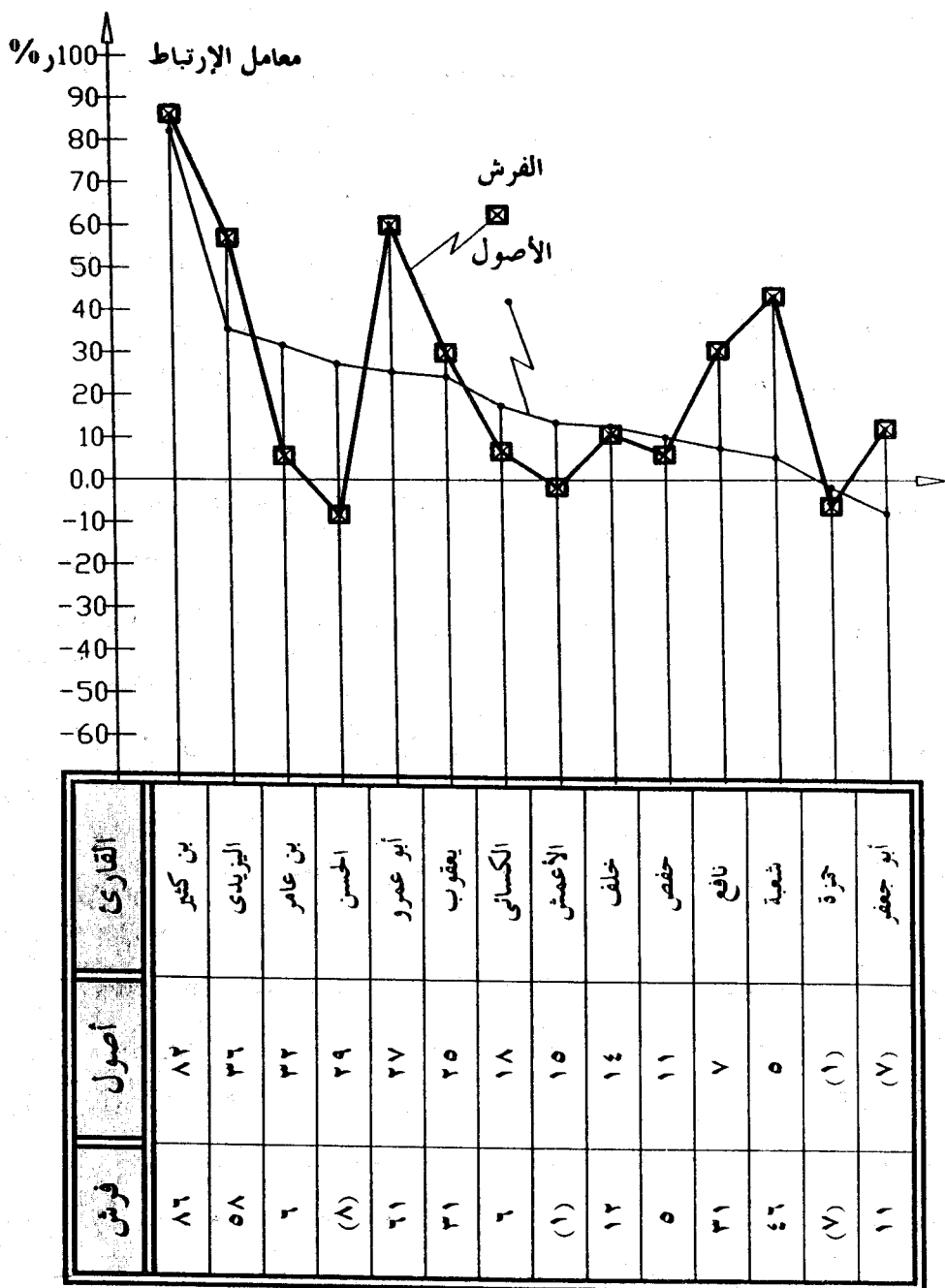
(١) انخفض ارتباط القراء بفرشه عن ارتباطهم بفرش ابن كثير بصفة

عامة .

(ب) اقترب رباعى الكوفة من أصوله بدرجة ملحوظة عن ابن كثير .

(جـ) وافقه على الكثير من فرش حروفه : البصريان (أبو عمرو

واليزيدى) ، وشعبة عن عاصم .



شكل (٤) يوضح معامل الارتباط في الفرش و الأصول بين ابن محيص
و القراء الأربعة عشر

اسمه : الحسن بن أبى الحسن يسار أبو سعيد البصرى .

مولده - وفاته : (٢١ - ١١٠ هـ) البصرة .

التصنيف : أحد الأربعة عشر ، تابعى .

أصله : مولى فارسى ، أبوه مولى لزيد بن ثابت ، وأمه مولاة لأم سلمة .

التعديل والجرح : سبق بيانه فى الفصل الثانى (قرأ الشواذ من التابعين) ،
وأهمها أنه كان كثير التدليس ، فلا يحتج بقوله عن لم يدركه ، ولكنه حافظ
علامة إلخ .

أساتذته : قرأ على حطان الرقاشى عن أبى موسى الأشعرى (من قرأ
الشواذ من الصحابة) .

تلاميذه : قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء ، قارئ البصرة من السبعة .

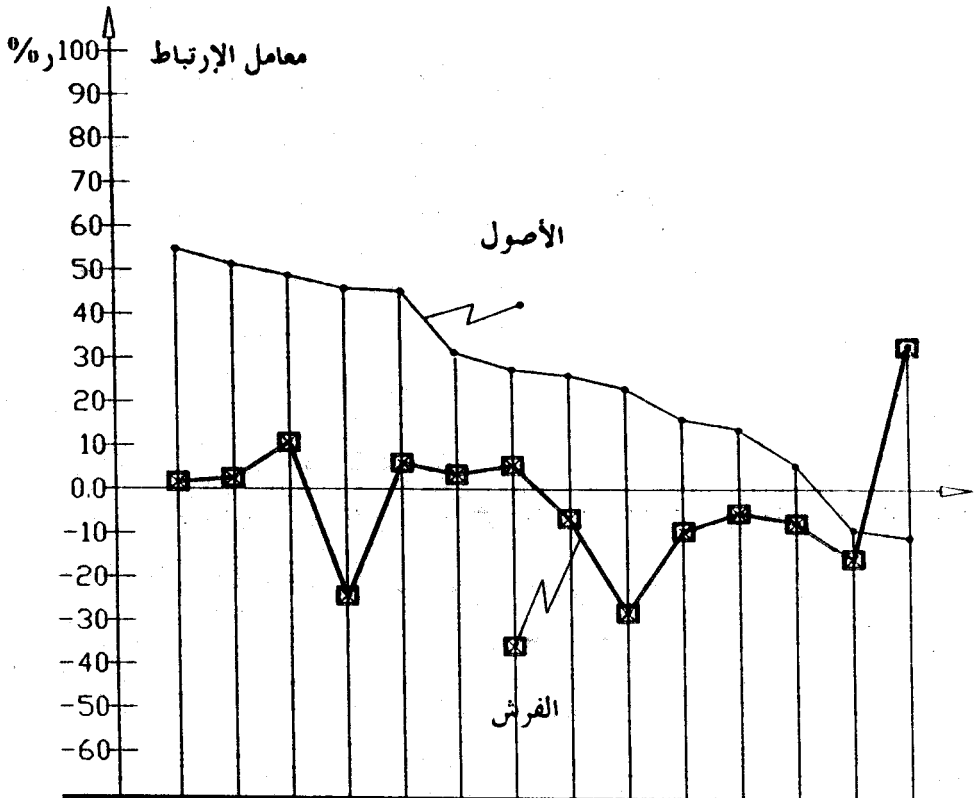
اتجاهاته :

(١) أعرض جميع القراء الأربعة عشر عن فرش حروفه ، فاحتل المركز
الآخر .

(٢) أقبل معظم القراء على أصول قراءته ، لم ينافسه فى ذلك سوى
ابن عامر مقرأ الشام .

(٣) ارتبط بأصوله بدرجة كبيرة القراء البصريون جميعهم (أبو عمرو
واليزيدى ويعقوب) ، والكوفيون أيضاً . فكأنما شكلت أصوله جذعاً أساسياً
فى أصول القراءة بالعراق .

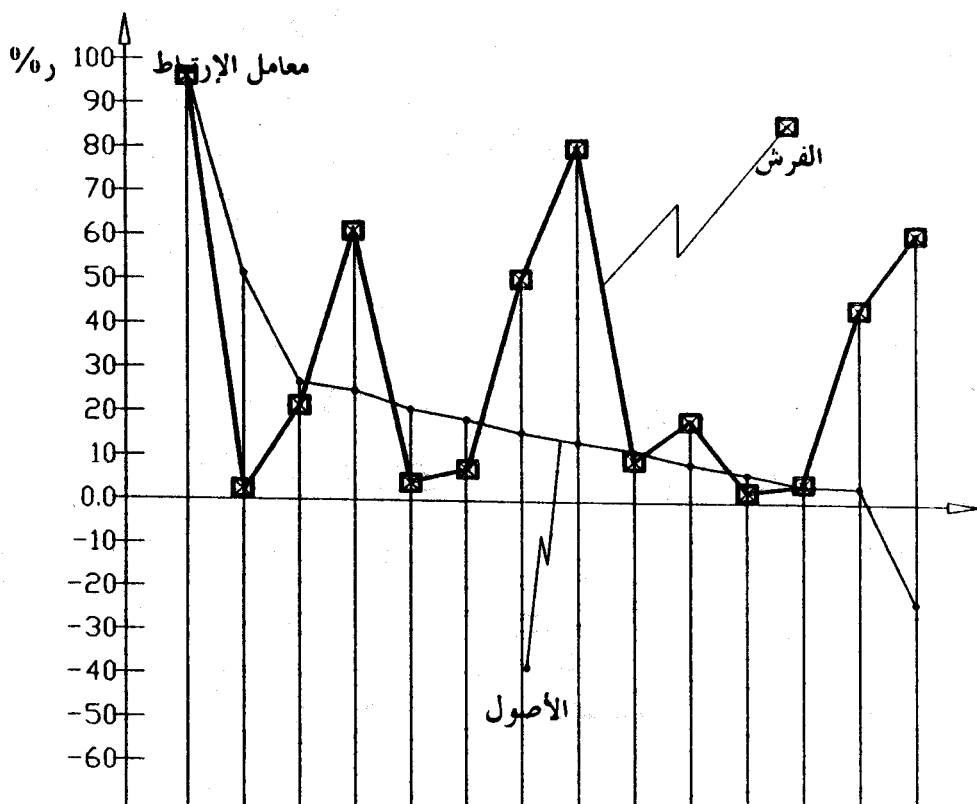
(٤) كان حفص أبعد القراء عن أصوله - رغم شهرتها - وأقربهم إلى
فرشه - رغم التحفظ الشديد عليه !! .



شكل (٥) يوضح معامل الارتباط في الفرش و الأصول بين الحسن البصري

و القراء الأربعة عشر

- اسمه : أبو عمرو زبّان بن العلاء بن العريان المازني ، التميمي ، البصري .
مولده - وفاته : (٧٠ - ١٥٤ هـ) .
- التصنيف : أحد السبعة ، مقرئ البصرة وإمامها .
أصله : عربي حر ، ينتهي نسبه إلى عدنان .
- التعديل : أعلم الناس بالقرآن والعربية ، مع الثقة والأمانة والدين ،
صدوق .
- أساتذته : قرأ على نافع وأبي جعفر المدنيان ، وعلى ابن كثير وابن محيصن
المكيّان ، وعاصم ، وجميعهم من أئمة القراءة ، وأيضاً على شبيهه بن نصاح
وعكرمة ومجاهد وغيرهم .
- تلامذته : اليزيدي ، من الأربعة عشر .
- اتجاهاته :
- (١) ارتبطت أصوله بأصول أستاذه الحسن البصري ٥٠ ٪ ، وأعرض عن
فرشه .
- (٢) عارض أصول حفص « معامل ارتباط سالب (٢٠ ٪) » ، وارتبط
بفرشه .
- (٣) جذع فرشه من فرش ابن كثير مقرئ مكة ، وأحد أساتذته ٨١ ٪ ،
ولكنه لم يأخذ بأصوله .
- (٤) باقى فرشه من : (حفص ونافع وابن محيصن) بدرجة متقاربة .
ولم يأخذ بأصولهم .
- (٥) يكاد تلميذه اليزيدي أن يكون نسخة طبق الأصل منه فرشاً
وأصولاً .
- (٦) لم يصطدم بأى مدرسة من مدارس القراءات ، ولذا لا تجد له
ارتباطات سالبة مع أى من القراء الأربعة عشر ، باستثناء أصول حفص فقط .



شكل (٦) يوضح معامل الارتباط في الفروش و الأصول بين أبي عمرو
و القراء الأربعة عشر

اسمه : يحيى بن المبارك بن المغيرة ، أبو محمد العدوى البصرى .

شهرته : المعروف باليزيدى .

مولده - وفاته : (ت ٢٠٢ هـ) عن أربع وسبعين سنة .

التصنيف : أحد الأربعة عشر .

التعديل : ثقة صدوق ، نحوى مقرئ ، علامة كبير مفوه ، بارع فى

اللغات والأدب .

أساتذته : عرض على أبى عمرو ، وخلفه فى القراءة بها ، وأخذ أيضاً عن

حمزة . وهو ما لم تثبته الإحصائيات .

تلامذته : الدورى والسوسى ، وهما راويا أبى عمرو .

اتجاهاته :

(١) صورة طبق الأصل من أساتذه أبى عمرو ، فى الفرش والأصول ، وفى

الاتجاه ودرجة الارتباط بباقى القراء الأربعة عشر .

(٢) درجة ارتباطه بأبى عمرو فى الفرش ٩٦٪ ، وفى الأصول ٩٧٪ .

(٣) ارتبط بأصول الحسن البصرى ٤٩٪ ، ولم يرتبط بفرشه ١٢٪ .

(٤) ارتبط بفرش ابن كثير ٧٦٪ ، ولم يرتبط بأصوله ١٨٪ .

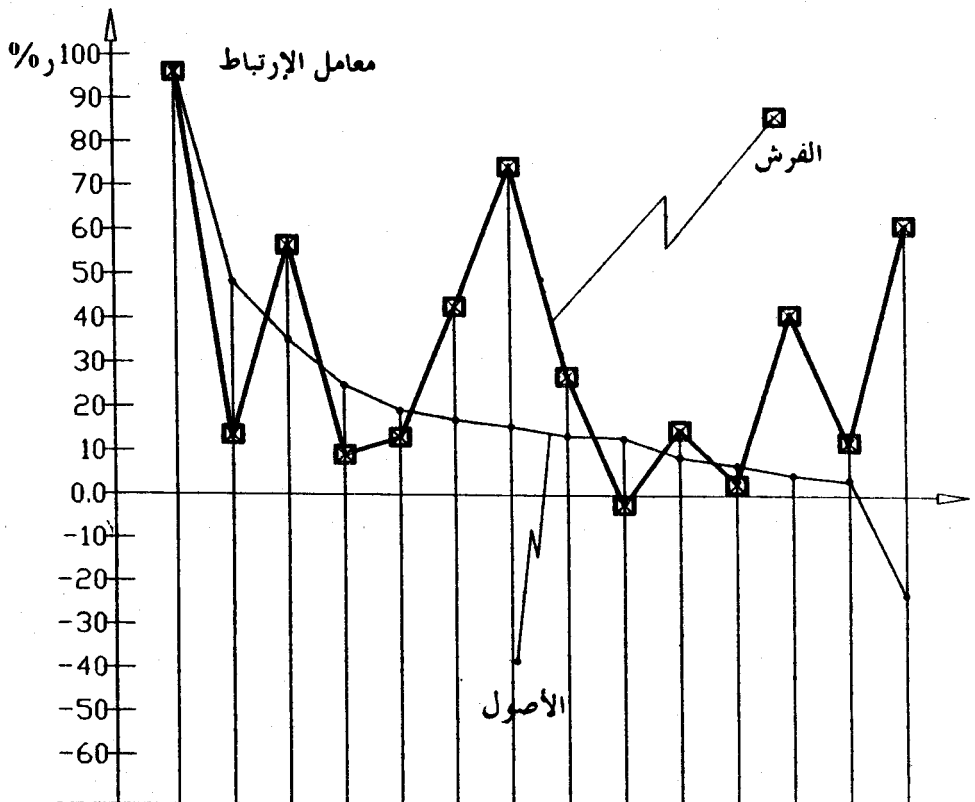
(٥) ارتبط بفرش حفص ٦٥٪ وعارض أصوله (سالب « ٢٠٪ ») .

(٦) ارتبط بفرش ابن محيصة ٥٨٪ ، ومال للارتباط بأصوله ٣٦٪ .

(٧) ارتبط بفرش نافع ٤٦٪ ، ولم يرتبط بأصوله ٢٠٪ .

(٨) ارتبط يعقوب البصرى - من العشرة - بفرشه وفرش أبى عمرو ، ولم

يرتبط بأصولهما .



شكل (٧) يوضح معامل الارتباط في الفرش و الأصول بين اليزيدي و القراء الأربعة عشر

اسمه : يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي
مولا هم البصري .

كنيته : أبو محمد .

مولده - وفاته : (ت ٢٠٥ هـ) وله ثمان وثمانون سنة .

التصنيف : أحد القراء العشرة .

أصله : مولى .

التعديل : كان إماماً كبيراً ثقة عالماً صالحاً ديناً ، انتهت إليه رئاسة القراءة
بالبصرة بعد أبي عمرو . وكان إمام جامع البصرة سنين . من أروى الناس لحروف
القرآن .

أساتذته : قرأ على سلام بن سليمان المزني مولا هم الطويل ، وقرأ سلام
على عاصم وعلى أبي عمرو وعلى عاصم الجحدري ، وقرأ الجحدري على
الحسن البصري . وقرأ على آخرين يتصل سندهم بأبي موسى الأشعري عن
النبي ﷺ .

اتجاهاته :

(١) اتجاهاته متوسطة فرشاً وأصولاً فلم يخالف أحداً بشدة .

(٢) اختلف عن قارئى البصرة أبي عمرو واليزيدى بأن اتجه لأصول شعبة

عن عاصم .

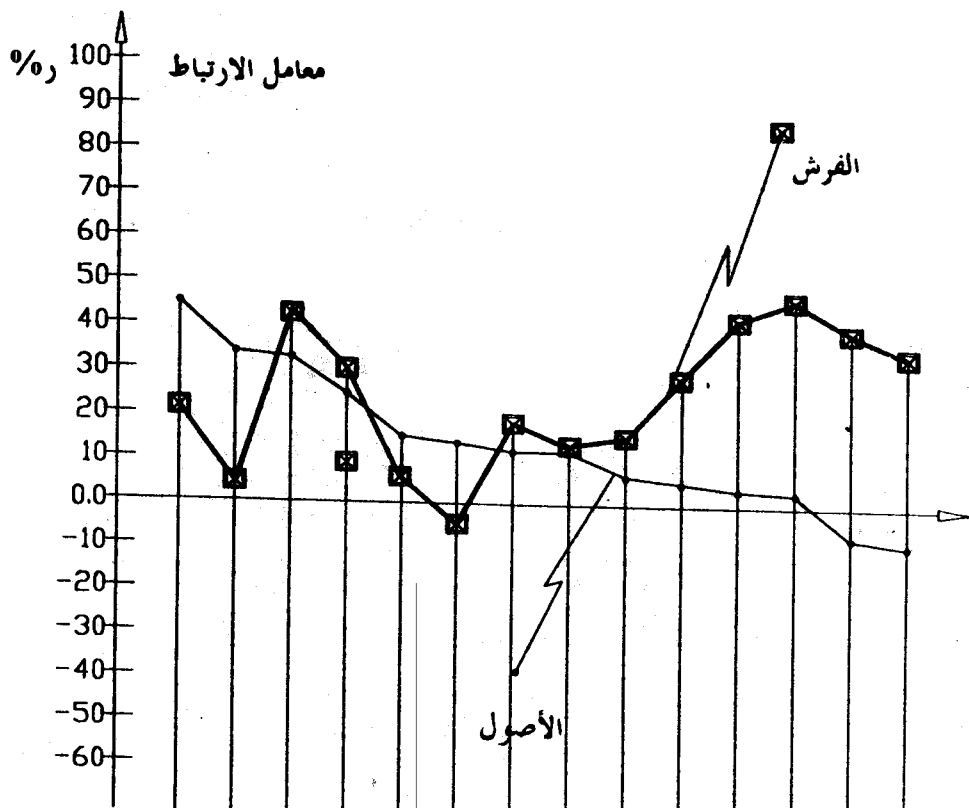
فدرجة ارتباطه بها ٤٤٪ على حين كان ارتباط أبي عمرو بها ٣٪ فقط .

(٣) ارتباطاته على الفرش أعلى بكثير من ارتباطاته على الأصول فى

الغالب .

(٤) قراءته كانت محاولة للتوفيق بين القراء الأربعة عشر جميعهم ، فرشاً

وأصولاً .



القبيلة	أصول	فرش
شعبة	٤٤	٢١
الحسن	٣٤	٢
بن كثير	٣٣	٤٣
بن محيصن	٢٥	٣١
حمزة	١٩	٤
الأخفش	١٨	(٣)
خالف	١٧	٢١
الكسائي	١٧	١٨
ناقع	٨	٢٠
بن عامر	٧	٣٣
اليزيدي	٤	٤٢
أبو عمرو	٣	٤٦
حفص	(٨)	٤٠
أبو جعفر	(١٠)	٣٦

شكل (٨) يوضح معامل الارتباط في الفرش و الأصول بين يعقوب و القراء الأربعة عشر

- اسمه : عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي .
مولده - وفاته : (٨ - ١١٨ هـ) ، تابعي كبير ، وأقدم القراء سناً .
تصنيفه : أحد السبعة ، قارئ الشام .

أصله : عربي ، حر .

تعديله : كان إماماً كبيراً ، وتابعياً جليلاً ، وعالمًا شهيراً ، جمع له الخليفة بين القضاء والإمامة ومشیخة الإقراء بدمشق ، فأجمع الناس على قراءته ، وعلى تلقيها بالقبول ، وإليه انتهت مشیخه الإقراء بالشام بعد وفاة الصحابي أبي الدرداء .

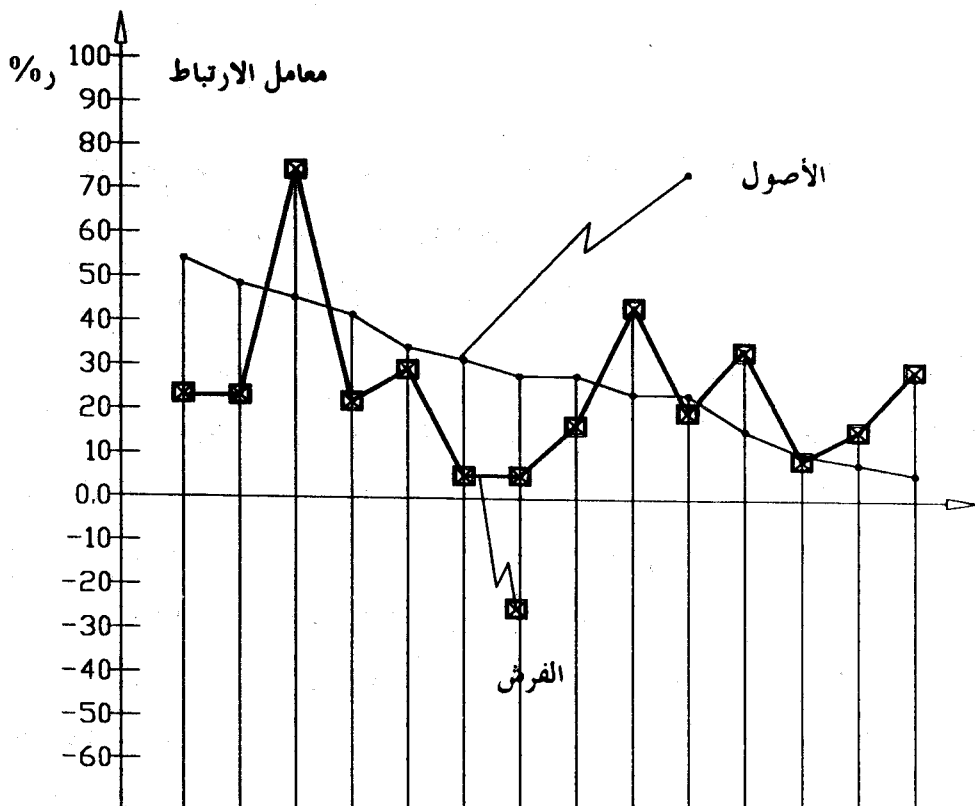
أساتذته : عرض على أبي الدرداء ، وعلى المغيرة شهاب صاحب سيدنا عثمان ومبعوثه إلى الشام بنسخة مصحفه الإمام ، وتنتهى قراءته إلى عثمان عن النبي ﷺ .

اتجاهاته :

- (١) لم يعارضه أحد فرشاً ولا أصولاً ، واقتربت نسب ارتباط القراء جميعهم بفرشه وأصوله على السواء ، وبمعاملات ارتباط متوسطة .
(٢) ارتبط الجميع بأصوله ، فاحتلت بذلك المركز الأول في الاشتهار بين القراء .

(٣) ارتبط بفرش حفص بشدة بمعامل ارتباط ٧٤٪ ، ووافقهما نافع بنسبة ٤٦٪ .

(٤) ارتبط بأصوله شعبة عن عاصم بنسبة ٥٤٪ ، تلاه الكوفيون مباشرة ولم يعارضه أحد .



شكل (٩) يوضح معامل الارتباط في الفرش و الأصول بين بن عامر

و القراء الأربعة عشر

اسمه : سليمان بن مهران ، أبو محمد الاسدي الكاهلي ، الأعمش .

مولده - وفاته : (٦٠ - ١٤٨ هـ) .

تصنيفه : أحد الأربعة عشر ، قارئ الكوفة .

أصله : مولى .

جرحه وتعديله : راجع (قراء الشواذ) ، أحد الأئمة الثقات ، ما نقموا

عليه إلا التدليس .

أساتذته : أخذ القراءة عن إبراهيم النخعي (راجع الشواذ) ، وزر بن

حبيش ، وعاصم ، وتنتهى قراءته إلى ابن مسعود عن النبي ﷺ .

تلاميذه : روى القراءة عنه . عرضاً وسماعاً - حمزة ، قارئ الكوفة وأحد

السبعة .

اتجاهاته :

(١) صراع واضح فى أصول القراءة مع أهل الحجاز وعاصم (منافسه على

الإقراء بالكوفة) . فعارض بشدة أصول أبى جعفر (٥٥ ٪) ، ثم نافع (٤١ ٪) ،

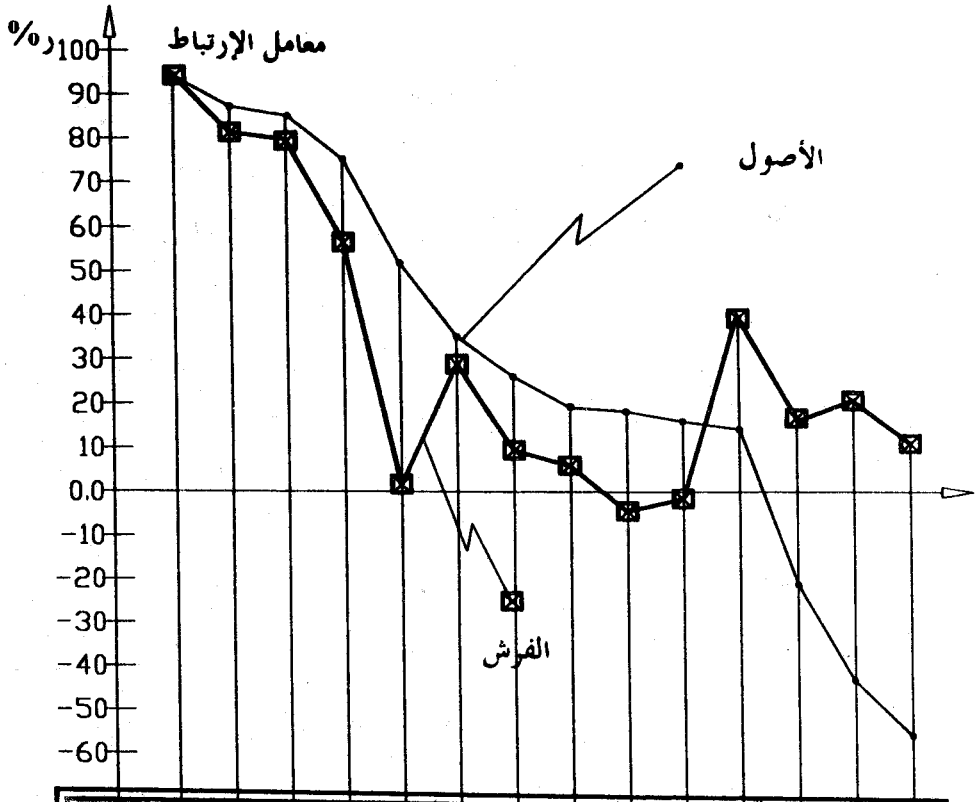
ثم ابن كثير مقرئ مكة (٢٠ ٪) ، وارتباط واهٍ بحفص ١٤ ٪ .

(٢) وافق أصول شعبة عن عاصم بشدة ٧٤ ٪ ، وفرشه ٥٨ ٪ .

(٣) وافق أصول الحسن البصرى ٥٥ ٪ ، وهجر فرشه ١ ٪ .

(٤) أسس مدرسة الكوفة على قراءة ابن مسعود ، فتابعه والتصق به

حمزة ، ثم تلميذه الكسائي من السبعة ، وأخيراً خلف العاشر .



شكل (١٠) يوضح معامل الارتباط في الفروش و الأصول بين الأعمش
و القراء الأربعة عشر

اسمه : حمزة بن حبيب بن عمار ، الكوفي التيمي ، الزيات .

مولده - وفاته : (٨٠ - ١٥٦ هـ) .

تصنيفه : أحد السبعة ، إمام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم

والأعمش .

أصله : مولى .

تعديله : انعقد الإجماع على تلقى قراءته بالقبول ، والإنكار على من

تكلم فيها ، فإنه ما قرأ حرفاً إلا باثر . وكان حجة قيماً بكتاب الله تعالى ،

وثقة كبيراً .

أساتذته : عرض على الأعمش وابن أبي ليلى ، وتنتهى قراءته إلى ابن

مسعود وعلى بن أبي طالب .

تلاميذه : عرض عليه الكسائي أربع مرات ، وعليه اعتماده .

اتجاهاته :

(١) سار في خط مواز تماماً لأستاذه الأعمش ، وإن كان أكثر تشدداً فرشاً

وأصولاً ، فقد عمق الخلاف مع المدنيين أبي جعفر ونافع ، والمكي ابن كثير في

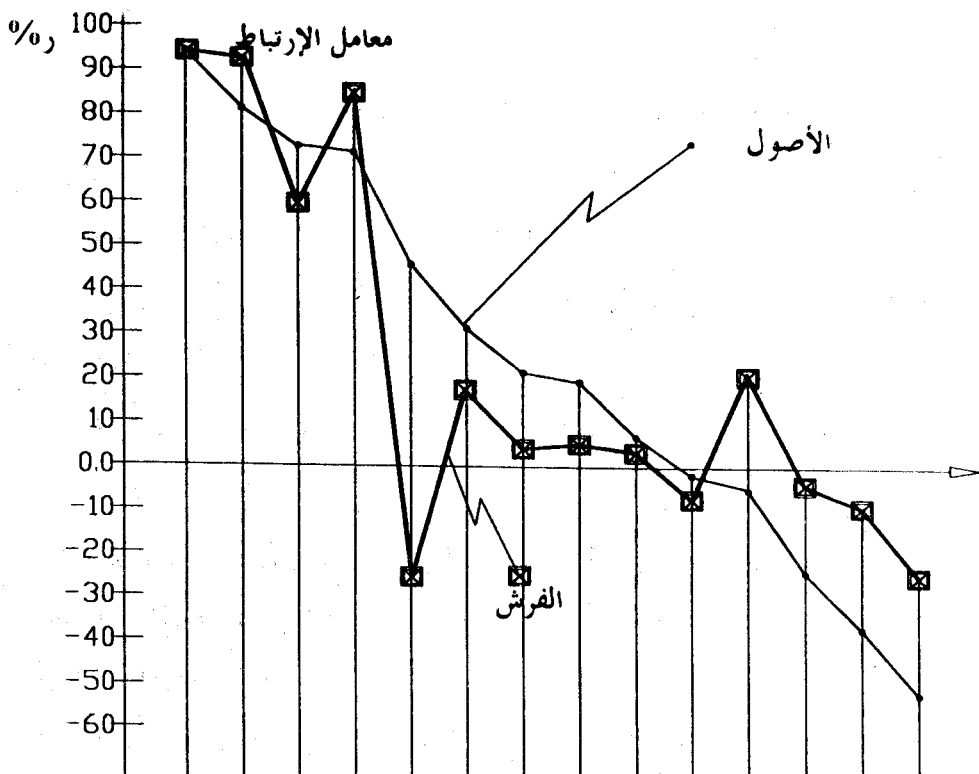
الفرش وكذلك فعل مع حفص عن عاصم (منافسه على الإقراء في الكوفة) ،

إلا أنه ثبت على علاقته بشعبة عن عاصم بنفس درجة ارتباط الأعمش به .

(٢) يمكن القول إجمالاً بأن حمزة كان شديد الانحياز لمدرسة ابن مسعود

في الإقراء ، شديد المخالفة لاختيارات مدارس الحجاز ، وبخاصة أصول مدرسة

المدينة من جهة ، وفرش حفص الأشهر على الإطلاق من جهة أخرى .



الأصول	الفرش
الأعشى	٩٤
خلف	٩٣
شعبة	٥٩
الكسانى	٨٥
الحسن	(٢٤)
بن عامر	١٩
أبو عمرو	٢
يعقوب	٤
اليزيدى	٢
بن محسن	(٧)
حفص	٢٣
بن كثير	(٣)
نافع	(٩)
أبو جعفر	(٢٣)

شكل (١١) يوضح معامل الارتباط في الفرش و الأصول بين حمزة و القراء الأربعة عشر

اسمه : على بن حمزة بن عبد الله بن عثمان الاسدى وهو من اولاد الفرس
بالعراق .

كنيته ولقبه : أبو الحسن الكسائي .

مولده - وفاته : (ت ١٨٩ هـ) ، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد
حمزه الزيات .

تصنيفه : أحد السبعة .

أصله : مولى . فارسى .

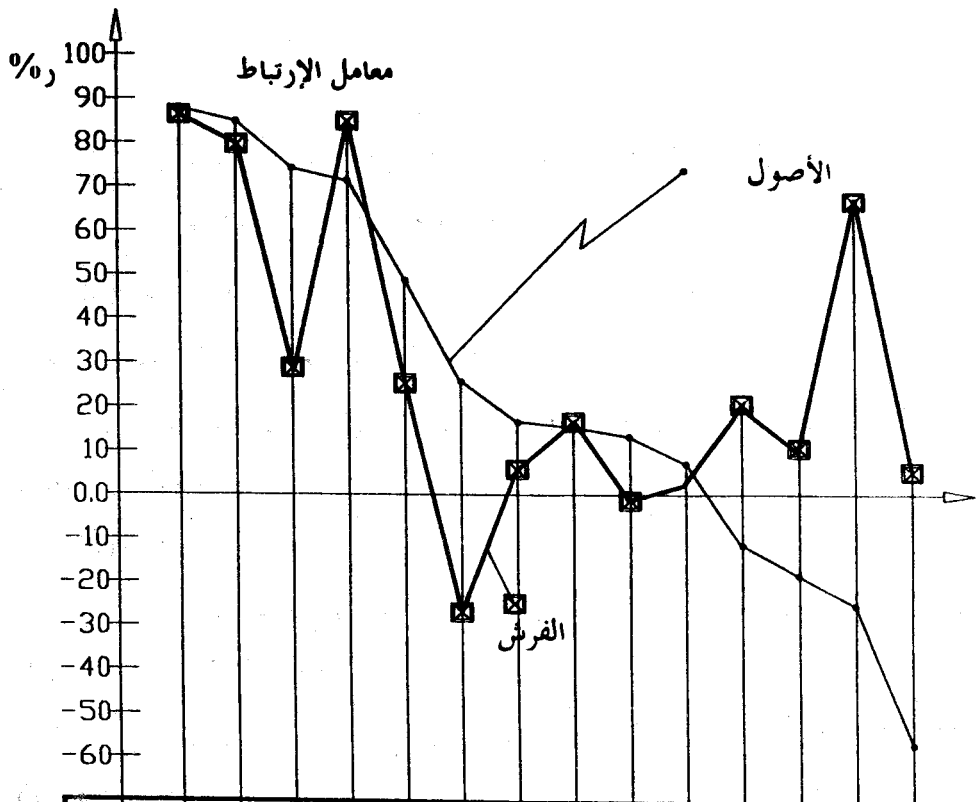
تعديله : لم يكن أحد أضبط منه ، ولا أقوم بالقراءة فى زمانه ، وكان إمام
الناس فى القراءة فى زمانه ، وكان أعلمهم بالقراءة ، وكان أعلم الناس بالنحو ،
وأوحد الناس فى القرآن .

أساتذته : عرض على حمزة أربع مرات ، وعليه اعتماده ، كما روى
الحروف (أى بعض الحروف التى خالف فيها حمزه) عن أبى بكر بن عياش
أحد تلاميذ عاصم .

اتجاهاته :

(١) تكاد تتطابق مع حمزة والأعمش ، غير أنه اتجه لتقليل الاختلاف فى
الفرش الذى عمقه حمزة ، فعاد به إلى مستوى الأعمش ، فحقق تقارباً مع فرش
حفص ٦٤٪ ، وأزال التعارض الكبير مع فرش المدنيين أبى جعفر ونافع ، وقد
جاء اتجاهه فى التقارب مع فرش حفص على حساب فرش شعبة عن عاصم .

(٢) أما الأصول - وهى التى تميز قراءته وقراءة الكوفة - فلم يحقق فيها
تقارباً يذكر مع باقى القراء الذين عارضهم من قبله من الكوفيين .



شكل (١٢) يوضح معامل الارتباط في الفرش و الأصول بين الكسائي و القراء الأربعة عشر

اسمه : خلف بن هشام بن ثعلب الأسدي البغدادي البزار .

مولده - وفاته : (١٥٠ - ٢٢٩ هـ) .

تصنيفه : أحد العشرة .

تعديله : كان إماماً كبيراً عالماً ثقة ، صاحب الاختيار .

أساتذته : قرأ على سليم صاحب حمزة ، وروى الحروف عن الكسائي وإن

لم يعرض عليه .

اتجاهاته :

(١) لم يخرج عن قراءة الكوفيين في حرف واحد ، ولم يخالف حمزة

والكسائي وشعبة إلا في حرف واحد ، وافق فيه عاصماً .

(٢) الأقرب إلى الأعمش في تقليل حدة الفجوة بين الكوفة وباقي أهل

الأمصار .

(٣) اقتصر خلافه الشديد على معارضة المدنيين في الأصول ، وهما

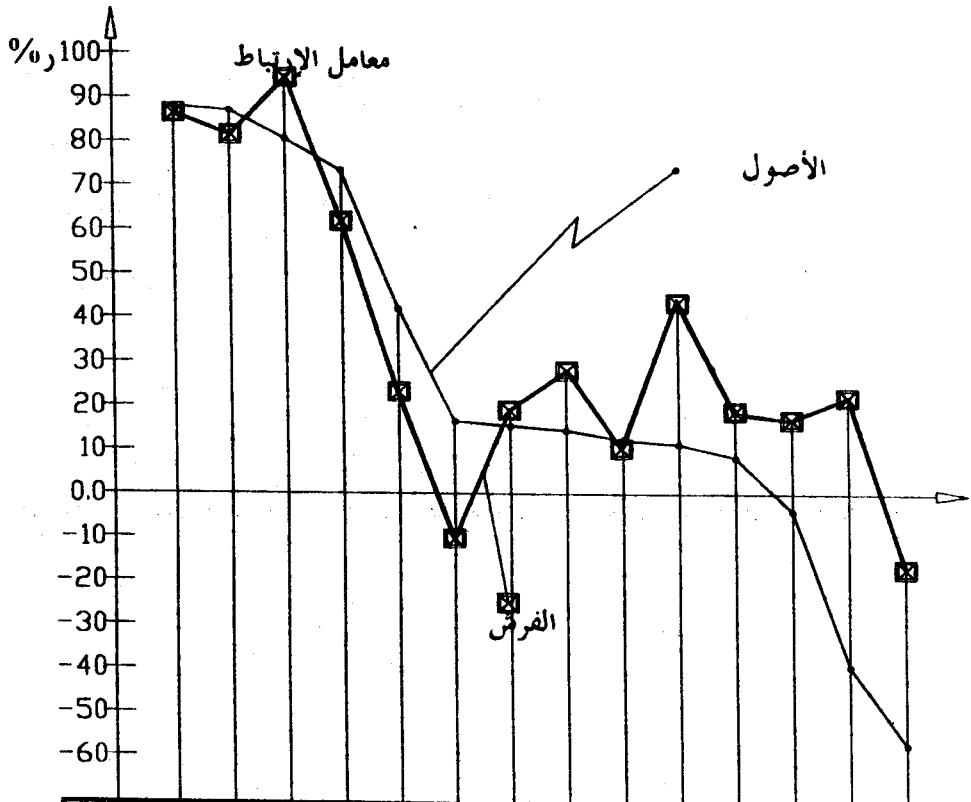
أبي جعفر ونافع ، ومعارضة خفيفة لفرش أبي جعفر والحسن طبعاً .

(٤) حافظ على المسافة الكبيرة بين الكوفة والحجاز فرشاً وأصولاً ، فأكد

على نفس اتجاهات من سبقوه من الكوفيين ، الأعمش وحمزة والكسائي ، حتى

لا تكاد تلمس تغيراً ملموساً في اتجاه أي منهم بعيداً عن الآخر ، إلا فيما ندر ،

وكما أوضحنا عند حمزة والكسائي .



شكل (١٣) يوضح معامل الارتباط في الفرش و الأصول بين خلف و القراء الأربعة عشر

اسمه : شعبة بن عياش بن سالم ، أبو بكر الحناط الأسدي النهشلي الكوفي .

مولده - وفاته : (٩٥ - ١٩٣ هـ) .

تصنيفه : أحد راويي عاصم أحد السبعة .

تعديله : كان إماماً كبيراً ، عالماً عاملاً ، حجة من كبار أئمة السنة .

أساتذته : عرض على عاصم أكثر من مرة .

اتجاهاته :

(١) روى عن عاصم قراءته عن زر بن حبیش التي تنتهى إلى ابن مسعود ،

فكان بذلك يخالف رواية حفص عن عاصم باتجاه مدرسة الكوفة .

(٢) يرتبط بشدة برواية حفص عن عاصم فرشاً بنسبة ٩١٪ ، وأصولاً

بنسبة ٨٢٪ .

(٣) ارتبط بشدة بحروف الأعمش وحمزة والكسائي وخلف بدرجة

واحدة فى الأصول ٧٤٪ ، وبدرجة أقل نسبياً فى الفرش ، فى حدود ٦٠٪ ،

باستثناء الكسائي الذى هجر فرشته إلى فرش حفص .

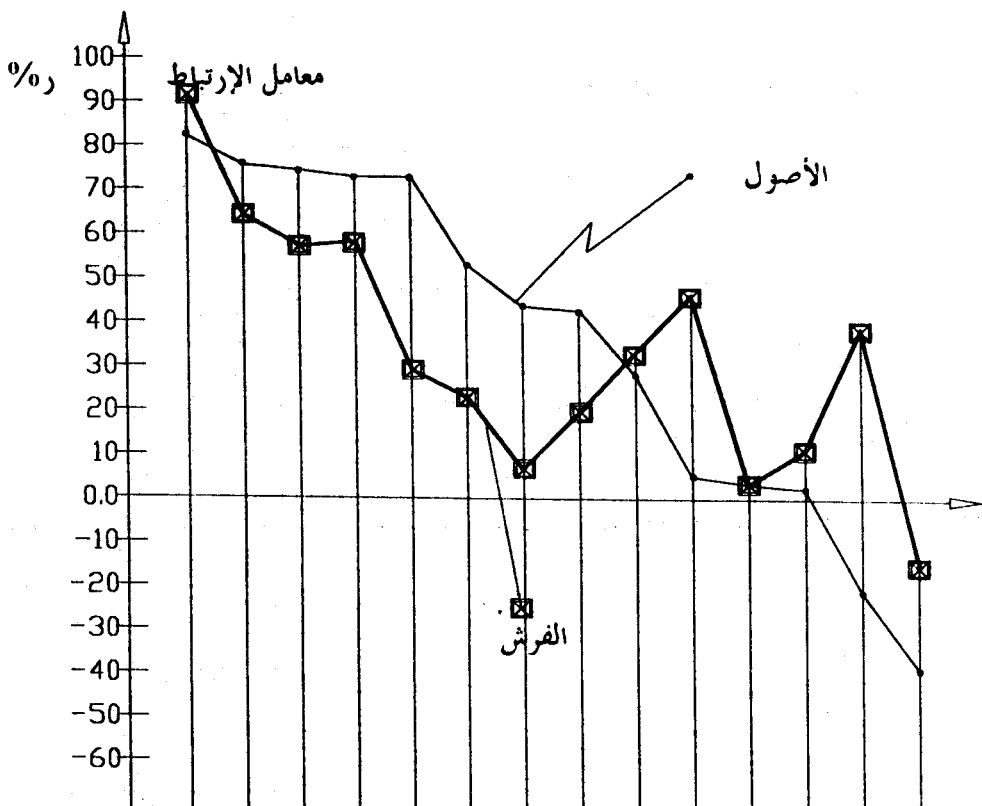
(٤) وافق الكوفيين فى تنافرهم مع أصول المدنيين ، فجاء معامل ارتباطه

بأصول أبى جعفر (٤٠٪) ، وبأصول نافع (٢٠٪) .

(٥) اقترب من أصول الحسن وهجر فرشته ، على العكس من حفص تماماً .

(٦) علاقة واهية للغاية بالبصريين (أبى عمرو واليزيدى) فرشاً

وأصولاً .



شكل (١٤) يوضح معامل الارتباط في الفقرش و الأصول بين شعبة (عن عاصم) والقراء الأربعة عشر

اسمه : حفص بن سليمان بن المغيرة بن أبي داود الاسدي الكوفي .

مولده - وفاته : (٩٠ - ١٨٠ هـ) .

تصنيفه : أحد راويي عاصم أحد السبعة .

تعديله : كان أعلم أصحاب عاصم بقراءة عاصم ، أخذ القراءة عرضاً وتلقيناً عن عاصم .

أما في القراءة : ثقة ثبت ضابط لها ، بخلاف حاله في الحديث .

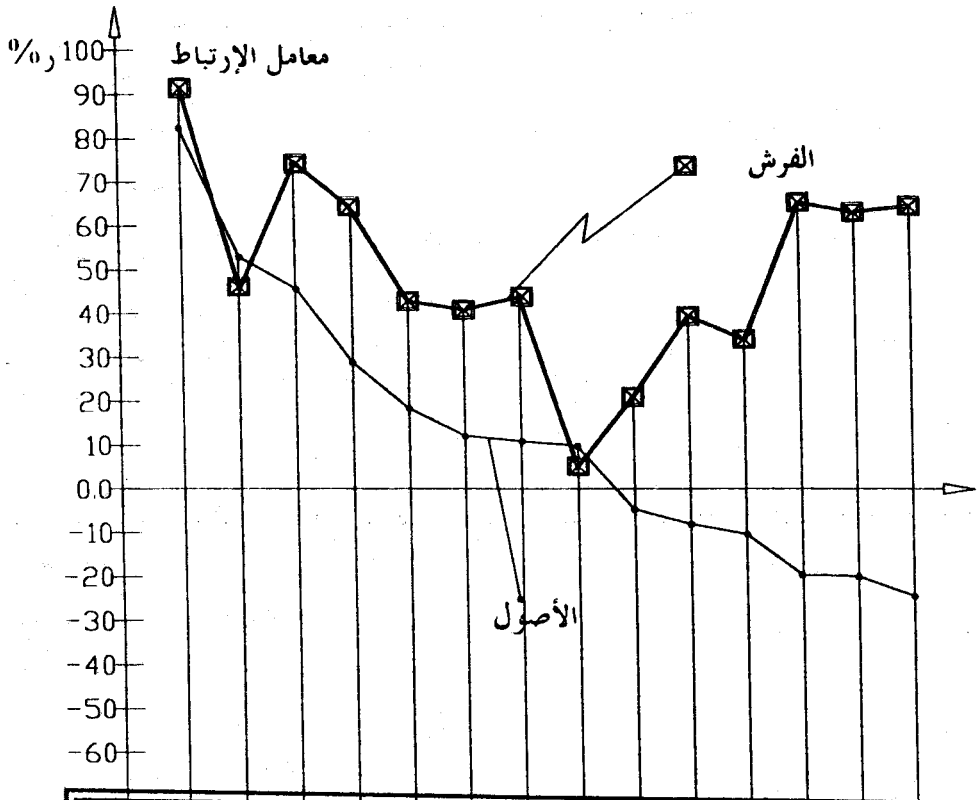
أما في الحديث : فكان واهياً فيه لأنه كان لا يتقنه .

اتجاهاته :

(١) اجتمع القراء الأربعة عشر ، وغيرهم على الارتباط بمعاملات ارتباط مرتفعة بفرش حروفه ، فلم يعارضه أحد ، وتسابقوا إلى موافقته ، أعلنوا ذلك أم لم يعلنوا ، مما أثبتته الإحصاءات ، باستثناء ابن محيصن ، يليه حمزة - الذي كان ينافسه على زعامة مدرسة الإقراء بالكوفة .

(٢) وعلى العكس في الأصول ، فلم يوافقه فيها بنسب معقولة سوى شعبة - الراوي الثاني لعاصم - بنسبة ٨٢ ٪ ، ونافع بنسبة ٥٣ ٪ ، وابن عامر بنسبة ٤٦ ٪ . وقد عارضه في أصوله قراء البصرة جميعهم ، وكذا الكسائي وحمزة من الكوفة ، وعليه فلم تشتهر أصوله كما اشتهر فرشه .

(٣) في مقدمة من وافقه فرشاً وأصولاً : ابن عامر مقرئ الشام .



شكل (١٥) يوضح معامل الارتباط في الفرش و الأصول بين حفص (عن عاصم)

و القراء الأربعة عشر

اسمه : عاصم بن أبى النّجود أبو بكر الاسدى الكوفى .

مولده - وفاته : (ت ١٢٧ هـ) ، من التابعين .

تصنيفه : أحد السبعة . انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد

أبى عبد الرحمن السلمى .

تعديله : ثبت فى القراءة ، وهو فى الحديث دون الثبت ، صدوق ، حسن

الحديث .

رحل إليه الناس للقراءة من شتى الآفاق ، وجمع بين الفصاحة والتجويد

والإتقان والتحرير . وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن .

أصله : مولى .

أساتذته : عرض على زر ، والسلمى ، والشيبانى ، وقرأ الثلاثة على

ابن مسعود وقرأ كل من السلمى وزر على عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ،

كما قرأ السلمى على أبى بن كعب وزيد بن ثابت . وجميعهم تلقوا القراءة عن

الرسول ﷺ .

تلامذته : حفص وشعبة ، أخذوا عنه القراء عرضاً وبدون وسائط .

اتجاهاته : فصلنا قراءته إلى روايتى حفص عن عاصم عن السلمى ، وشعبة

عن عاصم عن زر . والأولى تنتهى إلى عثمان وعلى ، والثانية تنتهى إلى

ابن مسعود ، وقد سبق إيضاح ذلك بالتفصيل فى الفصل الثانى ، وقد كان

ذلك ضرورياً حتى تأخذ رواية حفص - السائدة حالياً - حقها من الدقة الواجبة

لها .

* اتجاهات أبى جعفر نحو القراء الأربعة عشر : شكل (١٦)

(١) يوافقه بشدة على أصوله ، تلميذه نافع المدني .

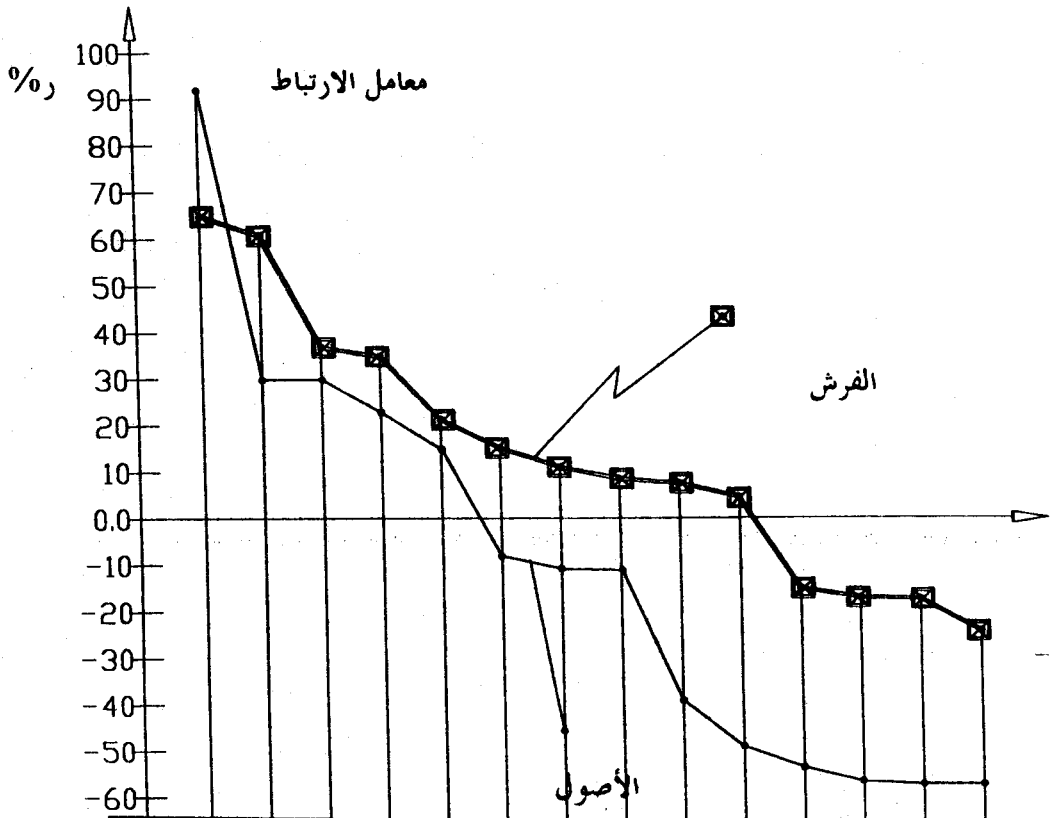
(٢) يخالفه بشدة على أصوله رباعى الكوفة وشعبة عن عاصم .

(٣) يوافقه على فرش حروفه حفص عن عاصم ، ونافع .

(٤) يعارضه فى فرش حمزة الكوفى .

(٥) ارتباط القراء بفرشه (المنحنى العلوى) يفوق ارتباطهم بأصوله

(المنحنى السفلى) .

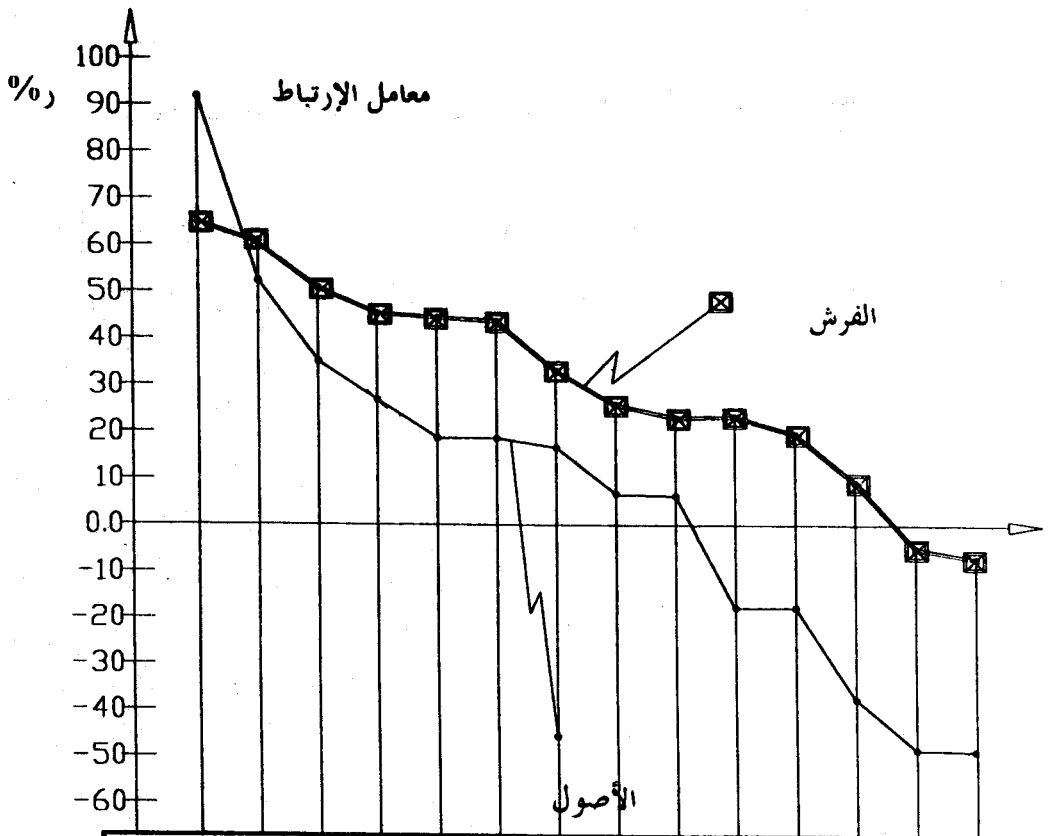


القاري	أصول	فقرش	القاري
نافع	///	///	حفص
حفص	/	/	نافع
أبو عمرو			بن عامر
بن كثير			يعقوب
الزيدى			بن كثير
بن عامر	-		أبو عمرو
بن محيى	x	-	الزيدى
يعقوب			الأعمش
الحسن			بن محيى
شعبة			الكسائي
حمزة	xxx	x	شعبة
الأعمش			الحسن
خلف			خلف
الكسائي		xx	حمزة

شكل (١٦) يوضح تباین الارتباط على الفقرش و الأصول و اتجاهات أبى جعفر بالنسبة للقراء الأربعة عشر

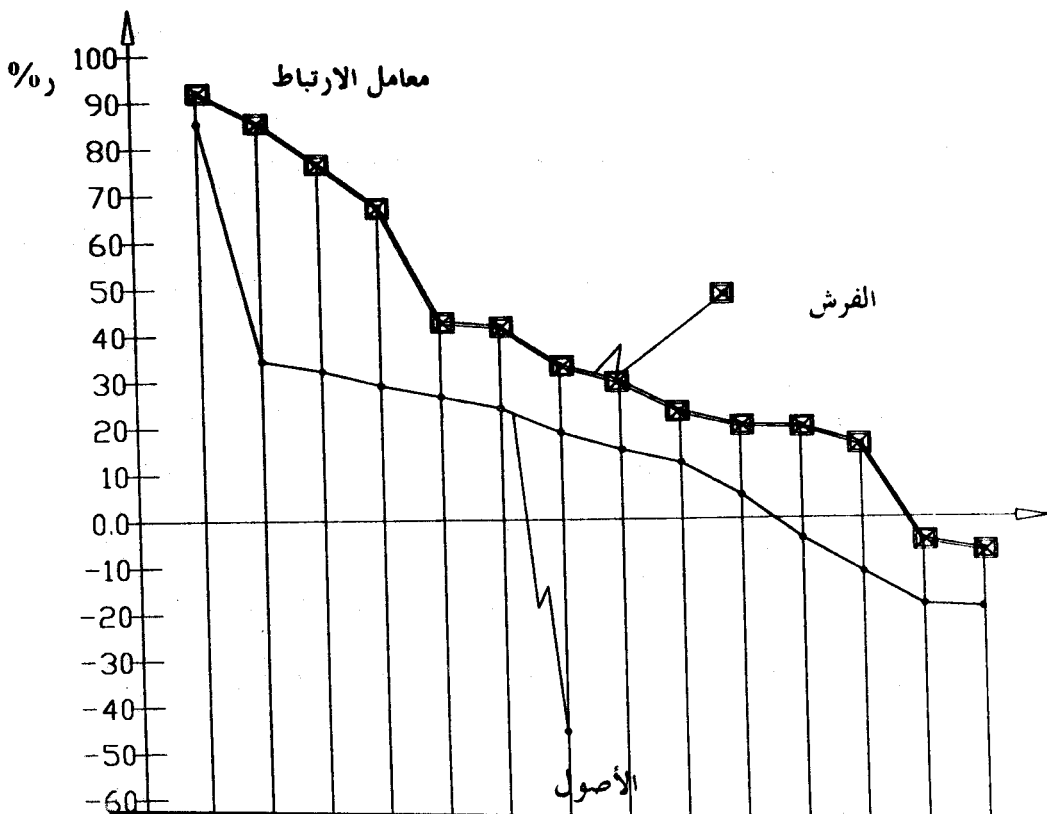
*** اتجاهات نافع نحو القراء الأربعة عشر : شكل (١٧)**

- (١) يوافقه بشدة على أصوله ، أبو جعفر .
- (٢) يعارضه بشدة في أصوله الأعمش وخلف .
- (٣) يوافقه في أصوله حفص عن عاصم .
- (٤) يعارضه في أصوله حمزة وشعبة عن عاصم .
- (٥) يوافقه على فرشه : انظر شكل (١٧) الأسماء أمام علامة (٧٧) .
- (٦) ارتباط القراء بفرشه (المنحنى العلوى) ، يفوق ارتباطهم بأصوله (المنحنى السفلى) .
- (٧) ارتباط القراء بنافع يفوق ارتباطهم بأبى جعفر فرشاً وأصولاً حيث ضيق التلميذ (نافع) الفجوة في تعارض اختيارات أستاذه أبى جعفر مع باقى قراء الأمصار ، بصفة عامة .



القاروي	أبو جعفر	حفص	بن كثير	بن عامر	الزيدى	أبو عمرو	الحسن	يعقوب	بن مجيص	الكسائي	شعبة	حمزة	خلف	الأعمش
أصول	///	///	/				-			x	xx		xxx	
فرش				==				/				-	x	
القاروي	بن كثير	أبو جعفر	أبو عمرو	حفص	بن عامر	الزيدى	شعبة	بن مجيص	خلف	الأعمش	يعقوب	الكسائي	الحسن	حمزة

شكل (١٧) يوضح تبين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات نافع
بالنسبة للقراء الأربعة عشر



الفرش	أصول	الفرش	أصول
بن محيصن	///	///	بن محيصن
أبو عمرو	/	//	أبو عمرو
اليزيدى			اليزيدى
نافع			نافع
يعقوب	-	-	يعقوب
حفص			حفص
شعبة			شعبة
أبو جعفر	X	X	أبو جعفر
بن عامر			بن عامر
الكسانى			الكسانى
خلف	X X	X	خلف
الأعمش			الأعمش
حمزة			حمزة
الحسن			الحسن

شكل (١٨) يوضح تباين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات ابن كثير بالنسبة للقراء الأربعة عشر

* اتجاهات ابن محيىن (مقرأ مكة) نحو القراء الأربعة عشر :

شكل (١٩) .

(١) يرتبط بشدة بأصوله وفرشه ، معاصره ابن كثير .

(٢) يوافقه على فرشه ، أبو عمرو واليزيدى وشعبة .

(٣) أصوله تتفوق على أصول ابن كثير فى ارتباط القراء بها ، والعكس

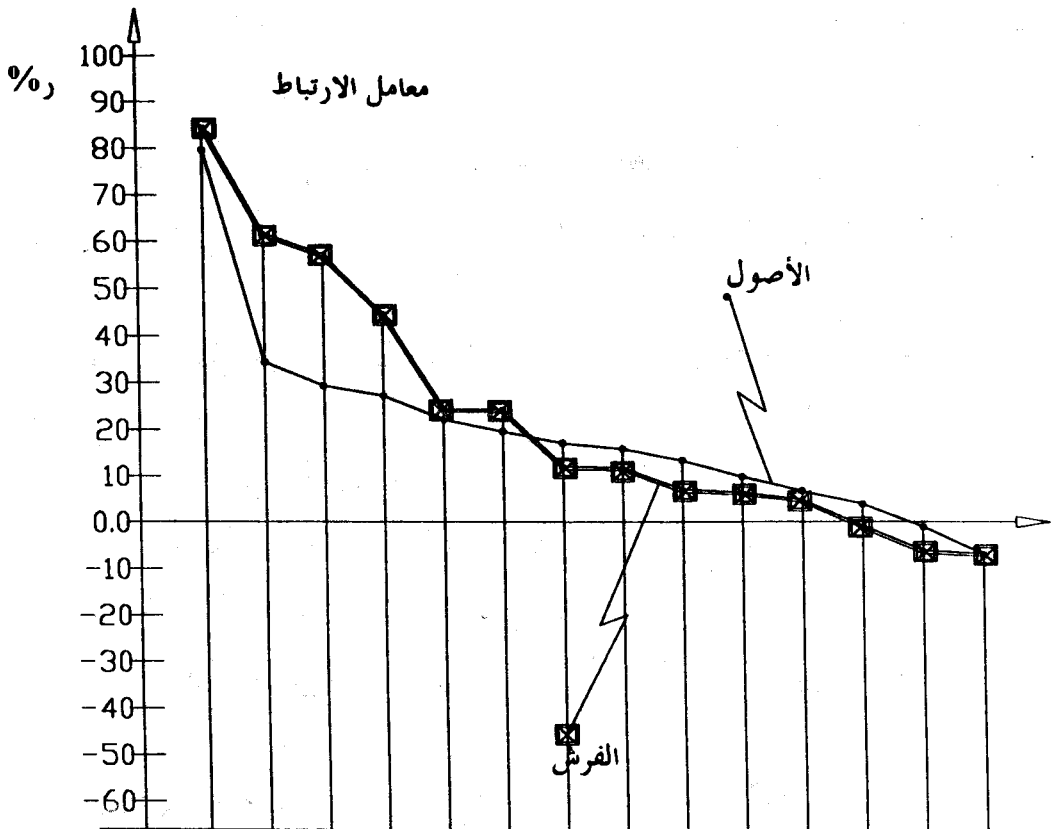
صحيح بالنسبة للفرش الذى يتفوق فيه ابن كثير عليه .

ولعل هذا هو سر ترك الناس لقراءته إلى قراءة ابن كثير ، لاتباعه .

(٤) فضل قراء الكوفة أصوله على أصول ابن كثير .

(٥) فضل قراء المدينة أصول ابن كثير على أصوله ، على عكس

الكوفيين .



القارئ	فرش	أصول	القارئ
بن كبير	///	///	بن كبير
أبو عمرو	//		اليزيدي
اليزيدي			
شعبة			
نافع	\\		الحسن
يعقوب			أبو عمرو
خلف			يعقوب
أبو جعفر			الكسائي
بن عامر			الأعمش
الكسائي			خلف
حفص			حفص
الأعمش	x	x	نافع
حمزة			شعبة
الحسن			حمزة
			أبو جعفر

شكل (١٩) يوضح تبين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات ابن محيصن بالنسبة للقراء الأربعة عشر

* اتجاهات الحسن البصرى نحو القراء الأربعة عشر : شكل (٢٠)

(١) على خلاف باقى القراء ، فقد تفوقت أصول قراءته على فرش حروفه .

(٢) احتل المركز الثانى فى شهرة أصوله ، لم يناطحه سوى ابن عامر الشامى .

(انظر المنحنى العلوى) .

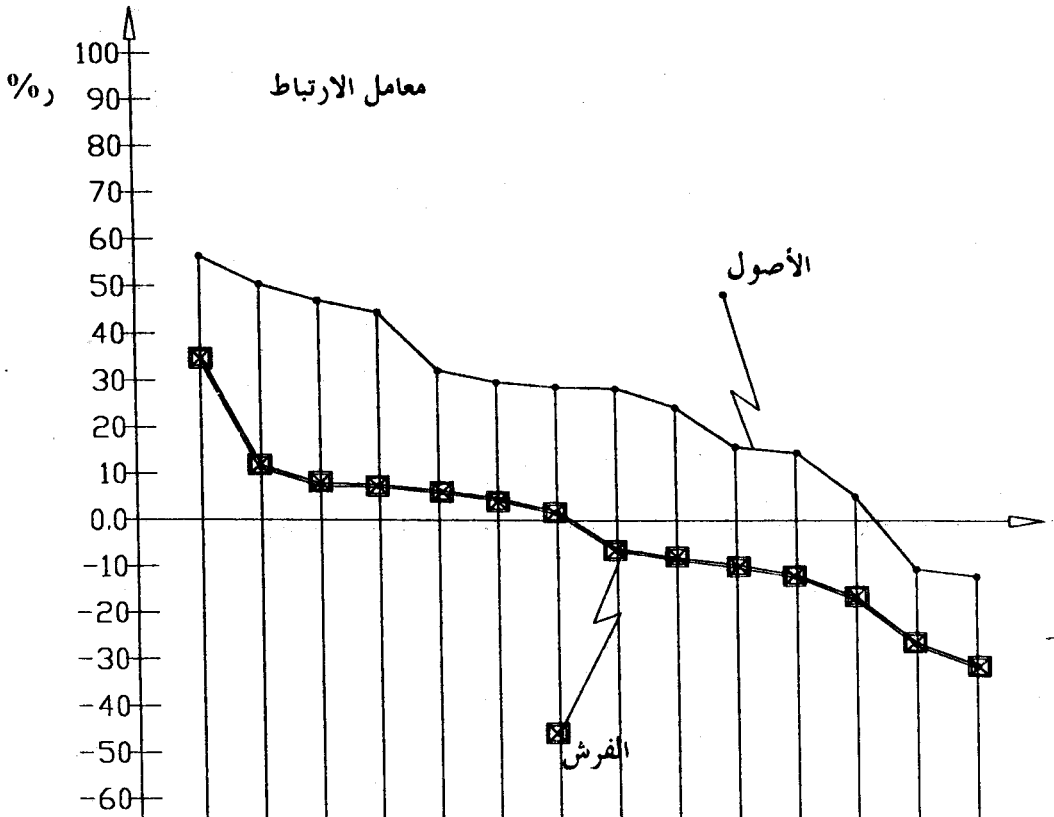
(٣) وافقه على أصوله : الأعمش وأبو عمرو واليزيدى وحمزة وشعبة .

(٤) عارض فرشه الكسائى وحمزة على الأخص .

(٥) كان حفص هو الوحيد بين القراء الذى يميل إلى فرشه الحسن البصرى .

(٦) احتل فرشه المرتبة الأخيرة – بلا منازع – فى الاشتهار وتلقى القراء لها بالقبول ، ذلك أنها حازت على أقل نسب ارتباط للقراء بها .

(أنظر المنحنى السفلى) .



القارئ	أصول	فرش	القارئ
الأعشى	=	-	حفص
أبو عمرو			اليزيدى
اليزيدى			شعبة
هزرة			بن عامر
شعبة	/	-	يعقوب
يعقوب			أبو عمرو
بن عامر			الأعشى
بن محيصة			نافع
الكسائي	-	x	بن محيصة
خلف			بن كبير
نافع			خلف
بن كبير			أبو جعفر
أبو جعفر	x	x	هزرة
حفص			الكسائي

شكل (٢٠) يوضح تباين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات الحسن البصرى
بالنسبة للقراء الأربعة عشر

* اتجاهات أبي عمرو بن العلاء نحو القراءة الأربعة عشر : شكل (٢١)

(١) وافقه بشدة - فرشاً وأصولاً - تلميذه اليزيدى .

(٢) وافق أبو عمرو بشدة على فرش ابن كثير ، أستاذه ومقرئ مكة ،

حتى يمكن القول أن جذع فرش أبي عمرو ، هو فرش ابن كثير .

(٣) وافق أبو عمرو على أصول الحسن البصرى ، وعنه أخذ قدراً لا بأس

به .

(٤) وافق أبو عمرو فرش حفص ونافع وابن محيصن ، ووافقه يعقوب على

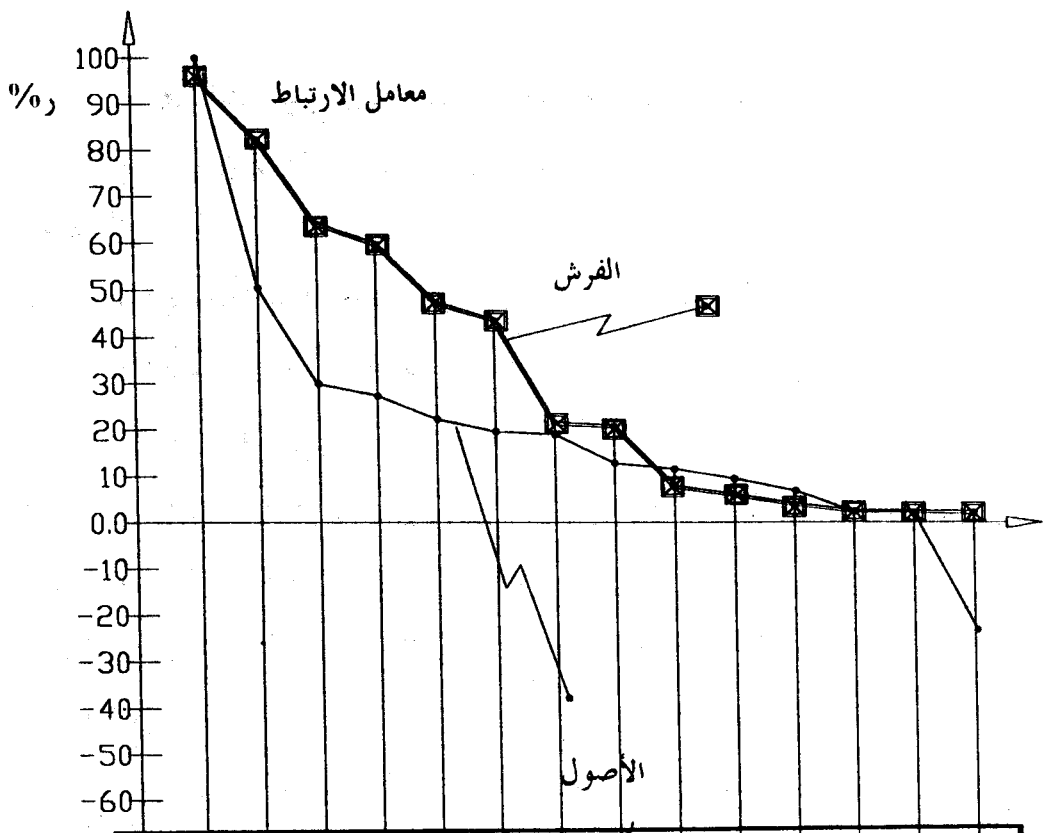
فرشه أيضاً .

(٥) عارض أبو عمرو أصول حفص عن عاصم .

(٦) يمكن القول بأن اتجاه أبو عمرو كان ناحية مكة فى المقام الأول فى

فرش الحروف ، ثم طعم اختياراته بفرش الثقات من أمثال حفص ونافع .

(٧) لم يعارض أبو عمرو أى قارئ من الأربعة عشر سوى أصول عاصم .



القارئ	الأصول	فرش	القارئ
اليزيدى	///	///	اليزيدى
الحسن	///	///	بن كثير
أبو جعفر	/	///	حفص
بن محيى		///	بن محيى
حمزة			نافع
الأعشى			يعقوب
نافع		/	أبو جعفر
بن كثير			خلف
بن عامر			بن عامر
خلف	-		الأعشى
الكسانى		-	شعبة
شعبة			حمزة
يعقوب			الحسن
حفص	xx		الكسانى

شكل (٢١) يوضح تباین الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات أبى عمرو بالنسبة للقراء الأربعة عشر

*** اتجاهات اليزيدى نحو القراء الأربعة عشر : شكل (٢٢)**

(١) قراءته تكاد تكون صورة طبق الاصل من قراءة أبى عمرو فرشاً وأصولاً .

(٢) ارتبط بشدة بفرش ابن كثير المكي ، ولم يرتبط بأصوله .

(٣) عارض أصول حفص عن عاصم ، تماماً كاستاذة أبى عمرو .

(٤) ارتبط بفرش حفص ونافع وابن محيصن المكي .

(٥) يميل لعدم الارتباط بفرش الكسائى قارئ الكوفة .

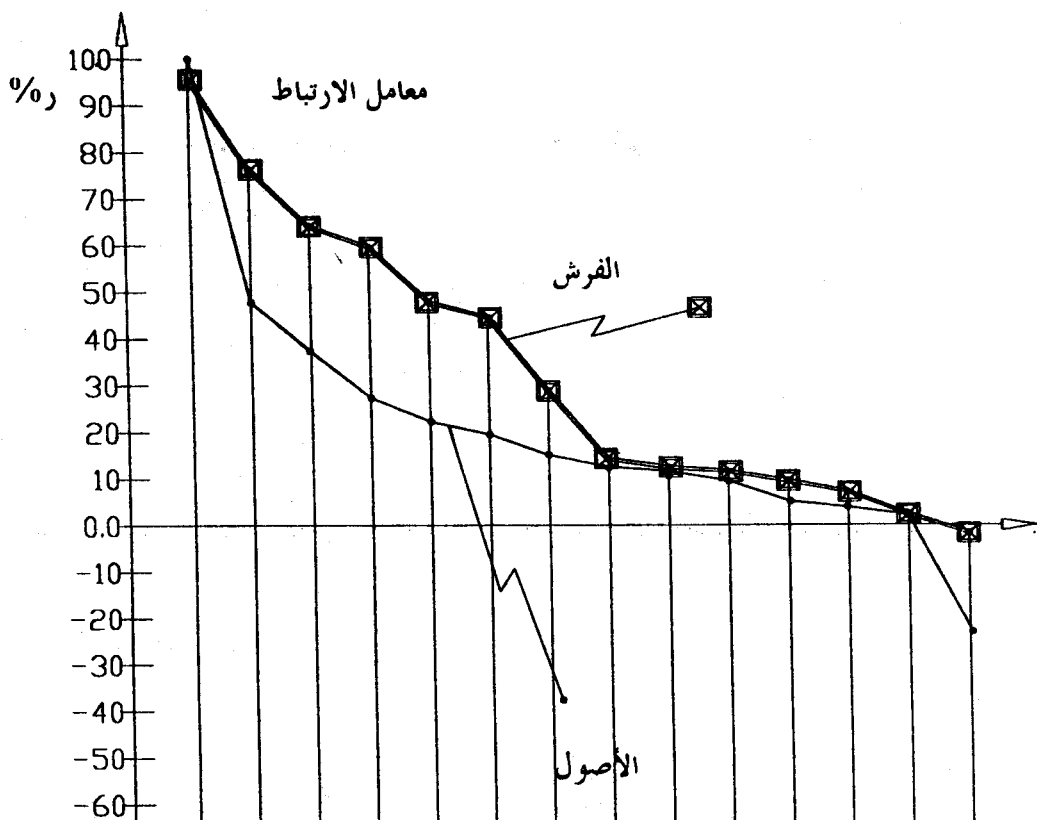
(٦) ارتبط بأصول الحسن البصرى دون فرشه .

(٧) اتجه إلى أصول نافع بدرجة أكبر مما فعل استاذة أبو عمرو .

والعكس صحيح مع أصول أبى جعفر .

(٨) ابتعد عن أصول حمزة الكوفى بدرجة أكبر مما فعل استاذة

أبو عمرو .



القارى	أبو عمرو	الحسن	بن مجيـص	الأعمش	أبو جعفر	نافع	بن كبير	خلف	الكسائي	بن عامر	حمزة	يعقوب	شعبة	حفص
أصول	///	///	/						-					///
فرش		///	///				/			-				x
القارى	أبو عمرو	بن كبير	حفص	بن مجيـص	نافع	يعقوب	خلف	بن عامر	أبو جعفر	شعبة	الحسن	الأعمش	حمزة	الكسائي

شكل (٢٢) يوضح تباين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات الزيدى
بالنسبة للقراء الأربعة عشر

* اتجاهات يعقوب نحو القراء الأربعة عشر : شكل (٢٣)

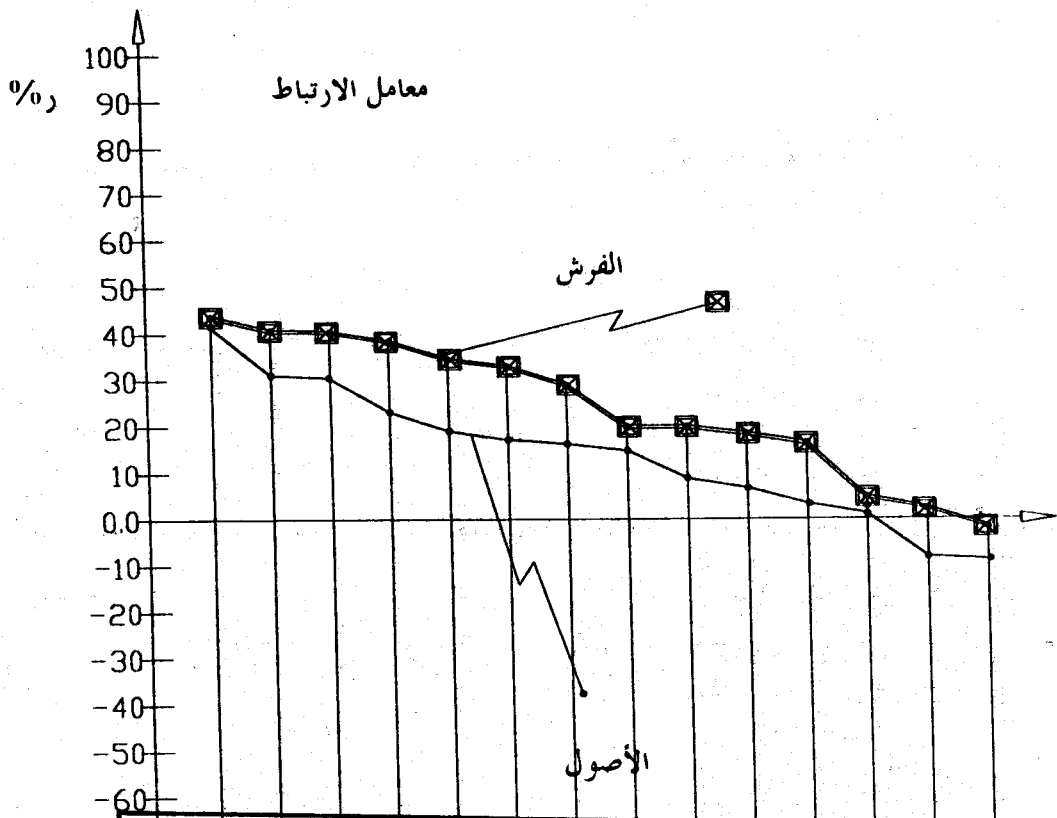
(١) وافق شعبة فى أصوله .

(٢) وافق أبو عمرو وابن كثير واليزيدى وحفص فى فرشهم .

(٣) يميل لمعارضة أصول حفص وأبى جعفر .

(٤) اختياراته فى الفرش والأصول كانت تتجنب معارضة الآخرين ، ومن

هنا ، فلم يرتبط بشدة بأى قارىء ، كما لم يرفض بشدة ، أو حتى يرفض فرش
أو أصول أى من القراء ، فكانما كانت اختياراته محايدة تماماً ، وغير متميزة .



القارئي	أصول	فرش	القارئي
شعبة	==	==	أبو عمرو
الحسن	/	==	بن كبير
بن كبير			اليزيدي
بن محيصة	-	/	حفص
حزمة			أبو جعفر
الأعشى			بن عامر
خلف			بن محيصة
الكساتي	-	-	شعبة
ناقع			خلف
بن عامر			ناقع
اليزيدي			الكساتي
أبو عمرو	x	-	حزمة
حفص			الحسن
أبو جعفر			الأعشى

شكل (٢٣) يوضح تباين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات يعقوب
بالنسبة للقراء الأربعة عشر

* اتجاهات ابن عامر - مقرئ الشام - نحو القراء الأربعة عشر :

شكل (٢٤)

(١) لعلها القراءة الوحيدة التي لم يعارض اختياراتها - فرشاً كانت أم أصولاً - أى قارئ من الأربعة عشر ، وبدون استثناء .

(٢) هي الأشهر فى الأصول بين القراءات جميعها ، حيث حققت أعلى معاملات ارتباط بأصولها من القراء جميعاً .

(٣) الفارق بين ارتباط القراء بفرشها ، وأصولها ليس كبيراً ، كغيرها من القراءات .

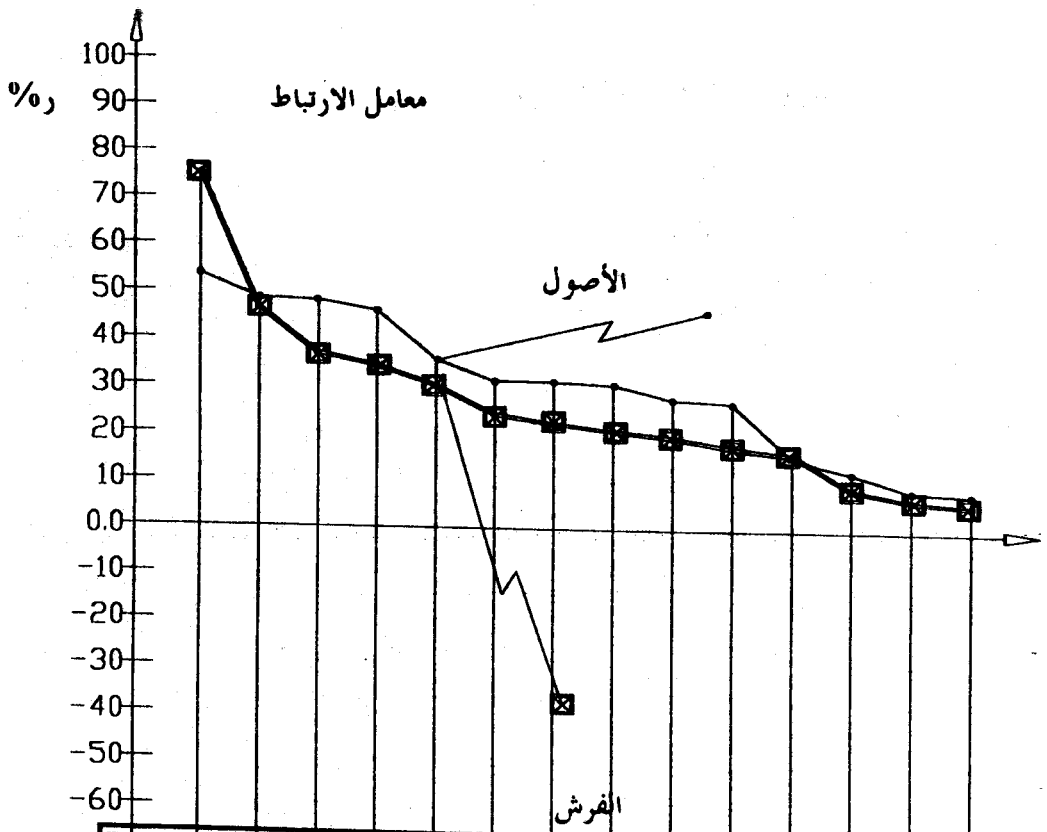
(٤) الارتباط بأصولها يفوق قليلاً الارتباط بفرشها .

(٥) ارتبط بفرشها بشدة ، حفص عن عاصم .

(٦) ارتبط بفرشها نافع .

(٧) ارتبط بأصولها : شعبة عن عاصم ، وحفص عن عاصم ، والكسائى وخلف الكوفيان .

(٨) لعل السمات السابقة لتلك القراءة هي ما ورد بشأن وصفها على لسان أحد علماء القراءات ، حين وصفها بأنها : « قراءة قياسية » ، بمعنى أنها تضع القاعدة ، ثم تسير عليها فى جميع القرآن .



القارى	أصول	فرش	القارى	
شعبة	//	///	حفص	
الكسانى		//	نافع	
حفص		/		أبو جعفر
خلف				يعقوب
الأعمش				الكسانى
بن محيصن	بن كثير			
الحسن	شعبة			
حمزة	-	-	خلف	
نافع			حمزة	
بن كثير			اليزيدى	
أبو جعفر			أبو عمرو	
اليزيدى			الحسن	
يعقوب			بن محيصن	

شكل (٢٤) يوضح تباین الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات بن عامر
بالنسبة للقراء الأربعة عشر

*** اتجاهات الأعمش نحو القراء الأربعة عشر : شكل (٢٥)**

(١) اتجاهات الأعمش فى الكوفة سار عليها - وبالتزام شديد - باقى قراء الكوفة الثلاثة من بعده ، حمزة والكسائى وخلف ، فلم يخرجوا جميعهم عن اتجاهاته إلا قليلا ، هنا أو هناك . يلاحظ ذلك من تشابه شكل المنحنيات على الفرش أو على الأصول ، فهو بحق مؤسس قراءة ابن مسعود فى الكوفة ، بلامحها المتميزة .

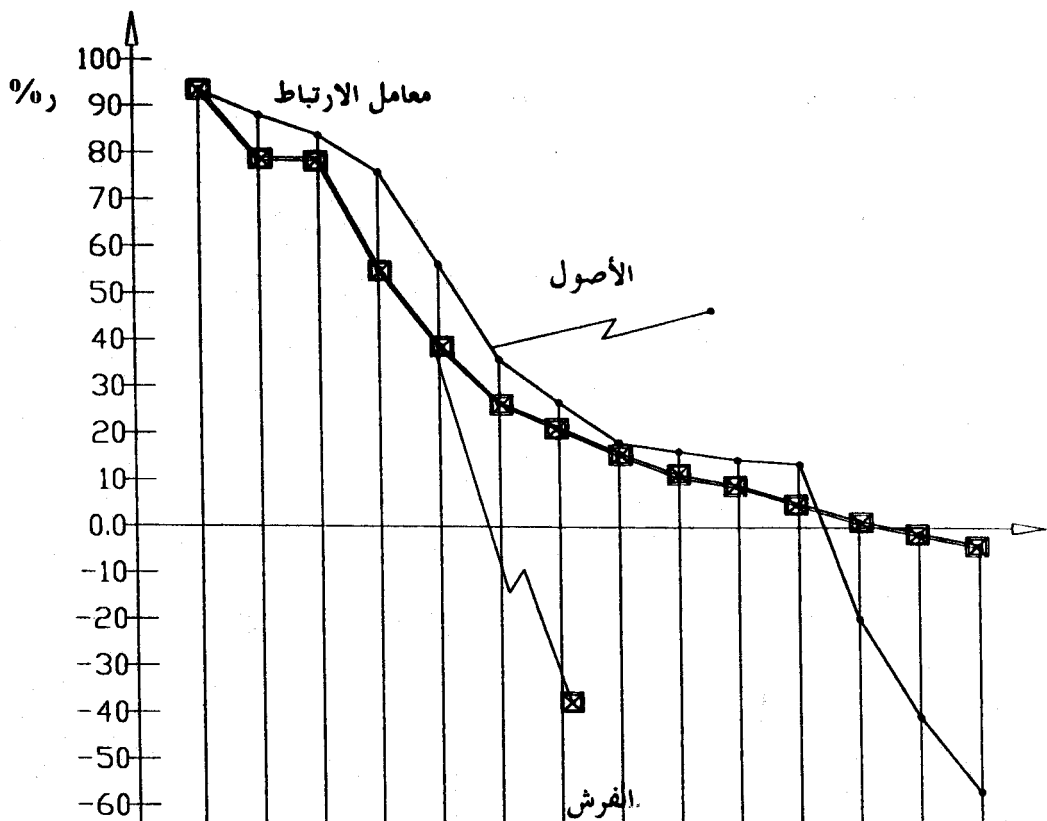
(٢) من أبرز هذه السمات ، اتفاقهم على « منافس تقليدى » - هو مدرسة المدينة بخاصة ، والحجاز (المدينة ثم مكة) بعامة .

(٣) ومن سماتها أيضاً ، اتخاذهم رواية شعبة عن عاصم عن زر ، حليفاً قوياً يرتبطون - جميعهم - بحروفه - حين يخالفون اختيارات الآخرين ، وبنفس النسبة فى الأصول والفرش على السواء .

(٤) ومن سماتها أيضاً تدرج معارضتهم - داخل مدرسة المدينة - فهى أشد ما تكون لأصول أبى جعفر ، يليها أصول نافع ، ثم أصول ابن كثير المكى ، ثم معارضة الفرش بنفس الترتيب تقريباً .

(٥) ومن سماتهم أيضاً موافقتهم أصول الحسن البصرى ثم ابن عامر ، أو العكس .

(٦) ترتيبهم فى التعصب لاختياراتهم كالتالى : حمزة ، ثم الكسائى ، ثم الأعمش ، ثم خلف .



الفقرى	أصول	فرش	الفقرى
أبو جعفر	XX	X	يعقوب
نافع	XX		بن محيصن
بن كثير			الحسن
حفص	-	-	أبو عمرو
بن محيصن			اليزيدي
يعقوب			أبو جعفر
أبو عمرو			بن كثير
اليزيدي	-		نافع
بن عامر		-	بن عامر
الحسن	==		حفص
ثعبة		==	ثعبة
الكسائي			الكسائي
خلف	==	==	خلف
حمزة			حمزة

شكل (٢٥) يوضح تباين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات الأعمش
بالنسبة للقراء الأربعة عشر

* اتجاهات حمزة ، قارئ الكوفة ، نحو القراء الأربعة عشر : شكل

(٢٦)

(١) أكبر المتشددین لقراءة الكوفة ، ورث تعصبه لقراءته عن الأعمش ،
وورثها الأعمش عن ابن مسعود (رضى الله عنه) ، وكما أسلفنا القول .

(٢) عارض بشدة اختيارات أبى جعفر فى الأصول .

(٣) عارض اختيارات نافع وابن كثير فى الأصول .

(٤) عارض اختيارات الحسن البصرى وأبى جعفر فى الفرش .

(٥) وافق بشدة اختيارات استاذہ الأعمش ، فرشاً وأصولاً .

(٦) وافقه بشدة من تلاه من قراء الكوفة ، الكسائى وخلف ، فرشاً
وأصولاً .

(٧) وافق بشدة اختيار شعبة عن عاصم فى الأصول ، ووافقه فى
الفرش .

(٨) وافق على أصول الحسن البصرى ، متابِعاً الأعمش .



الاسم	الأصول	الفرش	الاسم
أبو جعفر	XXX	XX	الحسن
ناقة	XX		أبو جعفر
بن كثير			ناقة
حفص	X		بن مجيص
بن مجيص			بن كثير
اليزيدى			أبو عمرو
يعقوب	I		يعقوب
أبو عمرو	/		بن عامر
بن عامر			حفص
الحسن	II		شعبة
الكسائي			الكسائي
شعبة			خلف
خلف	III		الأعمش
الأعمش			

شكل (٢٦) يوضح تباين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات حمزة
بالنسبة للقراء الأربعة عشر

* اتجاهات الكسائي - مقرئ الكوفة - نحو القرأ الأربعة عشر : شكل

(٢٧)

(١) اتجاهاته بصفة عامة هي نفس اتجاهات من سبقوه - قرأ الكوفة ، من معارضة اختيارات أهل الحجاز ، وشدة الارتباط بأهل الكوفة وشعبة عن عاصم ، إلا أنه في محاولة منه لتكوين شخصية مستقلة لمذهبه في القراءة ، فقد اتخذ الخطوات التالية :

(١) اتجه نحو فرش حفص ، على حساب فرش شعبة ، مخالفاً بذلك اتجاه قرأ الكوفة جميعهم ، الأعمش وحمزة من قبله ، وخلف من بعده .

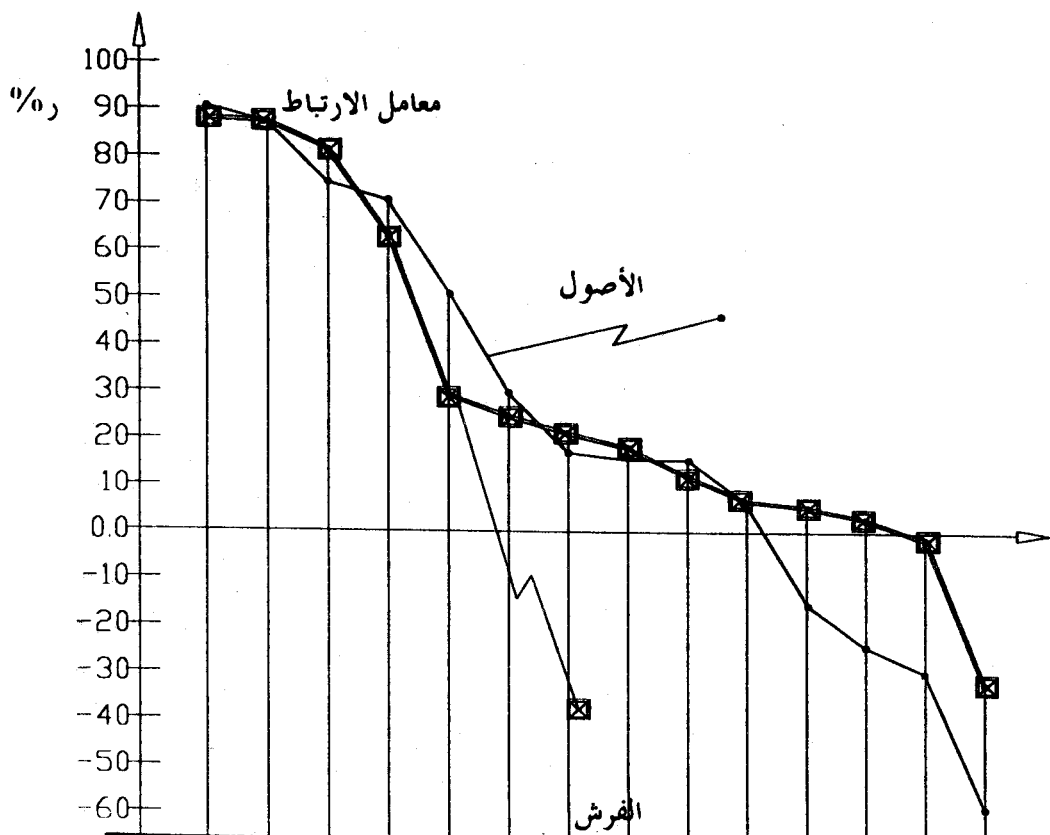
(ب) وقد جاء اقترايه من فرش حفص على حساب ابتعاده عن أصوله ، فكان أكثر ابتعاداً عن أصول حفص ، بالنسبة لباقي الكوفيين .

(ج) اقترب من أصول ابن عامر على حساب ابتعاده عن أصول الحسن ، وتابعه في ذلك خلف ، مخالفاً بذلك اتجاه من سبقوه ، الأعمش وحمزة .

(٢) وافق بشدة اختيارات الأعمش وحمزة وشعبة في الأصول ، ووافقه بشدة خلف العاشر ، وعارض بشدة أصول أبي جعفر .

(٣) وافق بشدة على اختيارات الأعمش وحمزة في الفرش ، ووافقه بشدة خلف .

(٤) في الأصول ، وافق ابن عامر وعارض حفصاً ، وفي الفرش وافق حفصاً وعارض الحسن البصري .



القارئ	أصول	فقرش	القارئ
خلف	///	///	خلف
الأعمش			حمزة
شعبة			الأعمش
حمزة	//	//	حفص
بن عامر			شعبة
الحسن	/	/	بن عامر
بن محيصة	-	-	بن كثير
يعقوب			يعقوب
اليزيدي			نافع
أبو عمرو			بن محيصة
بن كثير	x		أبو جعفر
نافع			أبو عمرو
حفص	xx	x	اليزيدي
أبو جعفر	xxx	xx	الحسن

شكل (٢٧) يوضح تباين الارتباط على الفقرش و الأصول و اتجاهات الكسائي
بالنسبة للقراء الأربعة عشر

* اتجاهات خلف نحو القراء الأربعة عشر : شكل (٢٨)

(١) اختيارات خلف جاءت الأكثر اعتدالاً بين أعضاء مدرسة الكوفة ، فقد قلل إلى حد كبير من حدة التعارض في الاختيارات مع معظم مدارس القراءات الأخرى - فرشاً وأصولاً - وإن اقتضت معارضته على مدرسة المدينة .

(٢) عارض بشدة أصول أبي جعفر ونافع .

(٣) وافق بشدة اختيارات الكوفيين السابقين عليه - فرشاً وأصولاً وهم الأعمش وحمزة والكسائي .

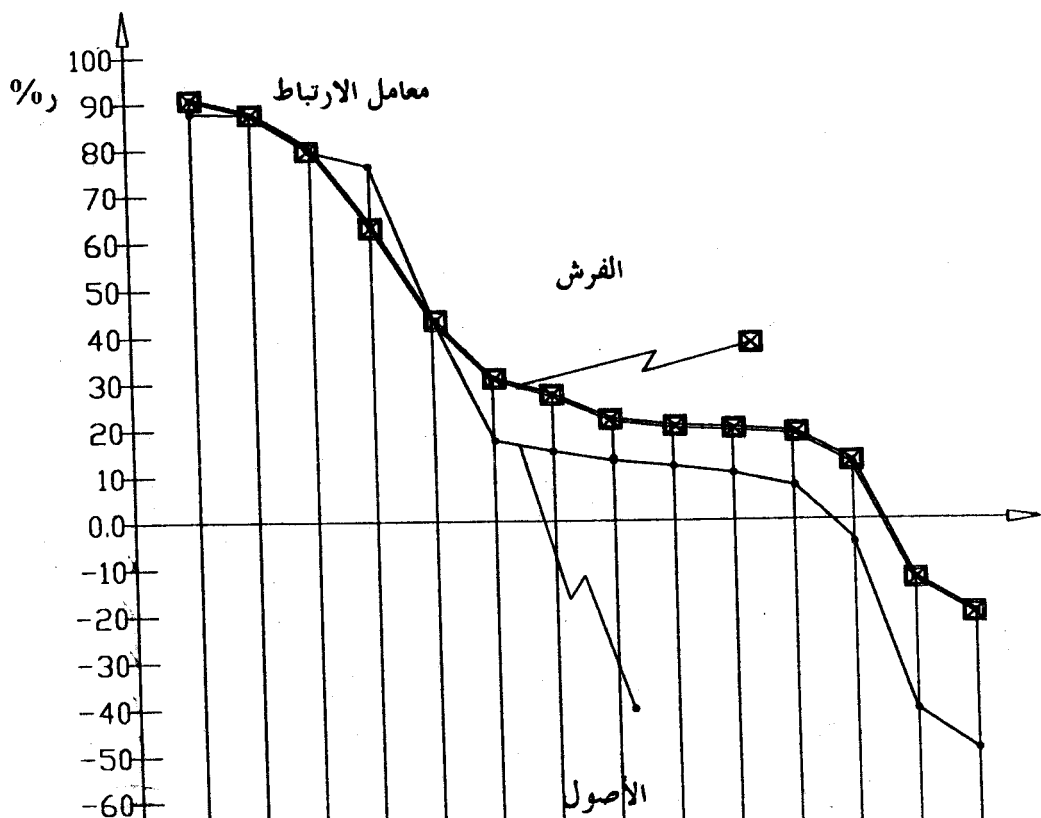
(٤) وافق بشدة على أصول شعبة عن عاصم .

(٥) وافق على فرش عاصم براوييه حفص وشعبة ، وإن كان أكثر ميلاً لاختيارات شعبة - وهذا طبيعي .

(٦) تابع الكسائي في ميله لأصول ابن عامر على حساب أصول الحسن البصري .

(٧) في الفرش ، كان يميل لمعارضة أبي جعفر والحسن .

(٨) بصفة عامة ، اهتم خلف بزيادة ارتباطه بفرش باقي القراء ، بأكثر مما اهتم بالتقارب في الأصول ، وإن جاءت اختياراته على قدر كبير من الانسجام والانسيابية ، استحق بها أن يدخله ابن الجزرى في العشرة .



الفقاري	الكسائي	الأعشى	هجرة	شعبة	بن عامر	الحسن	يعقوب	اليزيدي	بن مجيطن	حفص	أبو عمرو	بن كثير	نافع	أبو جعفر
أصول	///	///	///	///	///	///	///	///	///	///	///	///	///	///
فرش	///	///	///	///	///	///	///	///	///	///	///	///	///	///
الفقاري	هجرة	الكسائي	الأعشى	شعبة	حفص	اليزيدي	نافع	بن عامر	أبو عمرو	يعقوب	بن كثير	بن مجيطن	الحسن	أبو جعفر

شكل (٢٨) يوضح تباین الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات خلف بالنسبة للقراء الأربعة عشر

* اتجاهات شعبة عن عاصم نحو القراء الأربعة عشر : شكل (٢٩)

(١) على الرغم من أن شعبة وحفصاً - وهما راويا قراءة عاصم - قد اتفقا بشدة فرشاً وأصولاً بنسب ارتباط ٩١ ٪ و ٨٢ ٪ على الترتيب ، إلا أن اختلافهما في هذه النسبة الضعيلة من الحروف قد أعطى لكل رواية منهما مذاقاً متميزاً ، فجاءت الروایتان كما لو أنها قراءتان متميزتان تمام التمايز .

(٢) فقد جاءت ارتباطات القراء بأصول شعبة متفوقة بطريقة ملحوظة على ارتباطاتهم بأصول حفص .

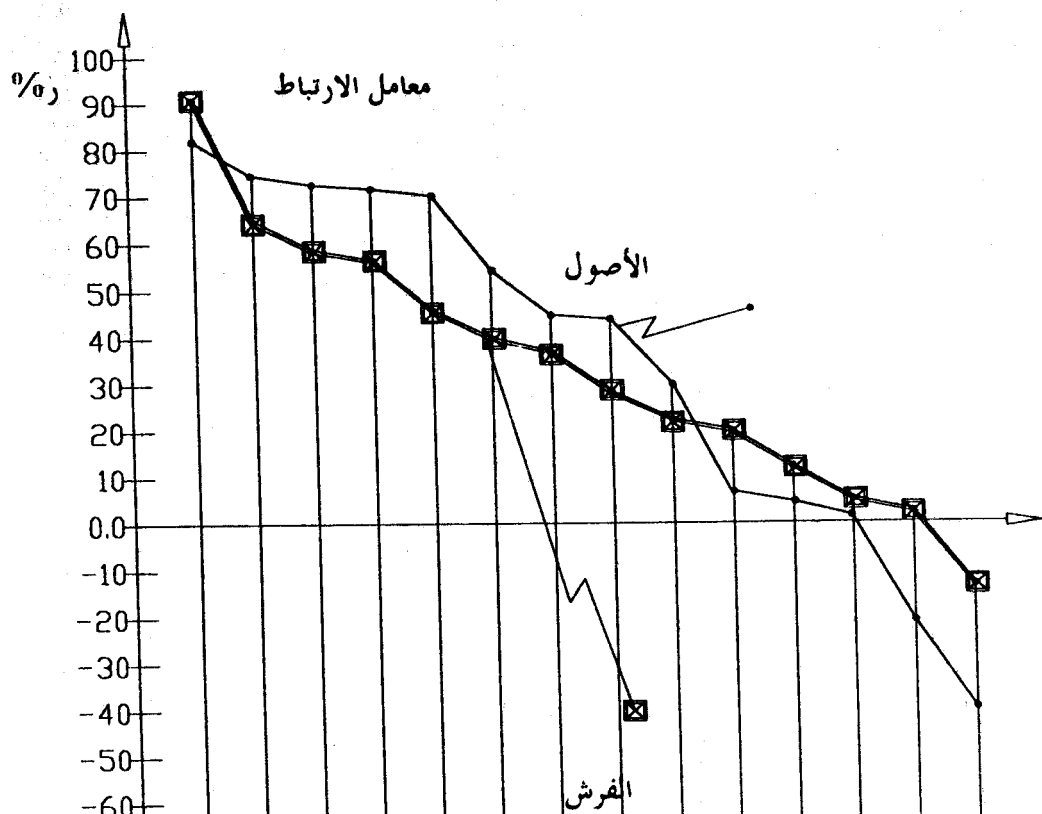
(٣) وعلى العكس في الفرش ، فقد اجتمع القراء من كافة الأمصار على فرش حفص ، وكأنه هو الفرش المرجع أو الفرش الإمام ، ونهلوا جميعاً من هذا الفرش ، يدعمون به الثقة في فرش حروفهم .

(٤) تكاد رواية شعبة أن تكون صورة من قراءة الكوفيين ، وإن جنحت للاعتدال . فقد عارض شعبة بشدة أصول أبي جعفر ، كما عارض أصول نافع أيضاً .

(٥) وافق شعبة بشدة على أصوله ، الكوفيون الأربعة ، وحفص .

(٦) وافق شعبة بشدة على فرش حفص ، ووافق على فرشه من الكوفة : الأعمش وحمزة وخلف ، ومن المدينة : نافع ، ومن مكة : ابن محيصن .

(٧) وافق شعبة على أصول ابن عامر الشامي والحسن البصري ، ووافق يعقوب .



الأقوال	الأصول	الأقوال	الأقوال
حفص		///	حفص
خلف			خلف
الأعمش	///		الأعمش
حمزة		==	حمزة
الكسائي			الكسائي
بن عامر			بن عامر
الحسن	==		الحسن
يعقوب		/	يعقوب
بن كثير	/		بن كثير
بن مجيصة			بن مجيصة
أبو عمرو	-		أبو عمرو
اليزيدي		-	اليزيدي
الحسن	XX		الحسن
أبو جعفر	XXX	X	أبو جعفر

شكل (٢٩) يوضح تباين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات شعبة
(عن عاصم) بالنسبة للقراء الأربعة عشر

*** اتجاهات حفص عن عاصم نحو القراء الأربعة عشر : شكل (٣٠)**

(١) فرشه هو الأشهر على الإطلاق ، أما أصوله فقد تحفظ عليها معظم القراء ، وبمراجعة الشكل (٣٠) ، فإنك تلاحظ المسافة الكبيرة بين المنحنى العلوى الذى يمثل معاملات ارتباط القراء بفرش حفص ، والمنحنى السفلى الذى يمثل معاملات ارتباطهم بأصوله .

(٢) لا يوجد قارئ واحد عارض بشدة ، أو عارض ، أو حتى كان يميل لمعارضة فرش حفص .

(٣) عارض أصول عاصم كل من الكسائى وأبو عمرو وتلميذه اليزيدى ، وكان يميل إلى معارضته الحسن البصرى ويعقوب البصرى وحمزة .

(٤) وافق كل من نافع وابن عامر على أصول حفص ، وكان أبو جعفر يميل لموافقتها .

(٥) وافق شعبه وابن عامر الشامى بشدة على فرش حفص .

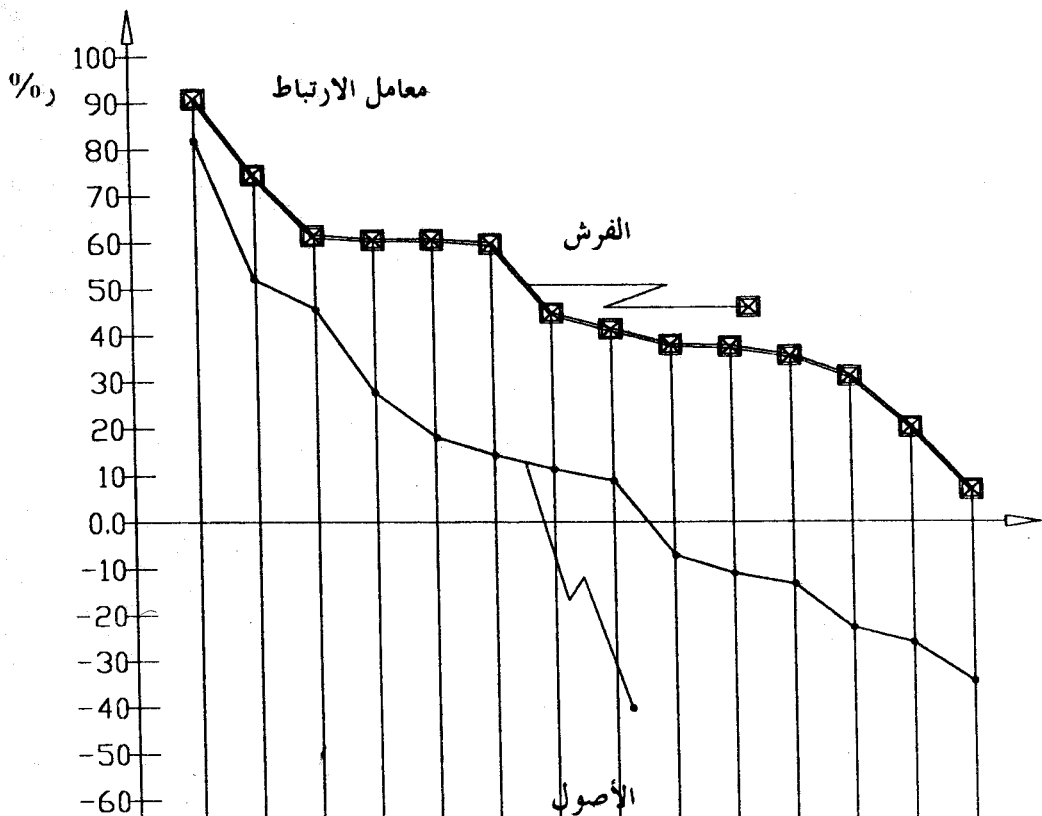
(٦) هناك علاقة قوية بين حفص وبين ابن عامر الشامى فرشاً وأصولاً .

(٧) وهناك علاقة قوية أيضاً بين حفص وبين نافع المدنى فرشاً وأصولاً .

(٨) يلى ابن عامر ونافع فى ارتباطهما القوى بحفص ، أبو جعفر المدنى .

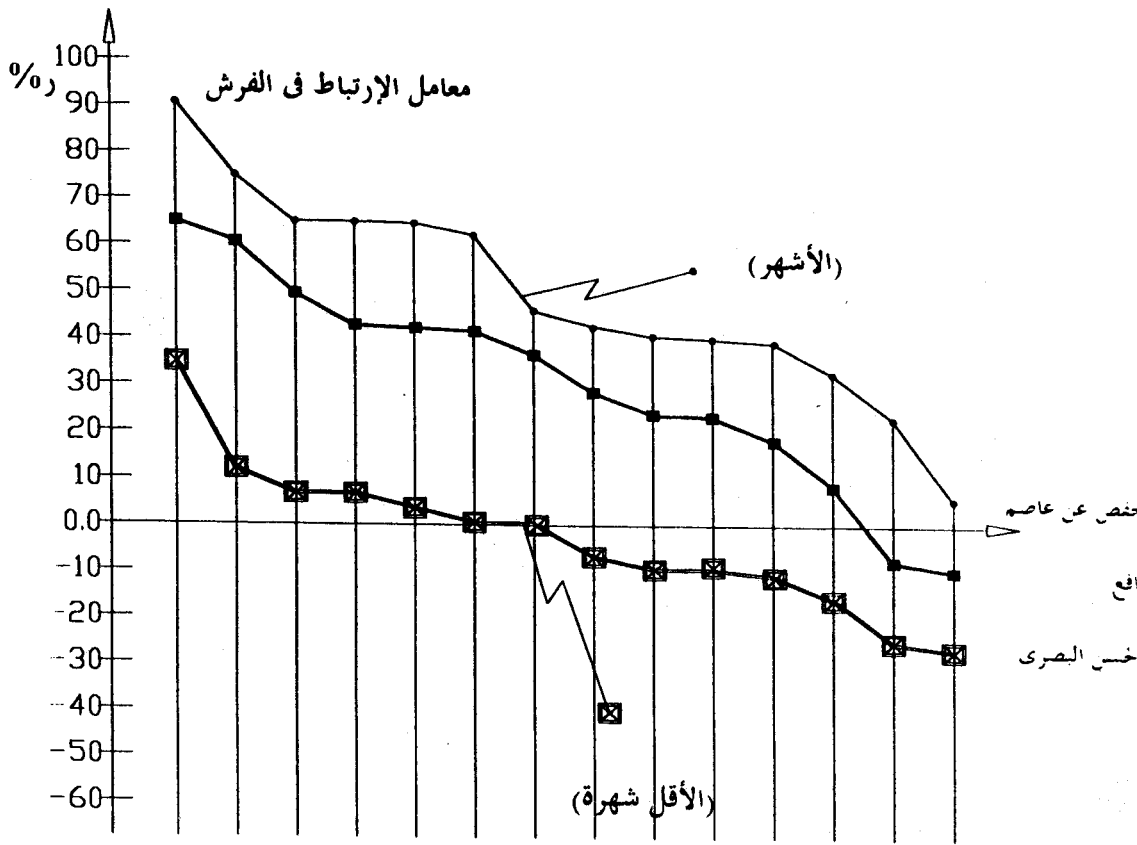
(٩) بصفة عامة : فإن رواية حفص كانت الأقرب إلى الشام والمدينة ،

فرشاً وأصولاً ، على حين أن رواية شعبة كانت الأقرب إلى الكوفة .



القارئ	شعبة	نافع	بن عامر	أبو جعفر	بن كثير	الأعمش	خلف	بن مجيطن	حمزة	يعقوب	الحسن	اليزيدي	أبو عمرو	الكسائي
أصول	///		//	/		-				x			xx	
فرش	///						//							-
القارئ	شعبة	بن عامر	أبو جعفر	اليزيدي	الكسائي	أبو عمرو	نافع	خلف	بن كثير	الأعمش	يعقوب	الحسن	حمزة	بن مجيطن

شكل (٣٠) يوضح تباين الارتباط على الفرش و الأصول و اتجاهات حفص
(عن عاصم) بالنسبة للقراء الأربعة عشر



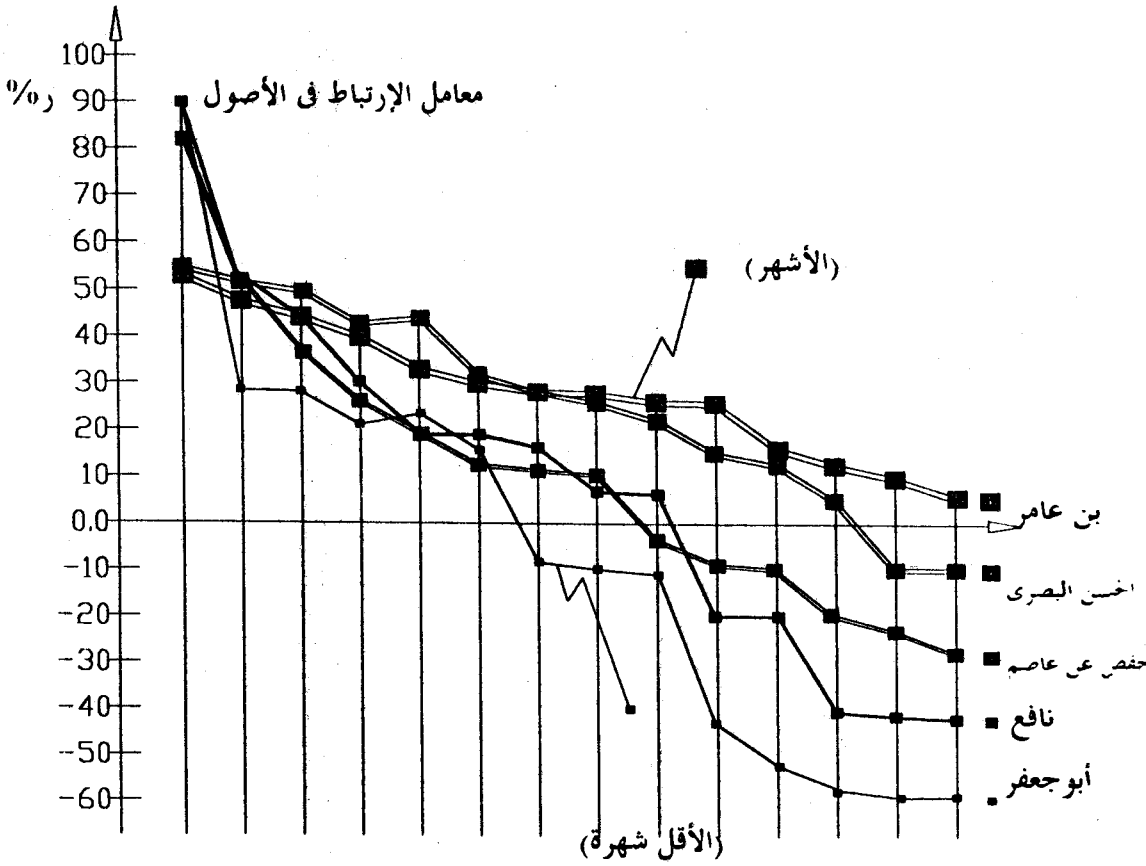
شكل (٣١) يوضح مراتب شهرة القراء في فرش الحروف

(١) الفرش الأكثر قبولا و إشتهارا لدى جمهور القراء هو فرش حفص عن عاصم (المنحنى العلوى).

(٢) الفرش الأقل قبولا و إشتهارا لدى جمهور القراء هو فرش الحسن البصرى (المنحنى الأسفل).

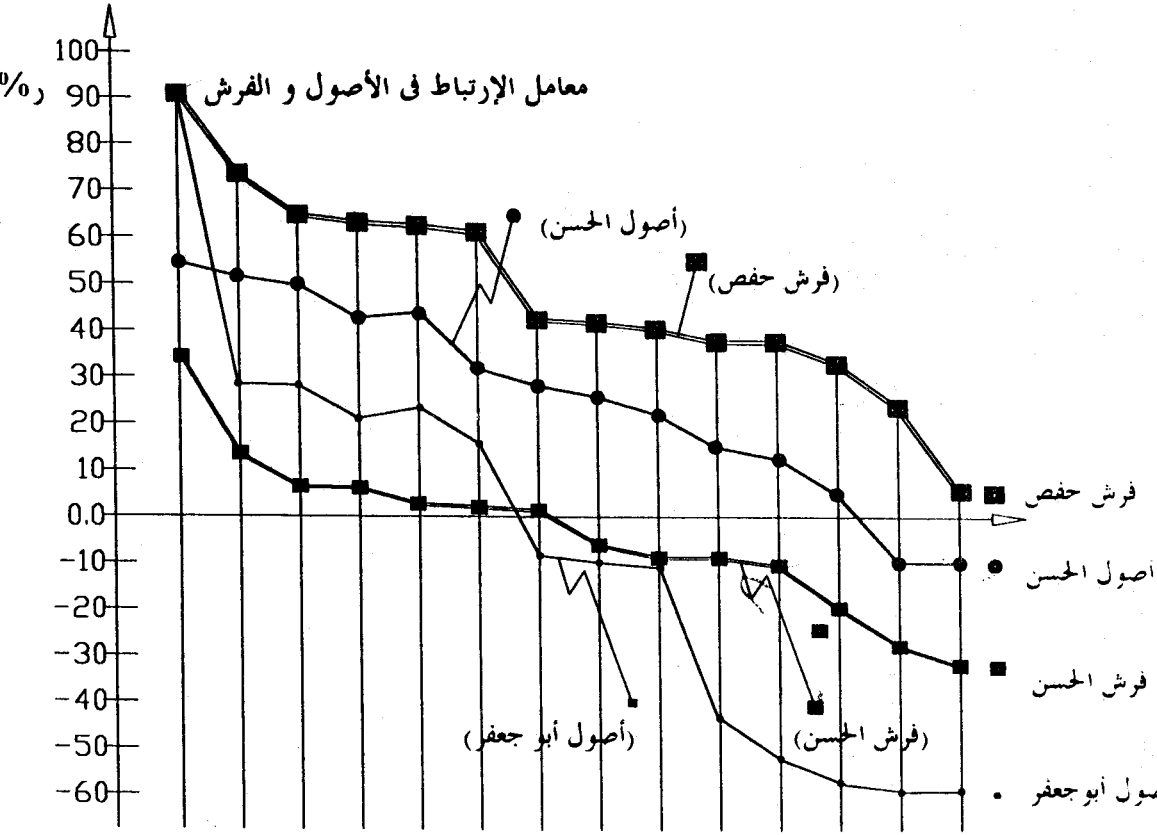
(٣) يحتل فرش نافع مرتبة متوسطة في الإشتهار و القبول عند جمهور القراء.

(٤) تتراوح إختيارات باقى القراء في فرش حروفهم بين المنحنى العلوى و السفلى بدرجات مختلفة.



شكل (٣٢) يوضح مراتب شهرة القراء في أصول القراءة

- (١) الأصول الأكثر قبولا و إشتهارا لدى جمهور القراء هي أصول بن عامر الشامي و الحسن البصري (المنحني العلويين).
- (٢) الأصول الأقل قبولا و إشتهارا لدى جمهور القراء هي أصول أبي جعفر المدني (المنحني الأسفل).
- (٣) تحتل أصول حفص مرتبة متوسطة في الإشتهار و القبول عند الجمهور (المنحني الأوسط).
- (٤) تتراوح إختيارات باقي القراء في الأصول بين المنحني العلوي و السفلي بدرجات مختلفة.



شكل (٣٣) يوضح تفوق إتفاق القراء في الفرش على إتفاقهم في أصول القراءة

(١) إتفق جمهور القراء في الفرش بدرجة أكبر من إتفاقهم على الأصول. فالمنحنى العلوى يمثل إتفاقهم على فرش حفص الأشهر، والمنحنى الثانى من أعلى يمثل إتفاقهم على أصول الحسن الشهيرة المتلقة عندهم بالقبول إلى جانب أصول بن عامر التى تكاد تنطبق عليها.

(٢) الحد الأدنى لإتفاق جمهور القراء على الفرش - وهو فرش الحسن - أعلى ارتباطاً من الحد الأدنى لإتفاقهم على أصول أبي جعفر و يمثلها المنحنى السفلى.

اتجاهات كل من مدارس القراءات نحو
اختيارات باقى القراء بالأمصار فرشاً وأصولاً .

• * اتجاهات مدرسة المدينة في القراءة (أبو جعفر - نافع) •

نحو اختيارات جمهور القراء في الأصول : شكل (٣٤)

(١) يتفق عضوى المدرسة مع بعضها بشدة في الأصول بمعامل

ارتباط ٩٠ ٪ .

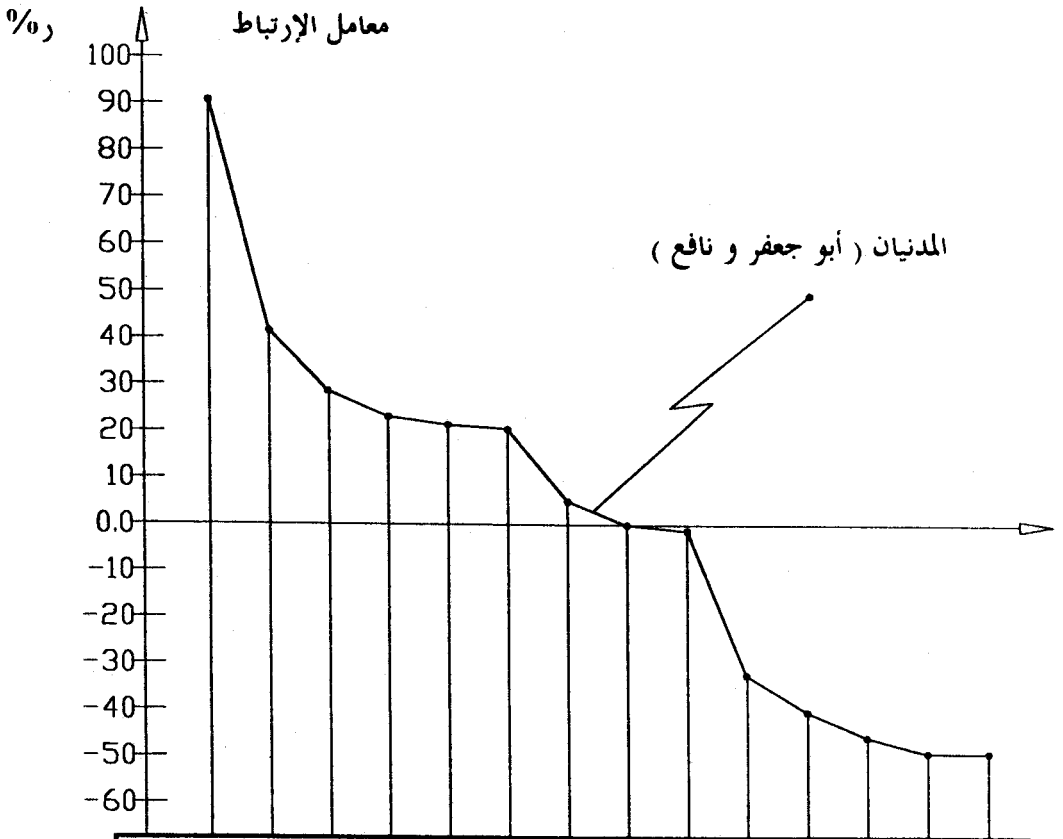
(٢) يتفق المدنيان مع أصول حفص بمعامل ارتباط ٤١ ٪ .

• (٣) يرفض الكوفيون : الأعمش وحمزة وخلف بشدة أصول المدنيين •

(٤) يرفض الكسائي الكوفى وشعبة الكوفى عن عاصم أصول المدنيين •

(٥) يقف المدنيان على الحياد من أصول الحسن البصرى وابن محيصة

المكى •



القراء	المديان	حفص	بن كثير	أبو عمرو	بن عامر	اليزيدي	الحسن	بن مجهر	يعقوب	شعبة	الكساني	حمزة	خلف	الأعمرش
متوسط ارتباط الأسماء	٩٠	٤١	٢٩	٢٤	٢٢	٢١	٤	-	(١)	(٣٠)	(٣٨)	(٤٥)	(٤٨)	(٤٨)

الرمز	أوافق بشدة	أوافق	أقبل للموافقة	بين	أقبل للرفض	أرفض	أرفض بشدة
اتجاه القرار	///	//	/	--	x	xx	xxx

شكل (٣٤) يوضح إتجاهات المدينين نحو إختيارات باقي القراء الأربعة عشر في أصول القراءة

* اتجاهات مدرسة المدينة فى القراءة (أبو جعفر - نافع)

نحو اختيارات جمهور القراء فى فرش الحروف : شكل (٣٥) .

(١) يرتبط نافع بفرش أبى جعفر - وهما المدنيان - بدرجة أوافق ، وهى

درجة فى الارتباط أقل من أوافق بشدة التى كانا عليها فى الأصول .

وبلغ معامل ارتباطهما فى الفرش ٥٩ ٪ فقط ، مقارنة بمعامل ارتباط فى

الأصول بلغ ٩٠ ٪ .

(٢) معنى ذلك ، أن نافعاً قد أخذ جزءاً من فرش حروف أستاذه أبى جعفر

ثم غادره لاختيارات من فرش حروف أخرى يكمل بها فرشهُ .

(٣) يوافق المدنيان على فرشهم : حفص ، وابن كثير المكي ، وابن عامر

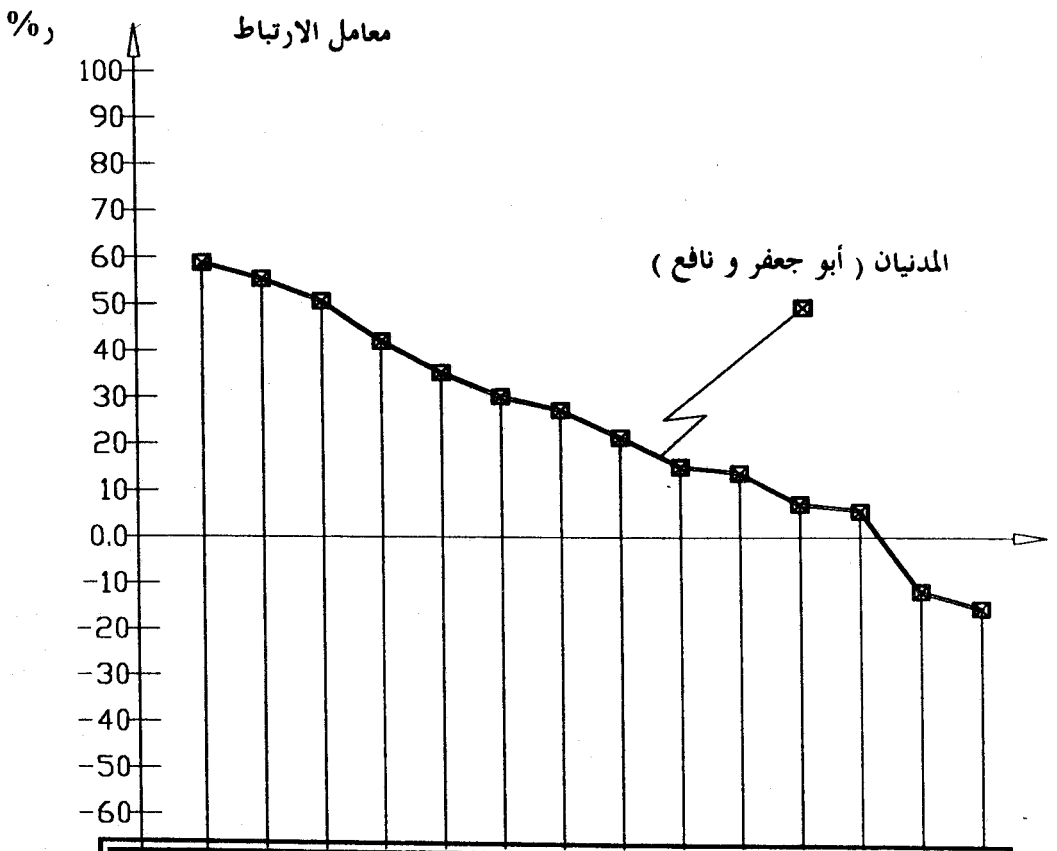
الشامي ، على الترتيب .

(٤) بينما وقف الكوفيون على الحياد من فرش المدنيين ، فإن حمزة

الكوفى والحسن البصرى كانا يميلان إلى معارضة هذا الفرش بدرجة خفيفة .

(٥) ارتبط جمهور القراء بفرش المدنيين بدرجة أكبر بكثير من ارتباطهم

بأصولهما .



الاسم	معامل ارتباط القرين
المدنيان	٥٩
حفص	٥٦
بن كثير	٥١
بن عامر	٤٢
أبو عمرو	٣٧
اليزيدى	٣١
يعقوب	٢٨
بن محيصن	٢١
الأعمش	١٤
ثعبة	١٣
الكسائي	٦
خلف	٥
الحسن	(١٢)
حمزة	(١٦)

الاسم	معامل ارتباط القرين
المدنيان	٥٩
حفص	٥٦
بن كثير	٥١
بن عامر	٤٢
أبو عمرو	٣٧
اليزيدى	٣١
يعقوب	٢٨
بن محيصن	٢١
الأعمش	١٤
ثعبة	١٣
الكسائي	٦
خلف	٥
الحسن	(١٢)
حمزة	(١٦)

شكل (٣٥) يوضح اتجاهات المدنين نحو اختيارات باقى القراء الأربعة عشر فى فرش الحروف

* اتجاهات مدرسة مكة فى القراءة (ابن كثير - ابن محيىسن)

نحو اختيارات جمهور القراء فى الأصول : شكل (٣٦) :

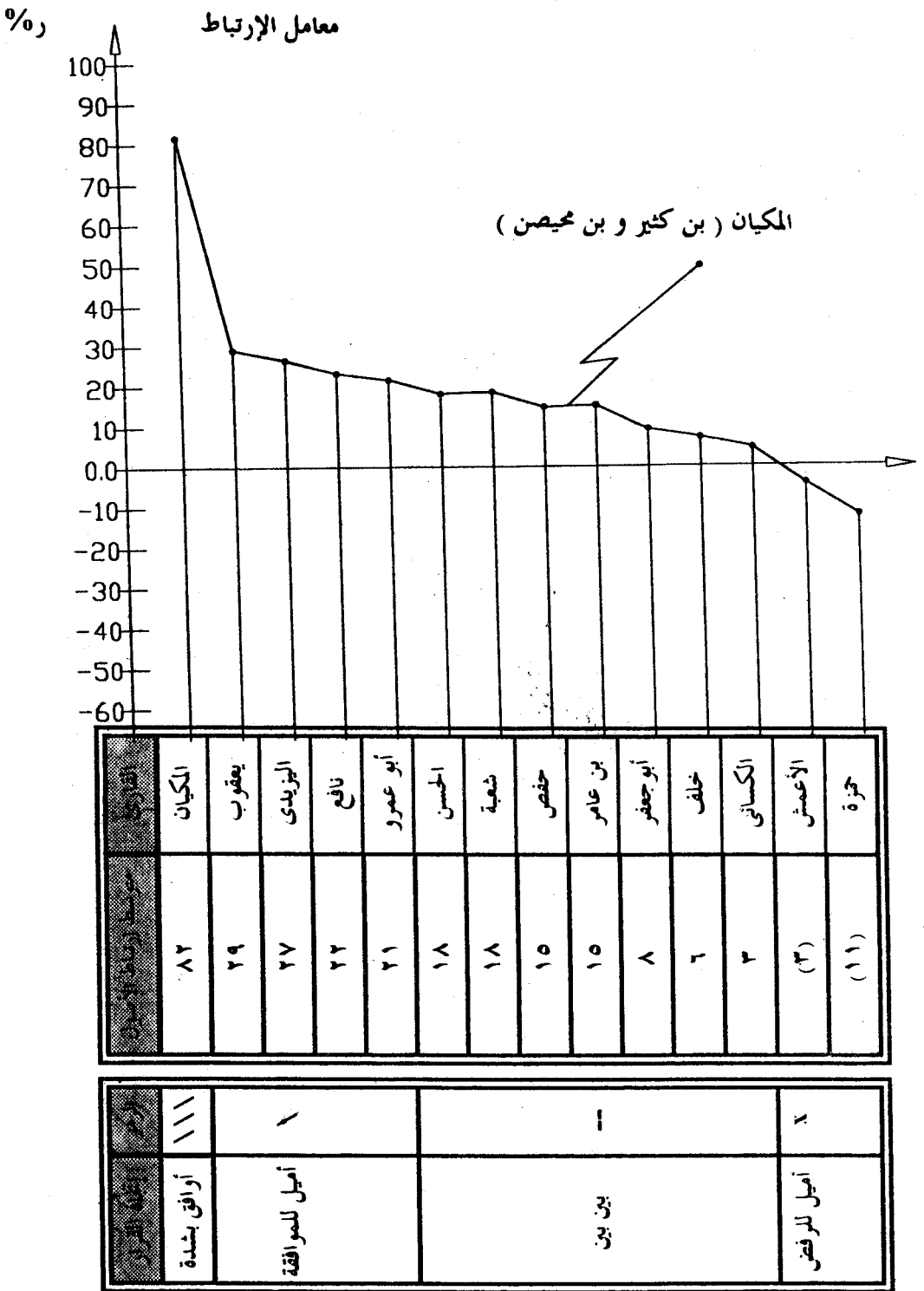
(١) اتفق عضوا المدرسة المكىة على أصولهما بمعامل ارتباط ٨٢ ٪ ،
بدرجة أوافق بشدة .

(٢) لم يوافق المكيان على أصولهما أى قارىء بدرجة أوافق بشدة ،
أو حتى بدرجة أوافق . وهذا يعنى أن أصولهما وإن لم تثر الاعتراض عليها ، إلا
أنها لم تجذب المدارس الأخرى ، فجاءت فى أغلبها أصولاً محايدة ، بدرجة
ارتباط (بين بين) بينها وبين باقى القراء فى الأمصار ، فلاهم عارضوها ، ولا هم
وافقوها بدرجة مقبولة .

(٣) جاء الكوفيون الأربعة على رأس المتحفظين على أصول المكيين ، وإن
لم يعارضوها بشدة كما عارضوا أصول المدينة .

(٤) جاء البصريون على رأس الذين يميلون للأخذ بأصول المكيين ، وإن لم
تتعد درجة ارتباطهم بها : أميل للموافقة فقط . وهى أدنى درجات الموافقة .

(٥) هكذا قسمت الأصول المكىة العراقيين إلى قسمين : البصرة إلى
جوارها ، والكوفة بعيداً عنها .



شكل (٣٦) يوضح إتجاهات المكيين نحو إختيارات باقى القراء الأربعة عشرين أصول القراءة

* اتجاهات مدرسة مكة فى القراءة (ابن كثير - ابن محيىصن)

نحو اختيارات جمهور القراء فى فرش الحروف : شكل (٣٧)

(١) اتفق عضوا المدرسة المكىة على فرش حروفها بمعامل ارتباط ٨٦ ٪ ،
وبدرجة أوافق بشدة .

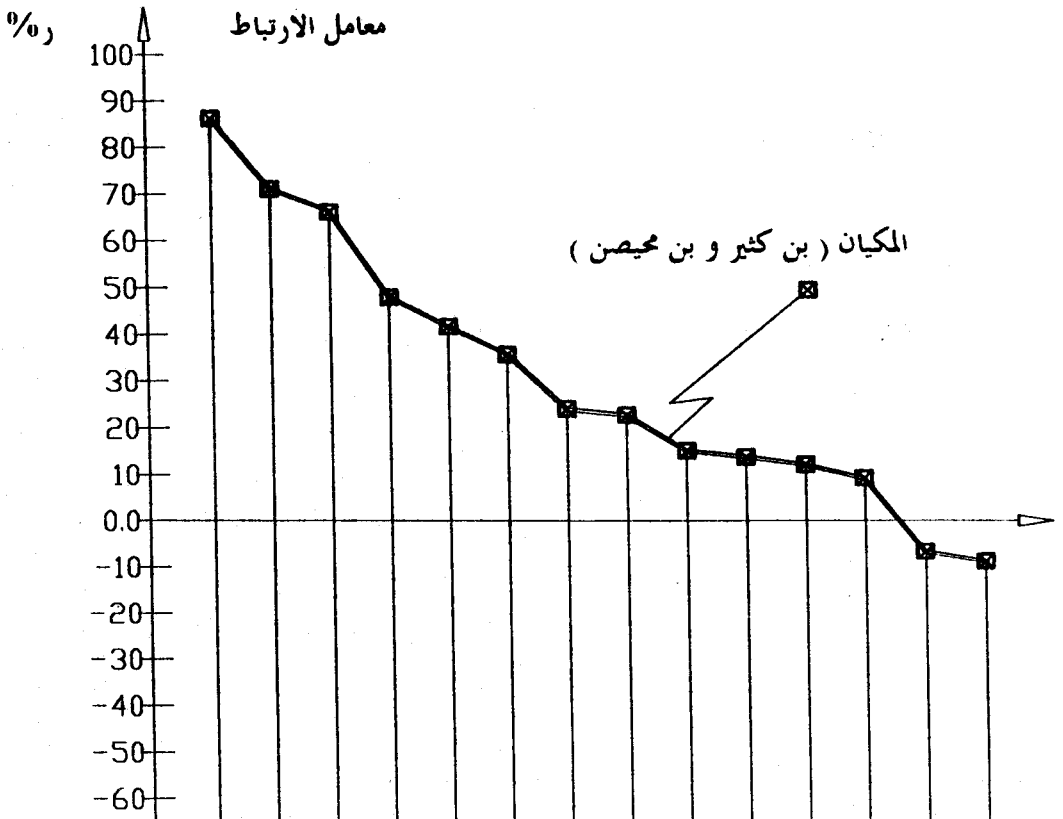
(٢) ارتبط جمهور القراء بفرش المكيين بدرجة أكبر بكثير من ارتباطهم
بأصولهما .

(٣) ارتبط جمهور القراء بأصول المكيين بدرجة أكبر من ارتباطهم بأصول
المدنيين .

(٤) وافق المكيين بشدة على فرش حروفهم : أبو عمرو قارىء البصرة .
وليس هذا بمستغرب ، إذا أنه تتلمذ عليهما وعلى أساتذتهما أيضا ، وخصوصاً
مجاهد بن جبر المكى تلميذ ابن عباس . فإلى ابن عباس إذن ، ينتهى فرش
المكيين والبصرى وأصولهم أيضاً .

(٥) وافق المكيين على فرشهم أيضاً : اليزيدى (البصرى) ونافع
(المدنى) ومال إلى معارضتهم الحسن وحمزة .

(٦) وقف الكوفيون على الحياد من فرش مكة .



الاسم	معامل الارتباط (%)
المكيان	86
أبو عمرو	71
اليزيدى	67
نافع	49
شعبة	42
يعقوب	37
حفص	24
أبو جعفر	23
خلف	16
بن عامر	15
الكسائي	13
الأعشى	9
هجرة	(5)
الحسن	(8)

الاسم	معامل الارتباط (%)
أوراق بسلدة	///
أوراق	//
أصيل للموافقة	/
أصيل للرفض	-

شكل (٣٧) يوضح اتجاهات المكيين نحو اختيارات باقي القراء الأربعة عشر في فرش الحروف

* اتجاهات مدرسة البصرة فى القراءة (أبو عمرو - اليزيدى)

نحو اختيارات جمهور القراء فى الأصول : شكل (٣٨)

(١) تكاد مدرسة البصرة أن تكون نسخة من مدرسة مكة ، فى اختياراتها أصولاً وفرشاً على السواء . فالمنحنيات تكاد تتطابق على بعضها .

(٢) وأهم ما يميز المدرستين (مكة - البصرة) ، هو عدم الحدة فى الاختلافات بينها وبين باقى مدارس القراءة ، فرشاً أو أصولاً فلا تجدد من القراء أو المدارس من يرتبط بأى منهما بشدة ، أو يعارض أى منهما بشدة أيضاً .

ولعل تلك السمة قد انعكست عليهما من شيخهما المشترك : ابن عباس الذى لم يشتهر عنه التطرف أو التعصب لرأيه أو قراءته كما اشتهر ذلك عن شيخى المدرستين المتعارضتين : المدينة وشيخها أبى بن كعب ، والكوفة وشيخها ابن مسعود .

ويبدو أن ذلك هو السر وراء استبعادهما من لجنة كتابة المصحف الإمام .

(٣) ارتبط البصريان بشدة على الأصول بمعامل ارتباط مرتفع للغاية :

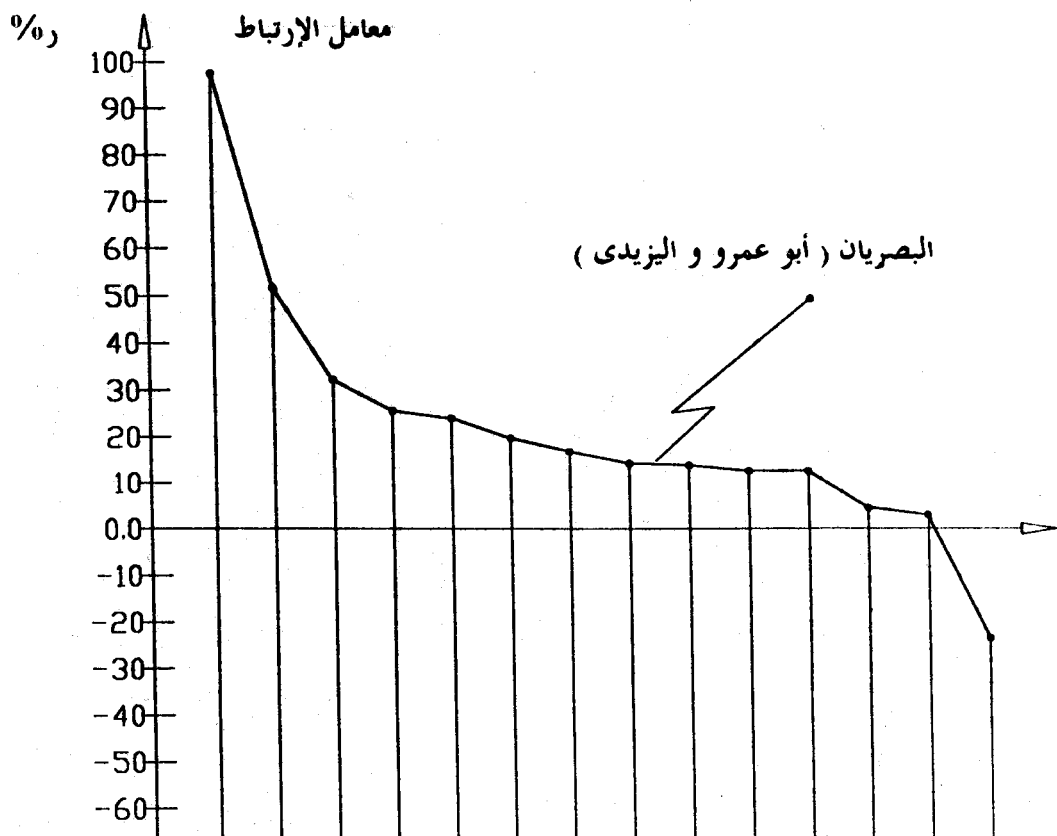
٩٧ ٪ .

(٤) أخذ البصريان أصولهما - على الأغلب - من الحسن البصرى بمعامل

ارتباط ٥١ ٪ .

(٥) رفض البصريان أصول عاصم براوييه : حفص وشعبة ، وابن عامر

الشامى الذى وافق عاصم على أصوله : التى هى أصول عثمان بن عفان على ما يبدو .



القارئ	معامل الارتباط
البصريان	٩٧
الحسن	٥١
بن محيصن	٣٢
أبو جعفر	٢٦
الأعمش	٢٤
نافع	٢٠
بن كثير	١٧
همزة	١٤
خلف	١٣
الكسائي	١١
ابن عامر	١١
يعقوب	٤
شعبة	٣
حفص	(٢١)

المرجع	إتجاه القارئ
///	أوافق بشدة
///	أوافق
/	أميل للموافقة
-	
..	أوافق

شكل (٣٨) يوضح إتجاهات البصريين نحو إختيارات باقى القراء الأربعة عشر فى أصول القراءة

* اتجاهات مدرسة البصرة فى القراءة (أبو عمرو - اليزيدى)

نحو اختيارات جمهور القراء فى فرش الحروف : شكل (٣٩) .

(١) ارتبط الجمهور بفرش أهل البصرة بأكثر مما ارتبطوا بأصولهم ، تماماً كما هو الحال مع أهل مكة .

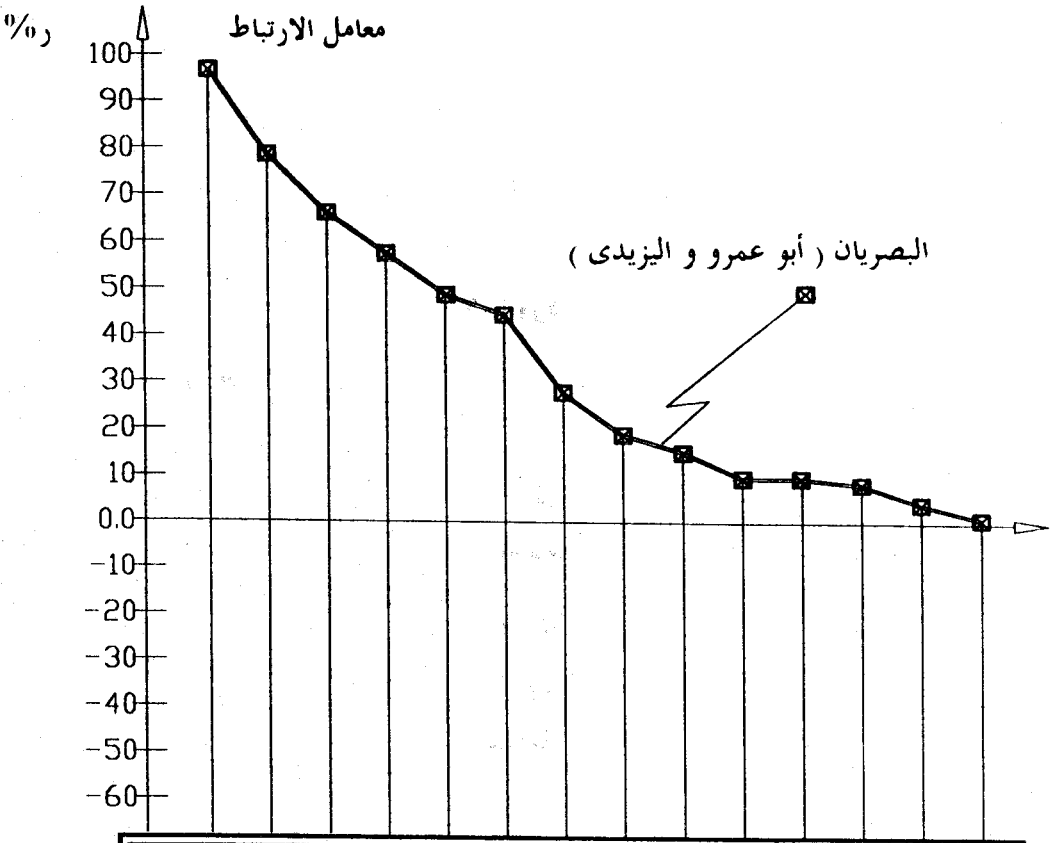
(٢) اتفق البصريان بشدة على فرش حروفهما بمعامل ارتباط : ٩٦ ٪ .

(٣) وافق البصريان بشدة على فرش ابن كثير المكي ، فارتبطا به بمعامل ارتباط قدره ٧٩ ٪ . ويعنى هذا أن جذع فرش أبى عمرو هو فرش ابن كثير . وقد تابعه تلميذه اليزيدى فى ذلك .

(٤) وافق البصريان على فرش حفص وابن محيصن المكي ونافع المدني ، ووافقهما يعقوب البصرى .

(٥) لم يعارض واحد من القراء فرش البصريين ، مما اختارا لأنفسهما من الحروف ولكن بالرغم من ذلك ، فإن الارتباط لم يكن شديداً كما أسلفنا .

(٦) جاء الكوفيون بعامة فى مؤخرة الموافقين على اختيار البصريين . وكأنما كان التنافس بين البصرة والكوفة تنافساً معتدلاً ، وليس حاداً كالتنافس بين المدنيين والكوفيين .



القراء	متوسط ارتباط القراء
البصريان	٩٦
بن كثير	٧٩
حفص	٦٤
بن محيصن	٦٠
نافع	٤٩
يعقوب	٤٤
خلف	٢٦
أبو جعفر	١٩
بن عامر	١٣
شعبة	٨
الأعمش	٨
الحسن	٧
حمزة	٣
الكسائي	-

الرمز	تجاه القراءة
///	أوافق بشدة
==	أوافق
/	أقبل للموافقة
-	لا أوافق

شكل (٣٩) يوضح اتجاهات البصريين نحو اختيارات باقى القراء الأربعة عشر فى فرش الحروف

* اتجاهات مدرسة الكوفة (الأعمش - حمزة - الكسائي - خلف)

نحو اختيارات جمهور القراء في أصول القراءة : شكل (٤٠)

(١) تنتهى قراءة مدرسة الكوفة إلى ابن مسعود، فهم حاملو لواء حرفه ،
ولكن فى إطار رسم الكلمات كما وردت بالمصحف العثمانى الإمام .

(٢) بلغ التوحد بين أعضاء المدرسة على أصولهم درجة عالية ، بمعامل
ارتباط متوسط يقترب من ٩٠ ٪ .

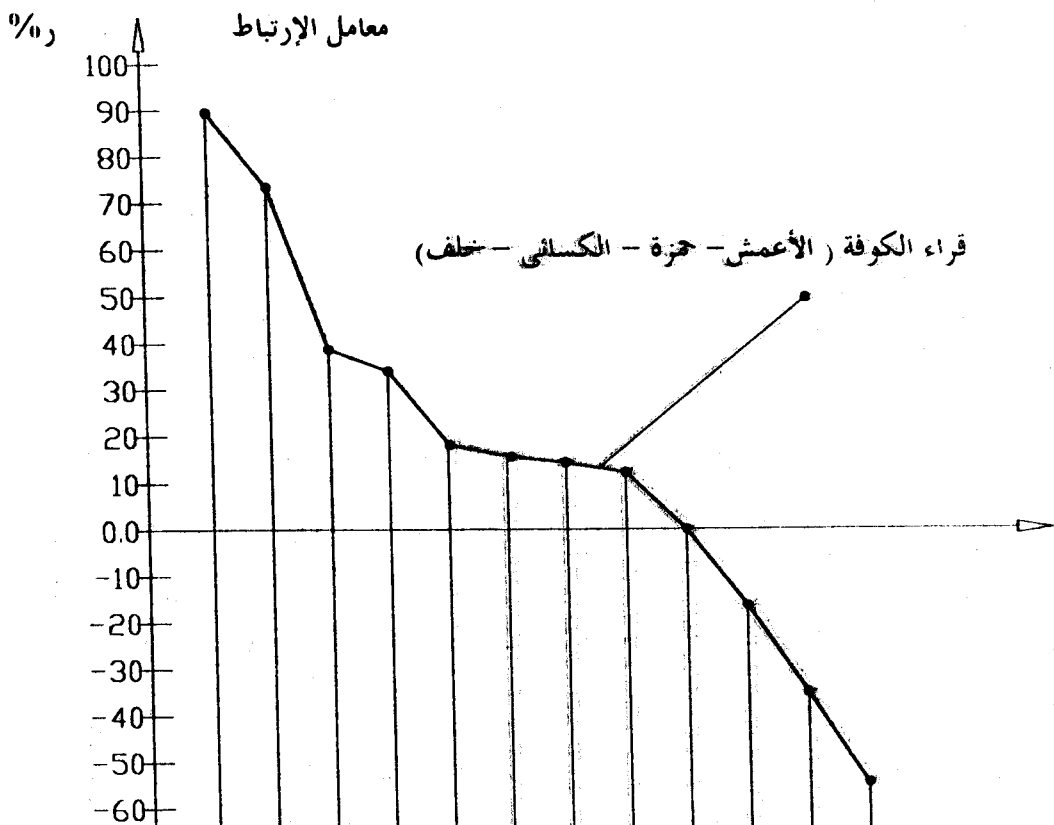
(٣) وافقهم بشدة على أصولهم : شعبة راوى عاصم عن زر بن حبيش
عن ابن مسعود ، فبلغ معامل ارتباطه بأصولهم - مما خالف فيه حفصاً - ٧٤ ٪ .

على حين بلغ معامل ارتباطهم برواية حفص : صفر ٪ فى الأصول .

(٤) عارض أصولهم بشدة مدرسة المدينة فبلغ معامل ارتباط أبى جعفر
بهم سالب (٥٥ ٪) ، تلاه نافع بمعامل ارتباط سالب (٣٥ ٪) .

ومعامل الارتباط السالب : يعبر عن التعارض ، وهو عكس الاتفاق فى
الاختيارات .

(٥) كان الكوفيون يميلون إلى أصول ابن عامر الشامى والحسن البصرى
ثم البصرة . وكانوا أبعد ما يمكن عن أصول المدينة ، يليها مكة (أى الحجاز) .



القارئ	معامل ارتباط الأصول
قراء الكوفة	٩٠
شعبة	٧٤
بن عامر	٣٩
الحسن	٣٦
يعقوب	١٨
اليزيدي	١٦
أبو عمرو	١٥
بن مجاهد	١٢
حفص	-
بن كثير	(٧٤)
ناقع	(٣٥)
أبو جعفر	(٥٥)

الرمز	إتجاه القرار
///	أوافق بشدة
/	أميل للموافقة
-	محايد
X	أميل للرفض
XX	أرفض
XXX	أرفض بشدة

شكل (٤٠) يوضح إتجاهات قراء الكوفة نحو إختيارات باقي القراء الأربعة عشر في أصول القراءة

* اتجاهات مدرسة الكوفة (الأعمش - حمزة - الكسائي - خلف)

نحو اختيارات جمهور القراء في فرش الحروف : شكل (٤١)

(١) بلغت درجة توحيد أعضاء مدرسة الكوفة على فرش حروفهم ٨٨ ٪ .

(٢) وافقت مدرسة الكوفة على فرش عاصم براوييه : شعبة بنسبة ٥٣ ٪ .

ثم حفص بنسبة ٤٣ ٪ .

(٣) مال الكوفيون إلى معارضة فرش الحسن البصرى وأبى جعفر المدنى .

(٤) وقف الكوفيون على الحياد بالنسبة لاختيارات باقى القراء فى فرش

الحروف .

(٥) يلاحظ هنا : أن الجراة فى الاختلاف كانت فى الأصول أكثر منها فى

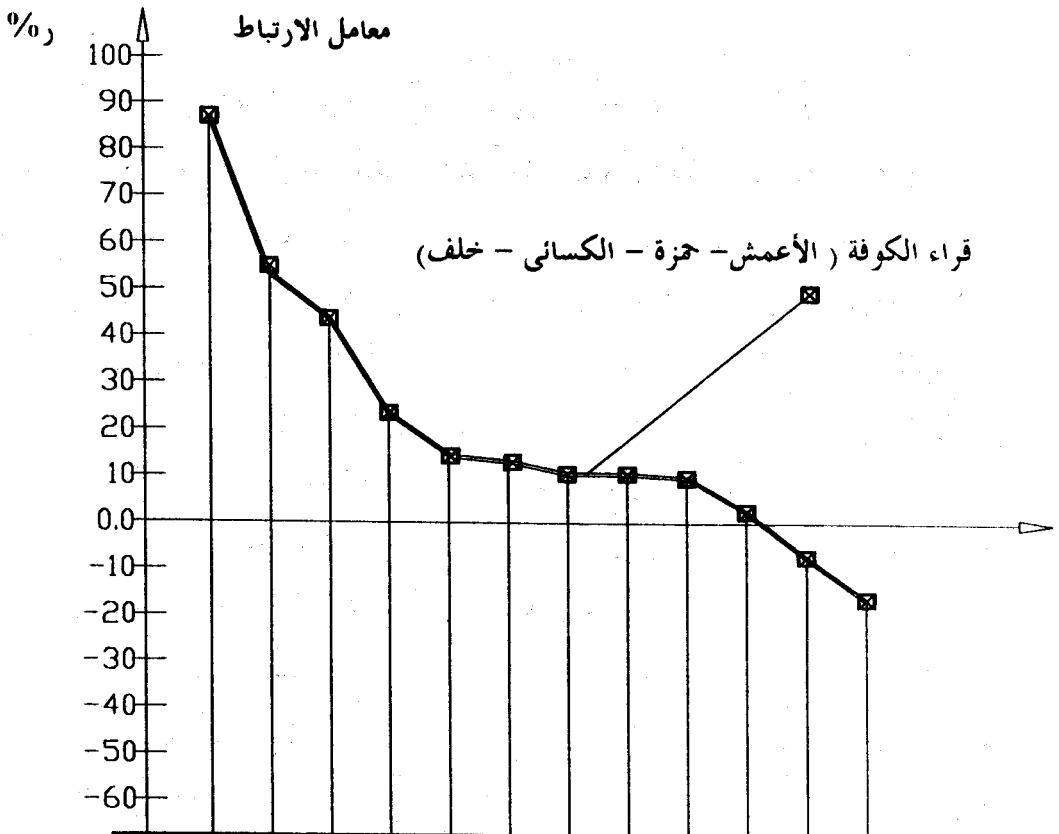
اختيارات الفرش .

(٦) عندما تعلق الأمر بفرش الحروف ، نجد أن الكوفيين يهرعون إلى

الاتفاق مع من اشتهر عنه الاتباع ، فنجدهم يقتربون من فرش : حفص ،

وابن عامر ، ونافع ، وابن كثير ، وقد كانوا من قبل يعارضوهم فى الأصول بجراة

واضحة .



القارئ	معامل الارتباط (%)
قراء الكوفة	88
شعبة	53
حفص	43
بن عامر	24
بن كثير	14
نافع	13
يعقوب	10
اليزيدي	10
أبو عمرو	8
بن محيصن	2
أبو جعفر	6
الحسن	15

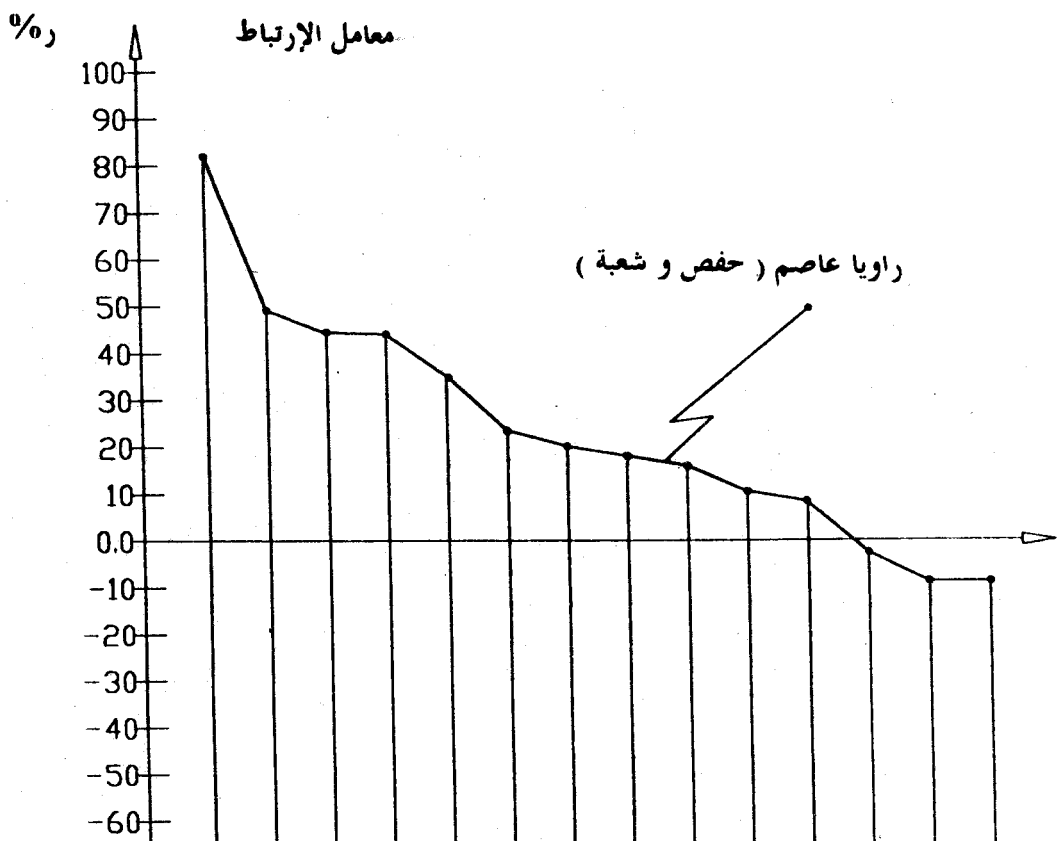
الرمز	نوع القراءة
///	أوافق بشدة
//	أوافق
/	أميل للسوافقة
-	بين
x	أميل للرفض

شكل (٤١) يوضح اتجاهات قراء الكوفة نحو اختيارات باقي القراء الأربعة عشر في فرش الحروف

* اتجاهات مدرسة عاصم براوييه (حفص - شعبة)

نحو اختيارات جمهور القراء في أصول القراءة : شكل (٤٢)

- (١) بلغت نسبة التوحد بين روايتى حفص وشعبة عن عاصم في الأصول نسبة ٨٢٪ وهى منخفضة نسبياً عن نسبة توحدهم في فرشه التى بلغت ٩١٪ .
• ويعنى ذلك ، أن الاختلاف كان في الأصول بأكثر مما ورد في الفرش .
- (٢) كانت أصول شعبة عن عاصم أكثر شهرة وقبولاً لدى جمهور القراء في الأمصار عن أصول حفص . والعكس صحيح في الفرش .
- (٣) وافقت أصول عاصم - في المتوسط - أصول ابن عامر الشامي والأعمش وخلف الكوفيين ، تلاهما باقي الكوفيين .
- (٤) جاء البصريون في مؤخرة الموافقين على أصول عاصم .
- (٥) لم ترد معارضة شديدة ، ولا حتى معارضة من أحد القراء لأصول عاصم ولكن البصريان كانا يميلان لمعارضة أصول حفص ، كما كان أبو جعفر يميل لمعارضة أصول شعبة - ومن هنا لم يكن البصريان وأبو جعفر يميلون لأصول عاصم على العموم .



القارئ	معامل ارتباط الأصول
راويا عاصم	٨٢
بن عامر	٥٠
خلف	٤٤
الأعشى	٤٤
هجرة	٣٥
الكسائي	٢٤
بن كثير	٢٠
يعقوب	١٨
نافع	١٧
الحسين	١٠
بن محيصن	٨
أبو جعفر	(٢)
اليزيدي	(٩)
أبو عمرو	(٩)

الوجه	إتجاه القراء
///	أوافق بشدة
//	أوافق
/	أقبل للموافقة
-	بين وبين
^	أقبل للرفض

شكل (٤٢) يوضح إتجاهات راويي قراءة عاصم نحو إختيارات باقي القراء الأربعة عشر في أصول القراءة

* اتجاهات مدرسة عاصم براوييه (حفص - شعبة)

نحو اختيارات جمهور القراء في فرش الحروف : شكل (٤٣)

(١) كما سبق ، فإن فرش عاصم كان قد تربع - وحيداً - على قمة الثقة فانجهدت إليه اختيارات باقى القراء ، من مختلف الأمصار ، وبدرجات .

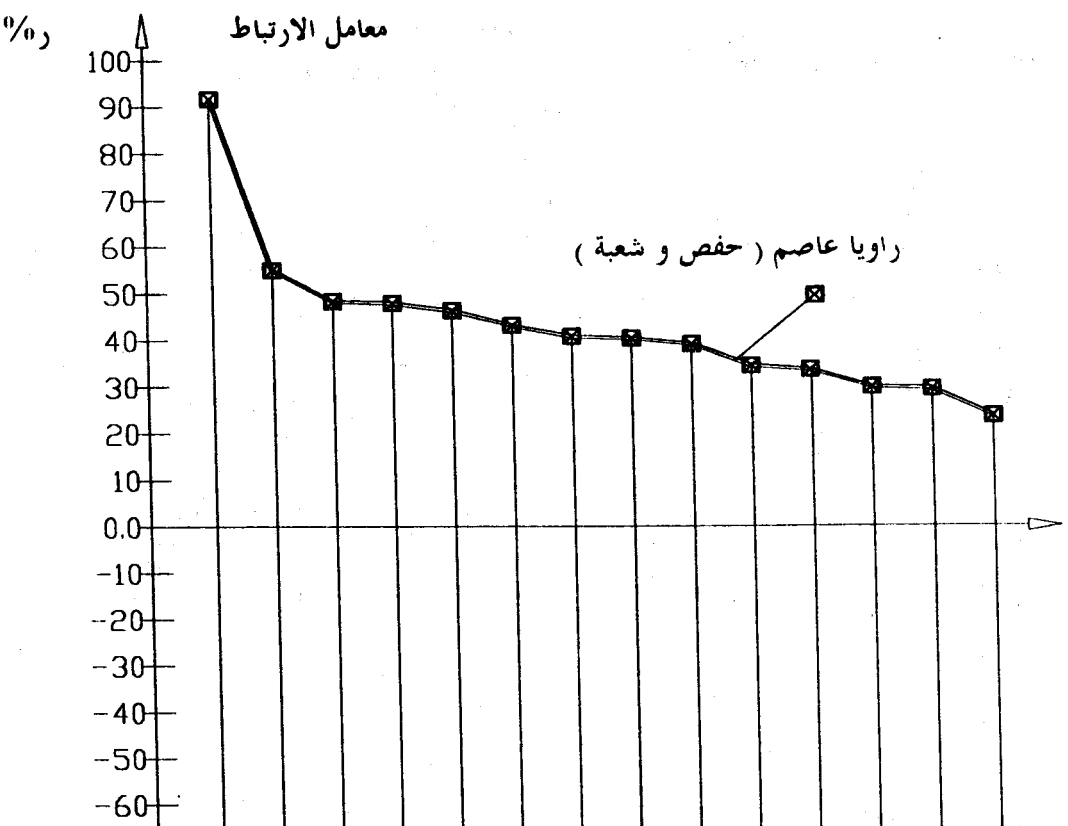
(٢) فرش عاصم هو الفرش الوحيد الذى لم يوجد من يعارضه بأى درجة من درجات المعارضة (أرفض بشدة - أرفض - أميل للرفض) .

كما أنه فضلاً عن ذلك كان الفرش الوحيد الذى لم يقف واحد من القراء منه موقف الحياد (بين - بين) . ولكن الحاصل أن درجات ارتباط الجمهور به كان حدها الأدنى : أميل للموافقة ، حتى من الحسن وابن محيصن .

(٣) أميل للموافقة : الحسن البصرى - ابن محيصن المكى - أبو جعفر المدنى - يعقوب البصرى - أبو عمرو واليزيدى البصريان .

(٤) أوافق على فرش عاصم : الكوفيون الأربعة - ابن عامر الشامى - ابن كثير المكى - نافع المدنى .

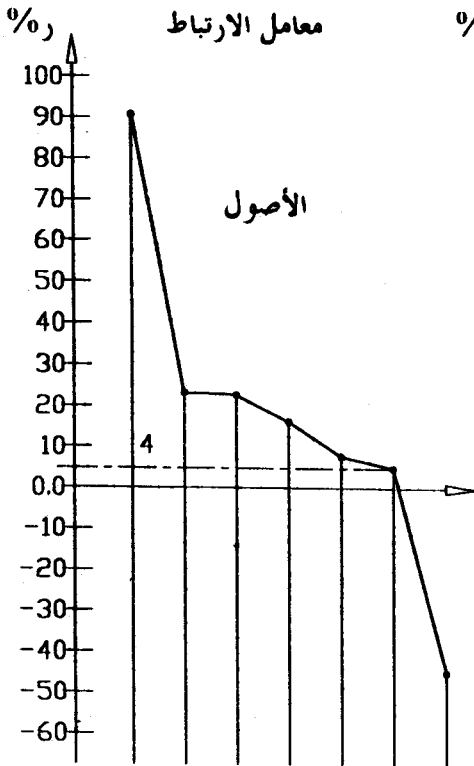
** فالحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .



الاسم	معامل الارتباط (%)	الاسم
راويا عاصم	91	راويا عاصم
خلف	54	خلف
بن عامر	49	بن عامر
الأعمش	49	الأعمش
الكسائي	47	الكسائي
نافع	43	نافع
حمزة	41	حمزة
بن كثير	40	بن كثير
اليزيدي	39	اليزيدي
أبو عمرو	33	أبو عمرو
يعقوب	31	يعقوب
أبو جعفر	26	أبو جعفر
بن مجيßen	26	بن مجيßen
الحسن	20	الحسن

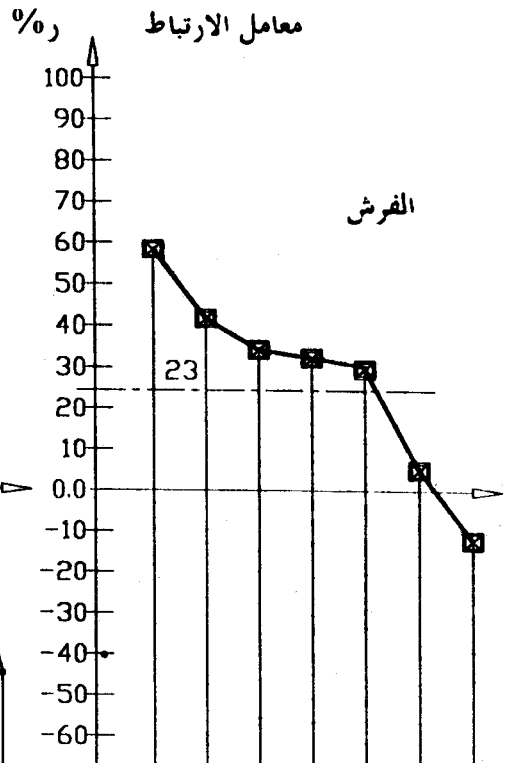
الاسم	معامل الارتباط (%)	الاسم
أوافق بشدة	///	أوافق
أوافق	==	أوافق
أقبل للموافقة	/	أقبل للموافقة

شكل (٤٣) يوضح اتجاهات راويي قراءة عاصم نحو اختيارات باقي القراء الأربعة عشر في فرش الحروف



المرتبة	المدينة	البحيرة	الشام	مكة	عاصم	الحسن	الكوفة
ر%	٩٠	٢٣	٢٢	١٥	٦	٤	(٤٥)

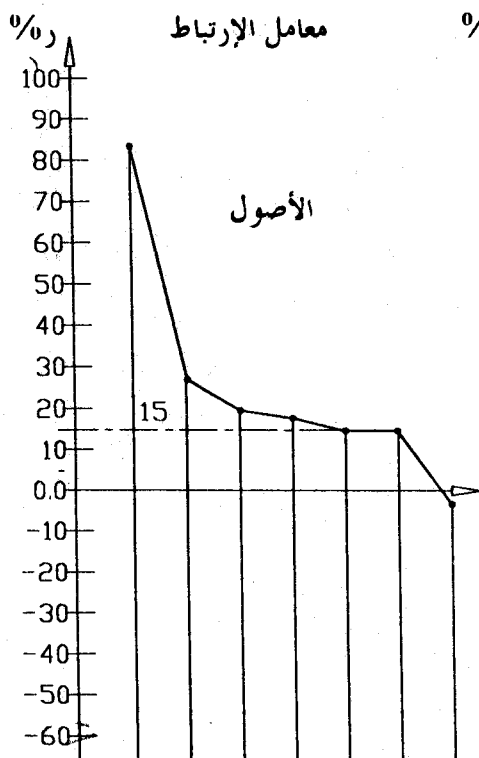
الاتجاه	أوافق بشدة	أقبل للموافقة	بين	أرفض بشدة
المرتبة	///	/	-	XXX



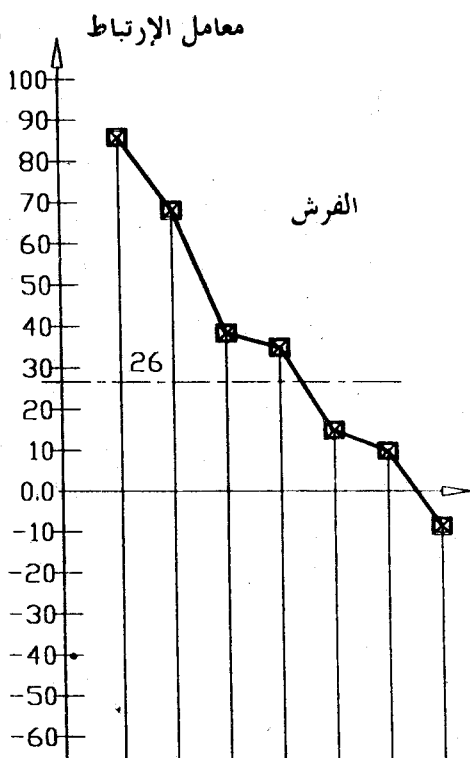
المرتبة	المدينة	الشام	مكة	عاصم	البحيرة	الكوفة	الحسن
ر%	٥٩	٤٢	٣٦	٣٥	٣٤	٤	(١٤)

الاتجاه	أوافق	أقبل للموافقة	بين	أرفض بشدة
المرتبة	///	/	-	X

شكل (٤٤) يوضح اتجاه مدرسة المدينة (أبو جعفر - نافع) بالنسبة لباقي مدارس الأمصار فرشاً وأصولاً



الرقم	مكة	البصرة	الحزن	عاصم	الشام	المدينة	الكوفة
٧	٨٢	٢٤	١٨	١٧	١٥	١٥	(١)

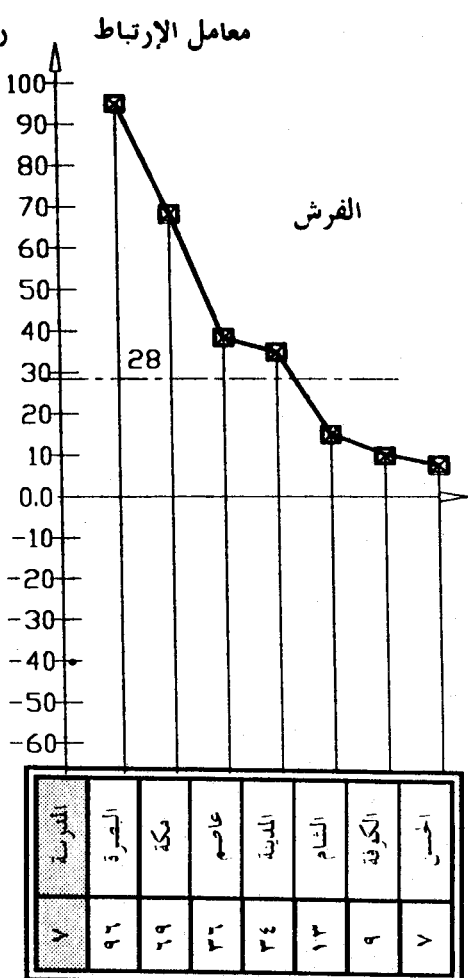
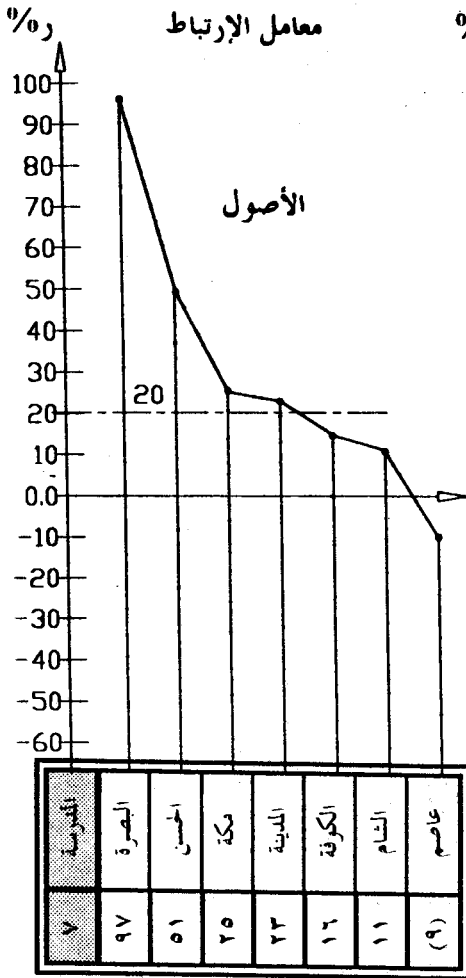


الرقم	مكة	البصرة	المدينة	عاصم	الشام	الكوفة	الحزن
٧	٨٦	٦٩	٣٦	٣٣	١٥	٨	(٨)

الإتجاه	أوافق بشدة	أقبل للموافقة	متوسط	أقبل للرفض
الرقم	///	/	-	x

الإتجاه	أوافق بشدة	أوافق	أقبل للموافقة	متوسط	أقبل للرفض
الرقم	///	//	/	-	x

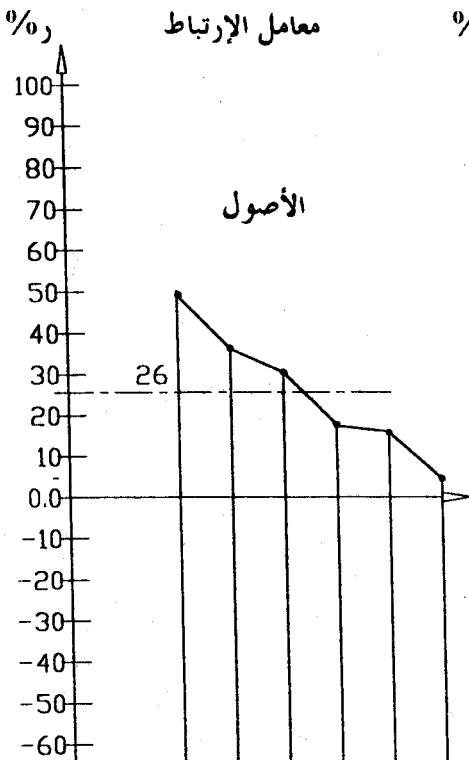
شكل (٤٥) يوضح إتجاه مدرسة مكة (إبن كثير-إبن محيىن) بالنسبة لباقي مدارس الأمصار فرشاً وأصولاً



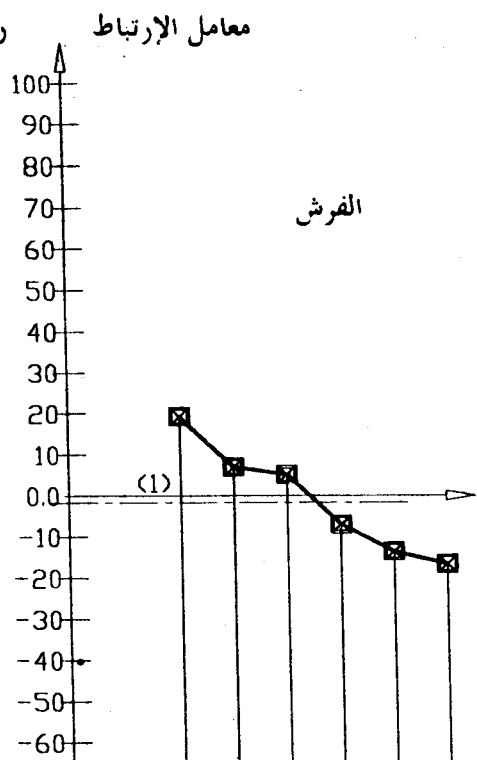
الإجماع	أوافق بشدة	أوافق	أقبل للموافقة	بين	أقبل للرفض
الرمز	///	//	/	-	x

الإجماع	أوافق بشدة	أقبل للموافقة	بين
الرمز	///	/	-

شكل (٤٦) يوضح اتجاه مدرسة البصرة (أبو عمرو-اليزيدي) بالنسبة لباقي مدارس الأمصار فرشاً وأصولاً



المدينة	عاصم	مكة	الشام	الكوفة	البصرة	القومية
4	17	18	30	32	50	26



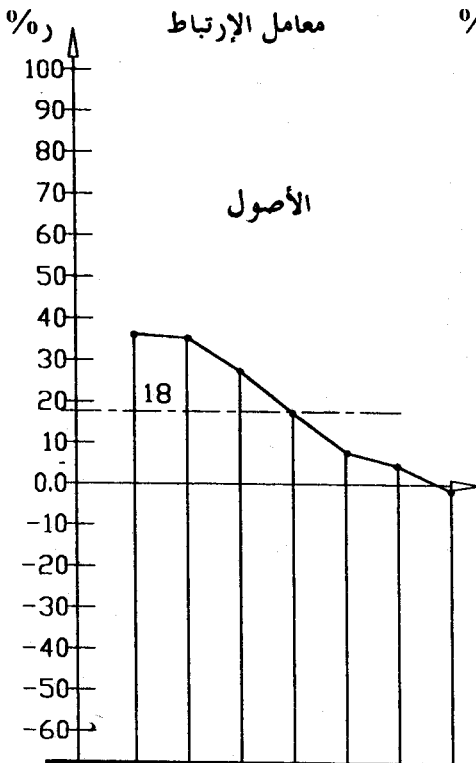
المدينة	الكوفة	البصرة	الشام	عاصم	القومية	(1)
15	12	8	7	20	20	1

المدينة	عاصم	مكة	الشام	الكوفة	البصرة	القومية
4	17	18	30	32	50	26

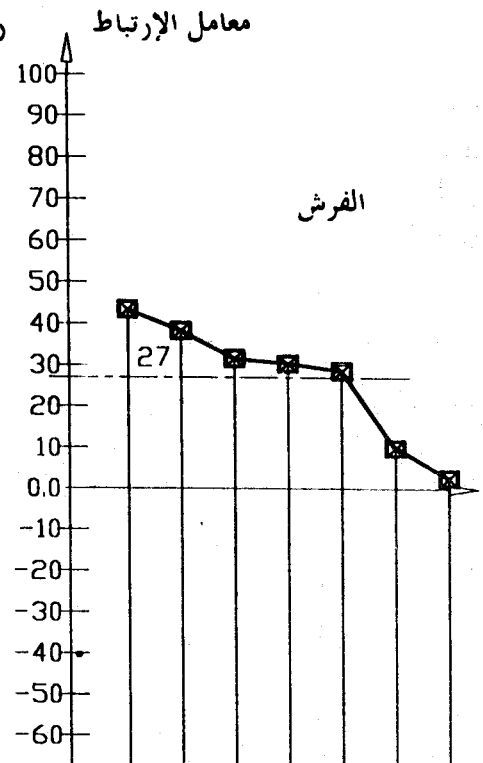
المدينة	الكوفة	البصرة	الشام	عاصم	القومية	(1)
15	12	8	7	20	20	1

شكل (٤٧) يوضح إتجاه الحسن البصري بالنسبة لباقي مدارس الأمصار

فرشا و أصولا



المدينة	معامل الارتباط (%)
المدينة	١
البصرة	٤
الشام	٧
عاصم	١٨
مكة	٢٩
الحسنة	٣٤
الكويت	٣٦
القاهرة	٣٦

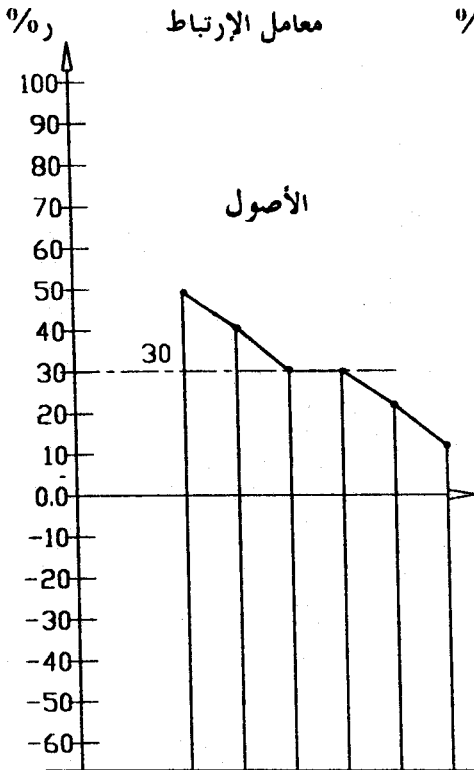


المدينة	معامل الارتباط (%)
المدينة	١
الحسنة	٣
الكويت	١٠
عاصم	٢٨
الشام	٣١
مكة	٣٣
البصرة	٣٧
القاهرة	٤٤

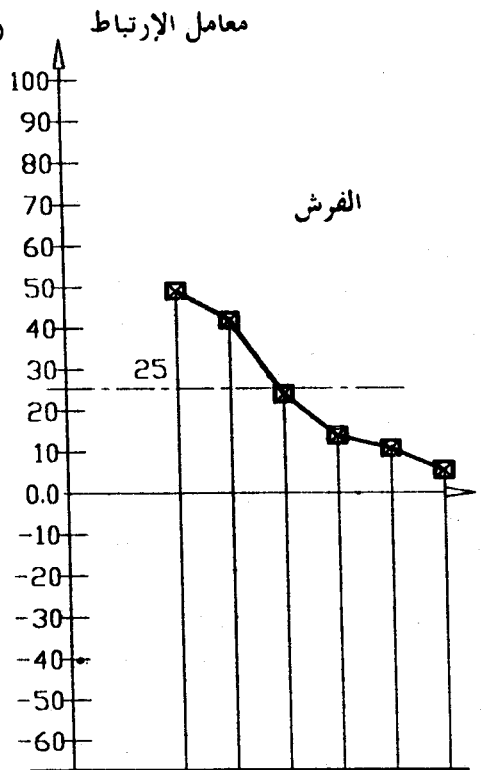
الإنجاز	أفضل للمرافقة	أفضل للرخص
الإنجاز	—	—
الإنجاز	—	—
الإنجاز	—	—
الإنجاز	—	—
الإنجاز	—	—
الإنجاز	—	—
الإنجاز	—	—

الإنجاز	أفضل للمرافقة	أفضل للرخص
الإنجاز	—	—
الإنجاز	—	—
الإنجاز	—	—
الإنجاز	—	—
الإنجاز	—	—
الإنجاز	—	—
الإنجاز	—	—
الإنجاز	—	—

شكل (٤٨) يوضح اتجاه يعقوب بالنسبة لباقي مدارس الأمصار
فرشا و أصولا



المدينة	معامل الارتباط
القاهرة	50
الشام	40
عاصم	30
الكوفة	30
مكة	22
المدينة	11
البصرة	11



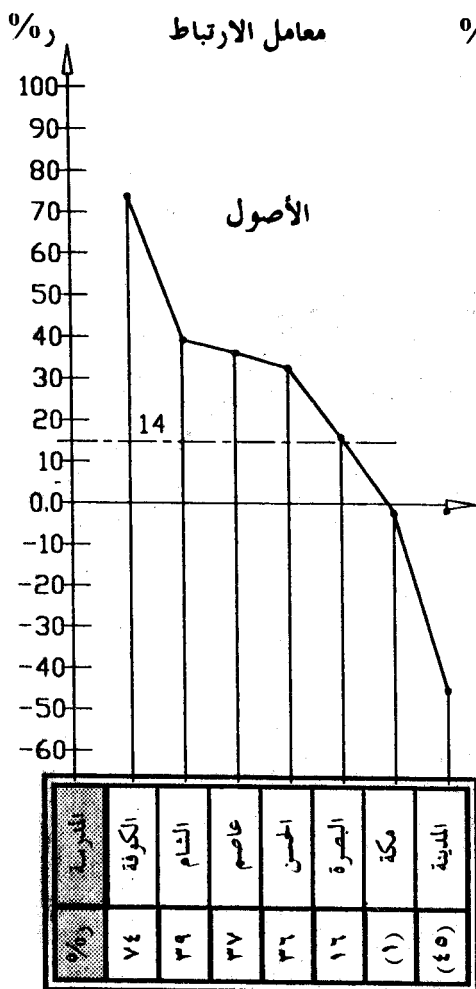
المدينة	معامل الارتباط
القاهرة	49
الشام	42
عاصم	24
المدينة	15
مكة	13
البصرة	6

المدينة	معامل الارتباط
القاهرة	50
الشام	40
عاصم	30
الكوفة	30
مكة	22
المدينة	11
البصرة	11

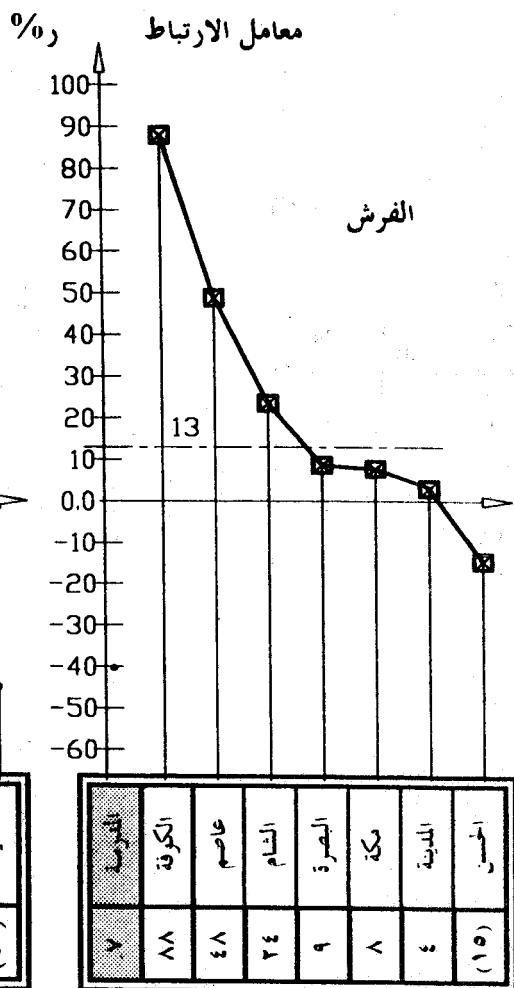
المدينة	معامل الارتباط
القاهرة	49
الشام	42
عاصم	24
المدينة	15
مكة	13
البصرة	6

شكل (٤٩) يوضح اتجاه قارئ الشام بالنسبة لباقي مدارس الأمصار

فرشا و أصولا



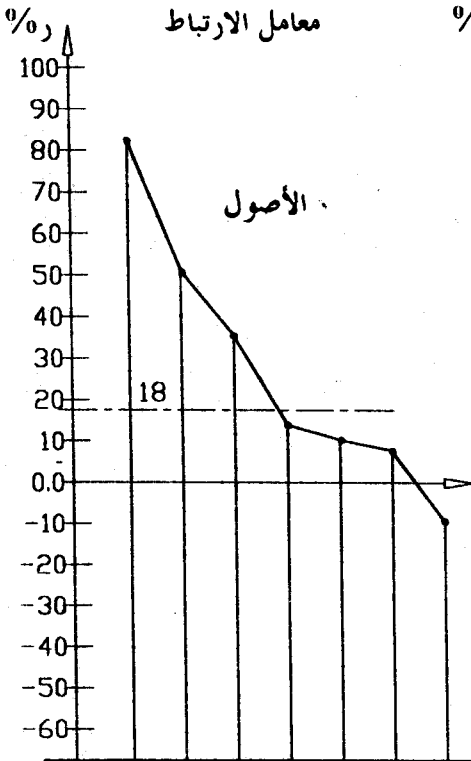
الاتجاه	أوافق بشدة	أقبل للموافقة	بين	أقبل للرفض	أرفض بشدة
الرمز	///	/	-	x	xxx



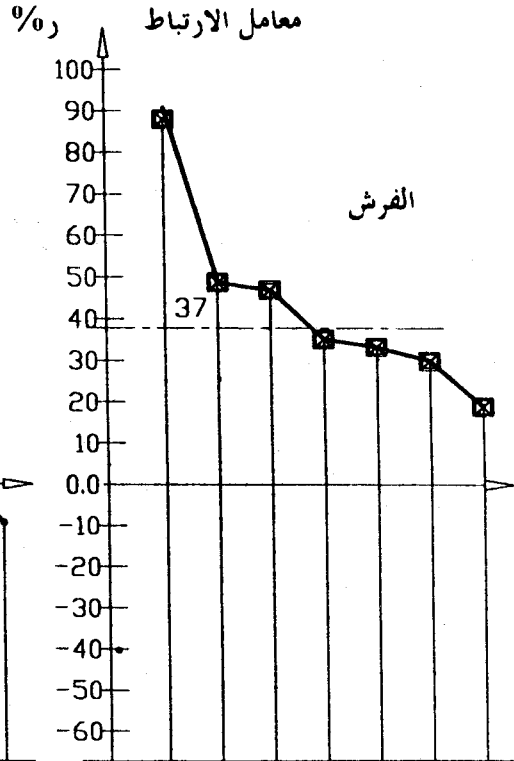
الاتجاه	أوافق بشدة	أوافق	أقبل للموافقة	بين	أقبل للرفض
الرمز	///	//	/	-	x

شكل (٥٠) يوضح اتجاه مدرسة الكوفة (الأعمش- حمزة- الكسائي- خلف)

بالنسبة لباقي مدارس الأمصار فرشاً وأصولاً



المدينة	عاصم	الشام	الكوفة	مكة	المن	المدية	البصرة
نسبة	٨٢	٥٠	٣٧	١٤	١٠	٨	(٩)



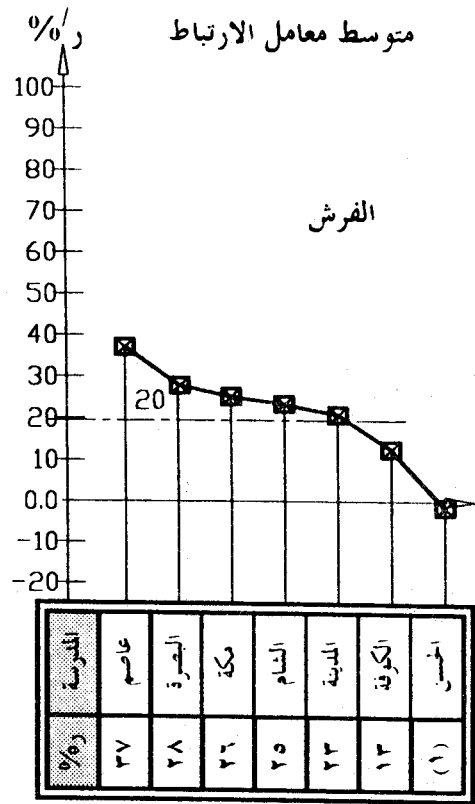
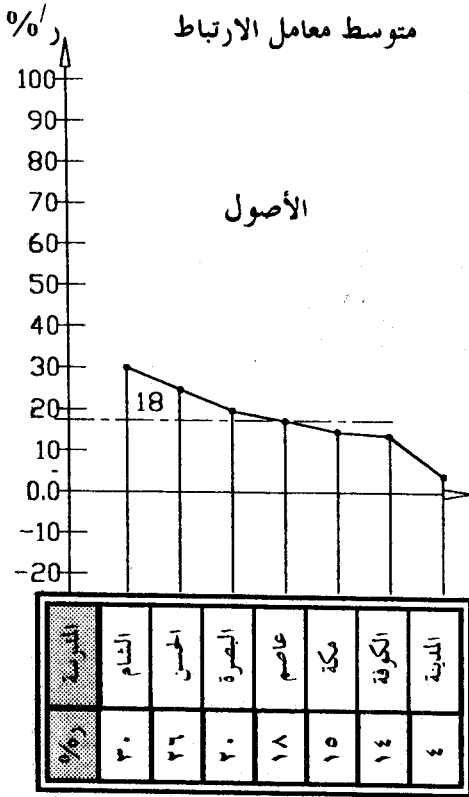
المدينة	عاصم	الشام	الكوفة	البصرة	المدية	مكة	المن
نسبة	٩١	٤٩	٤٨	٣٦	٣٥	٣٣	٢٠

الاتجاه	أوافق بشدة	أوافق	أقبل للموافقة	بين	أقبل للرفض
الفرش	///	///	/	-	x

الاتجاه	أوافق بشدة	أوافق	أقبل للموافقة
الفرش	///	///	/

شكل (٥١) يوضح اتجاه قراءة عاصم بالنسبة لباقي مدارس الأمصار

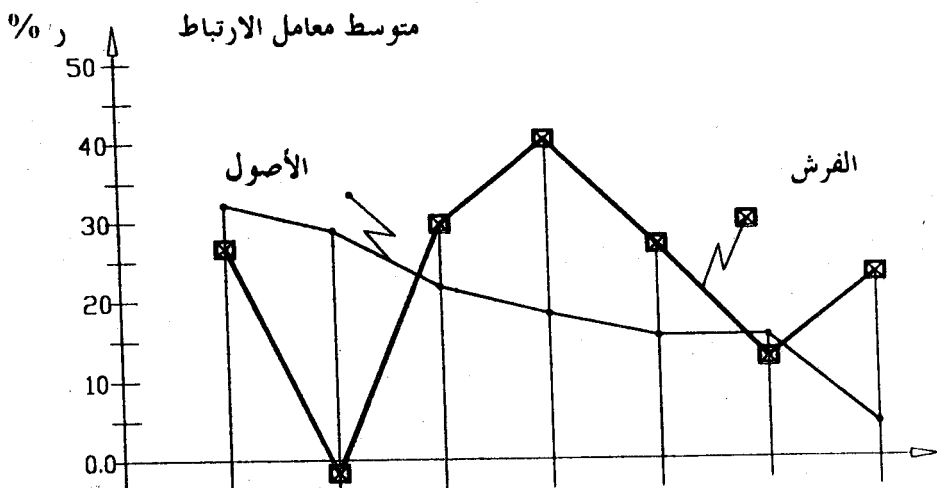
فرشا و أصولا



الترتيب	أقبل للموافقة	أقبل للموافقة
الأول	—	—
الثاني	—	—
الثالث	—	—
الرابع	—	—
الخامس	—	—
السادس	—	—
الأخير	—	—

الترتيب	أقبل للموافقة	أقبل للموافقة
الأول	—	—
الثاني	—	—
الثالث	—	—
الرابع	—	—
الخامس	—	—
السادس	—	—
الأخير	—	—

شكل (٥٢) يوضح ترتيب مدارس القراءة بالأمصار على مقياس الاشتهار
و التلقى بالقبول في كل من الفرش و الأصول



الترتيب	الأول	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس	السادس	السابع
مدرسة	قراءة أهل الشام	الحسن البصري	قراءة أهل البصرة	عاصم	قراءة أهل مكة	قراءة أهل الكوفة	قراءة أهل المدينة
الفرش	الرابع	الأخير	الثاني	الأول	الثالث	السادس	الخامس

اتجاه أهل الأصناف نحو اختيار القراءة في الأصول	مائل للموافقة	مائل للموافقة	مائل للموافقة	لا يدرى	لا يدرى	لا يدرى	لا يدرى
اتجاه أهل الأصناف نحو اختيار القراءة في الفرش	مائل للموافقة	مائل للرفض	مائل للموافقة	موافق	مائل للموافقة	لا يدرى	مائل للموافقة

شكل (٥٣) يوضح اتجاهات مدارس القراءة بكل مصر نحو اختيارات المدارس الأخرى في كل من الفرش و الأصول

خاتمة

* أما بعد ، فلعل ما جاء بهذا الكتاب خير دليل على أن ملف « القراءات » لم يخلق بعد ، وأن من يسعى إلى إغلاقه مخافة الاختلاف في كلام الله وطمعاً في حفظه إنما يحكم بالموت جموداً ، ثم نسياناً لأعزّ ذرة في تاج تراثنا الإسلامي والعربي ، ذلك أنه يخالف - من حيث لا يدري - المقاصد الإلهية التي شاءت أن تحفظ القرآن في صورة قراءات متعددة ، ومتنوعة ، لحكمة عليا ، أسهبنا في الحديث عنها في صفحات هذا الكتاب .

فالقرآن واحد ، والقراءات متعددة ، والله تعالى من وراء القصد ، وهو يهdy السبيل . ومن هنا جاءت دعوتنا إلى إحياء القراءات . وإحيائها لا يكون فقط بتحفيظ القرآن بالسبعة وبالعشرة لنفر محدود ، في معاهد دينية متهالكة مهملة ، ومحدودة في الكم والكيف كما هو الحال الآن . كما أن إحيائها لن يأتي من خلال احتكار المعرفة بها على فئة محدودة للغاية من الأكاديميين تعد على أصابع اليد الواحدة . ولن يأتي إحياء القراءات أيضاً في ظل سياسة إعلامية جوهرها الترويج لراوٍ واحد عن قارئ واحد لا ثاني له ، حتى وإن ثبت أنه الأوثق ، أو الأشهر ، فالسبع كلها مشهورة ومتلقاة بالقبول ، بل والعشر إن شاء الله .

إنما يكون إعادة إحياء تراث القراءات - فيما نرى - بالخطوات التالية :

أولاً : تطوير معاهد القراءات وتحفيظ القرآن من خلال :

- ١ - تخصيص الاعتمادات للأبنية التعليمية ، وإعادة تأسيها بعناصر جمالية تجذب إليها الجمهور ، وتعين التلاميذ على مهمتهم الشاقة .
- ٢ - تمييز هيئة التدريس بحوافز إضافية ، تؤمن لهم معيشة كريمة تليق بأمثالهم من حملة القرآن .
- ٣ - تحفيز التلاميذ ، بصرف مكافآت شهرية لهم ، كافية لأن تشكل عنصر جذب حقيقي .

٤ - فى مقابل عناصر التحفيز المشار إليها والتي تشكل عنصر جذب ، فمن المتوقع أن يشتد الإقبال على معاهد القراءات ، وهنا يجب وضع « نظام اختبارات للقبول فى القدرات والميول » لا يقبل بالمعاهد إلا من يجتازه بنجاح . ومنها اختبارات الذاكرة وجمال الصوت وحسن الأداء والميل للموسيقى وغيرها . ومعظمها متاح ، لا ينقصه إلا التقنين على بيئتنا العربية والإسلامية على يد المتخصصين ، وهم كثر .

٥ - تطوير مناهج التدريس بحيث لا يقتصر الأمر على تحفيظ القرآن ، بل يتعداه إلى ثقافة القراءات ، وتاريخها والقضايا المثارة بشأنها . كما يمتد أيضاً إلى دراسة « فقه اللغة » بما يحتويه من دراسة اللهجات المقارنة - قديماً وحديثاً . ناهيك عن قواعد النحو ووجوه الإعجاز اللغوى والبلاغى لوجوه القراءات .

٦ - فإذا قيل : مشكلة التمويل ، ومحدودية الموارد ، أقول : توجه الدعوة فى وسائل الإعلام إلى القادرين من عشاق القرآن والقراءات لفتح باب التبرع ، وتكون الدعوة موجهة للمسلمين من كافة أنحاء العالم ، وليس بمصر وحدها ، حينذاك ستنهال التبرعات ممن أفاض الله عليهم بكرمه ، حباً وكرامة . ولا بأس من تكوين روابط لمحبي القرآن والقراءات ، فنضمن بذلك استمرارية الاتجاه ، بل وتطويره على أيدي محبيه ، وما أكثرهم .

ثانياً : تطوير السياسة الإعلامية :

١ - يجب ألا تقتصر إذاعة القرآن الكريم على رواية حفص عن عاصم فقط ، ذلك أن الناس قد التبس عليهم ، فظنوا أن القرآن هو فقط بحفص عن عاصم فى مصر والسعودية وغيرهما . على حين أن المغاربة والسودان فى بعض نواحيه يظنون أن القرآن هو فقط برواية ورش عن نافع . وقد أوضحنا خطورة ذلك ، فضلاً عن كونه « غير حقيقى » . وأنه يفرق بأكثر مما يجمع ، فضلاً عن كونه لا ينسجم مع المقاصد الإلهية . فهل آن الأوان للرجوع إلى الحق ؟ .

٢ - يجب أن ينوه المذيع إلى الراوى والقارىء عندما تكون القراءة بحفص

عن عاصم ، أو بورش عن نافع ، أو بالسبعة أو بالعشرة أو بغيرها . ويعاد النظر في السياسة الإعلامية الحالية التي لا تعلن إلا عن « حفص عن عاصم » وتصر على تجاهل من سواهما ، فلا يأتى ذكر أحد غيرهما مما هو متبع حالياً فى المرات القليلة التي يذاع فيها تلاوة بغير حفص فى الإذاعة المصرية بكل محطاتها ، ومما يؤكد أنها سياسة مقصودة ومتعمدة ، وإلا فهو تقصير لا يغتفر .

٣ - أن يطبع المصحف المرتل بقراءات لغير حفص عن نافع ، وهى الوحيدة المتاحة حالياً ، ولا يشذ عنها إلا تسجيل واحد فقط لرواية ورش عن نافع بصوت الشيخ الحصرى (رحمه الله) ، وهو مالا يكفى بحال لإشباع رغبات الجمهور والوفاء باحتياجاتهم .

٤ - ويسرى على المصحف المجود ما يسرى على المصحف المرتل ، فلا تجد فى الأسواق الآن شرائط مسجلة بأصوات مشاهير القراء إلا بحفص عن عاصم . فضلاً عن أنه لا يتم التنويه - كتابة . على أغلفة الشرائط عن الراوى ولا عن القارئ لا حفص ولا غيره .

ثالثاً : فى مجال التأليف والبحوث :

فى المكتبة العربية بعض المؤلفات فى موضوع القراءات ، ولكنها لا تشفى غليلاً ولا تؤدى دوراً فعالاً ، لأسباب عديدة ، منها :

- جفاف الأسلوب وخلوه من عنصر البساطة وعنصر التشويق . من هنا لم يتلقاها جمهور القراء بالقبول ولم تشتهر وأصبح نشر كتاب فى القراءات مخاطرة مادية غير مأمونة ، فتقلصت المؤلفات وتقلص معها تراث القراءات العظيم .

- تكاد المكتبة العربية تخلو من مؤلفات فى تاريخ القراء ، فلا يكاد أحد من الناس يعرف من هو أبى بن كعب ، ولا من هو حفص ، ولا عاصم ، ولا غيرهم .

والآنكى من هذا ، أن عامة المثقفين قد يعرفون جيداً عبد الله بن مسعود وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ، ولكن لا أحد منهم على وجه اليقين

يعلم فضلهم فى خدمة كتاب الله . . ! أليس هذا غريبا ؟ . . . أم أنه شيء لا يستحق أن يذكروا به ؟ ! .

– تتسم لغة الخطاب فى معظم المؤلفات التى تتحدث فى القراءات بالحذر الشديد وتجاهل القضايا ذات الشأن والقفز فوقها وفوق العقل وفوق الحق أحيانا ، للتأكيد فى النهاية على أنها متواترة كلها ، مسموعة من فم النبى ﷺ كلها ، موحى بها كلها ، معلومة من الدين بالضرورة كلها ، وهو ما لم يقل به أحد من القدماء .

فهل يعتبر هذا إبداعاً من المحدثين أم بدعة ؟ .

فالقضايا الخلافية لا تتطلب إلا منطق الإقناع ، ومناخ الحوار ، وطرح الرأى والرأى الآخر ، ثم تسرى عليها السنة الخالدة : فأما الزيد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .

ولنا فى الإمام أبى حامد الغزالى عبرة ، فقد كتب رأيه فى الفلسفة فى كتاب « تهافت الفلاسفة » ، فلما عجز ابن رشد عن إقناع الناس بقضيته فى كتابه « تهافت التهافت » ، ذهب الفلسفة إلى حيث ألفت . ولم يكن ذهابها جفاء « بفتوى » ، ولكنها ذهبت بـ « كتاب » .

– آن الأوان لكن نسخر « التكنولوجيا » فى خدمة القراءات والقرآن .

فهل قام علماؤنا بحفظ القراءات على أسطوانة كمبيوتر ؟ .

إن حفظ القراءات على الكمبيوتر يجب أن يتصدر الأولويات فى مجال حفظ التراث ومن ثم إحيائه . وسوف يفتح ذلك الباب للمئات من الدراسات والبحوث التى تستفيد من استرجاع المعلومات ، مصنفة ، مبوبة بعشرات الطرق بمجرد لمسة إصبع . فهل فى هذا ما يخفى من فوائد ؟ . . . فماذا تنتظرون ؟ .

– آن الأوان لتطوير مناهج البحث فى الدراسات الإسلامية . ولماذا لا يستفاد

من « المنهج الإحصائى » فى علم القراءات ؟ .

والباب الثانى من هذا الكتاب قد سخر علم الإحصاء لخدمة أهدافه ، فخرج بمؤشرات عن اتجاهات القراء . وهى مؤشرات – وإن كانت تقريبية – إلا

أنها لا تخلو من فوائد . فنتائجها عجزت عن بلوغها المناهج الاستقرائية التاريخية التقليدية . وهنا تكمن قيمة « العلم » الحقيقية .
فلماذا لا نسخر منهج العلم فى خدمة « التراث » ؟ .

أرجو أن يكون ما توصل إليه هذا الكتاب فى بابه الثانى : « اتجاهات القراء » - إذا ثبتت صحته - حافزاً للباحثين ، ومن قبلهم المشرفين عليهم ، لاتباع هذا المنهج الإحصائى - بأصوله الأكاديمية - فى بحوثهم ، وأنا على يقين من أن ذلك سوف يفتح الباب على مصراعيه للخروج بالتراث من مأزق الجمود الذى يعانى به ، والدائرة المفرغة التى يدور فيها .

* * *

وينتهى الكتاب ، ولا ينتهى الكلام ، ولا التفكير . ولم تطمئن نفسى إلى كلمة وردت به ، ولا إلى رأى اجتهدت فيه قدر اطمئنائى إلى النية التى تقف من ورائهما .

فالله أسأل ، أن يتقبل منى نيتى ، وأن يغفر لى خطيئتى ، وأن ينير به قبرى ، وأن يثقل به ميزانى ، وأن يبيض به وجهى ، يوم أن ألقاه ، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، وأن يزحزحنى به عن النار ، وأن أتسلمه بيمينى فأهتف :
هاؤم اقرءوا كتابيه ، إننى ظننت أنى ملاقٍ حسابيه .

وصلى الله وسلم على نبينا سيد المرسلين ، وعلى أصحابه وأتباعه إلى يوم الدين ، من حملة القرآن العظيم ، سلاماً يرضيك وترضاه وترضى به عنا ، آمين . وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

صبرى الأشوح

الأربعاء ٢٦ من رجب سنة ١٤١٨ هـ

فجر ليلة الإسراء المباركة .

قائمة المراجع

- * مصحف المدينة النبوية ، كتب وضبط على ما يوافق رواية حفص عن عاصم .
- * المصحف الشريف ، طبع بالرسم العثماني على رواية الإمام ورش (عن نافع) بالخط المغربي التونسي الجزائري الإفريقي الموحد ، وأقر صحته مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر . الناشر : دار المصحف ، الأزهر ، القاهرة .
- * كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ، تحقيق د . شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط ٣ .
- * النشر في القراءات العشر ، تأليف ابن الجزري ، تصحيح ومراجعة الشيخ على محمد الضباع شيخ عموم المقارئ المصرية ، دار الفكر ، القاهرة . جزءان .
- * إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر ، للعلامة الدمياطي البنا ، رواه وصححه وعلق عليه الشيخ على محمد الضباع مراجع عموم المصاحف ومراقبها بمشيخة المقارئ المصرية - الناشر مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ، الأزهر ، القاهرة .
- * كتاب المصاحف ، تأليف أبي بكر السجستاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥ .
- * المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات ، تأليف أبي الفتح عثمان بن جني ، وتحقيق على النجدي ناصف ، ود . عبد الحليم النجار ، ود . عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، لجنة إحياء كتب السنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وزارة الأوقاف ، مصر سنة ١٩٩٤ ، جزءان .
- * قراءات القراء المعروفين بروايات الرواة المشهورين ، تأليف الأندرابي المقرئ ، حققه وقدم له د . أحمد نصيف الجنابي ، بالجامعة المستنصرية ، الناشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٥ م .

* منجد المقرئين ومرشد الطالبين ، لابن الجزرى ، قرأه بعد طبعه الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطى ، والشيخ أبو الأشبال أحمد محمد شاكر ، دار زاهد القدسى .

* الإبانة عن معانى القراءات ، تأليف الإمام مكى بن أبى طالب حموش القيسى ، قدم له وحققه ، وعلق عليه ، وشرحه ، وخرج قراءاته د . عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، دار نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة .

* تاريخ القرآن ، تأليف د . عبد الصبور شاهين ، معهد الدراسات الإسلامية ، سنة ١٩٩١ م .

* أبو عمرو بن العلاء ، تأليف د . عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٧ م .

* القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ، تأليف د . عبد الصبور شاهين ، مكتبة الخانجي .

* الاختيار فى القراءات ، منشؤه ، ومشروعيته ، إعداد د . عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، جامعة أم القرى ، مركز بحوث الدراسات الإسلامية ، مكة المكرمة ، سنة ١٩٩٦ م .

* الإمالة فى القراءات واللهجات العربية ، رسالة ماجستير للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، الناشر دار نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة .

* المدخل والتمهيد فى علم القراءات والتجويد ، تأليف د . عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية .

* القراءات ، أحكامها ومصادرها ، تأليف د . شعبان محمد إسماعيل ، دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة ، طبعة ١٩٨٦ م .

* المستنير فى تخريج القراءات المتواترة ، تأليف د . محمد سالم محيسن ، مكتبة جمهورية مصر ، الحسين ، القاهرة ، ثلاثة أجزاء .

* من قضايا اللغة والنحو فى كتاب النشر لابن الجزرى ، د . فؤاد أحمد

السيد الخطاب ، دار الطباعة المحمدية ، الأزهر ، القاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٩ م .

* فقه اللغة ، تأليف د . على عبد الواحد وافى ، دار نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة .

* مفهوم النص ، دراسة فى علوم القرآن ، تأليف د . نصر حامد أبو زيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٣ م .

* تاريخ الجدل ، تأليف الإمام محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربى ، القاهرة .

* مباحث فى علوم الحديث ، تأليف ١ . مناع القطان ، الناشر مكتبة وهبة ، عابدين القاهرة ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٩٢ م .

* رأى العام ، طبيعته وتكوينه وقياسه ، تأليف د . أحمد بدر ، الناشر وكالة المطبوعات ، الكويت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٨٢ م .

* الإحصاء فى علم النفس ، د . صفوت فرج ، دار النهضة العربية ، القاهرة .

* القراء والقراءات بالمغرب ، سعيد إعراب ، دار المغرب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٩٠ م .

صدر للمؤلف :

* التفكير عند أئمة الفكر الإسلامى

أبو حنيفة ، مالك ، الشافعى ، ابن حنبل ، ابن حزم

* تأليف : صبرى الأشوح .

* يطلب من : مكتبة وهبة ، ١٤ ش الجمهورية ، عابدين

القاهرة . ت ٣٧١٧٤٧٠

* الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧ .

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة.....
٨	تمهيد.....
	الباب الأول : تاريخ القراءات
١٣	** الفصل الأول : القرآن والقراءات
١٤	* جدل حول إشكالية العلاقة بين القرآن والقراءات القرآنية
١٤	— رأى د . محيسن ، وتعقيب د . شعبان
١٦	— رأى د . نصر أبو زيد ، وتعقيب المؤلف
١٩	— رأى د . عبد الصبور شاهين
٢٣	— تصور افتراضى لحل الإشكالية
٢٤	— مفهوم القراءات عند الدانى وابن الجزرى
٢٧	* مثال لاختلاف القراء فى سورة الفاتحة مما هو جزء من الأحرف السبعة
	— اختلاف القراء فى سورة الفاتحة ، مما قرأت به ، ويوافق خط
٢٧	المصحف
	— اختلاف الأئمة المشهورين غير السبعة فى سورة الفاتحة مما يوافق
٢٨	المصحف
	— اختلاف الأئمة المشهورين غير السبعة مما يخالف خط
٣١	المصحف ، فلا يقرأ به
	* ما روى عن الرسول ﷺ من القرآن فهو كمصحفه (ملك / مالك
٣٥	يوم الدين)
٣٥	— نص الأخبار المروية عن كتاب المصاحف للسجستانى

٣٨	- تعقيب ونداء
٤١	** الفصل الثانى : علامات فى تاريخ القراءات
٤١	* اختلاف الأئمة فى مقاييس القراءة المقبولة
٤٢	- ابن الجزرى واشتراط التواتر
٤٥	- مكى بن أبى طالب والاكتفاء بصحة السند
٤٦	- ابن الجزرى وفتوى تواتر القراءات العشر
٤٩	* المصحف الإمام ٠٠٠ والإجماع ٣٠ هـ
٤٩	- مقدمة
٥١	- أحاديث وردت عن ابن مسعود بشأن المصحف العثمانى ...
٥٢	- دور المصحف العثمانى فى القراءات
٥٣	- المصحف العثمانى وعبقريّة « إجماع الرأى العام »
٥٦	- المصحف العثمانى نقلة حضارية كبرى
٥٧	- الخلاصة
٦٠	* سبعة ابن مجاهد سنة ٣٠٠ هـ
	- تكاثر القراءات بعد المصحف الإمام حتى بلغت نحو خمسين
٦٠	قراءة
	- أزمة القراءات على عصر ابن مجاهد سنة ٣٠٠ هـ . ابن شنبوذ
٦٣	- ابن مقسم العطار
٦٤	- دور ابن مجاهد فى التصدى للأزمة
٦٦	- فلسفة ابن مجاهد فى اختيار القراء السبعة
٦٨	- ابن مجاهد وعبقريّة التناغم مع اتجاهات الرأى العام
٧١	- سبعة ابن مجاهد، هم أئمة القراءة باختيار الناس

- ٧٢ - أحاديث وردت عن ابن مجاهد فيما يخص القراء السبعة
- ٧٢ * نافع . . . مقرأ المدينة
- ٧٣ * ابن كثير . . . مقرأ مكة
- ٧٤ * أبو عمرو . . . مقرأ البصرة
- ٧٥ * ابن عامر . . . مقرأ الشام
- ٧٥ * عاصم . . . مقرأ الكوفة
- ٧٧ * حمزة . . . مقرأ الكوفة
- ٧٩ * الكسائي . . . مقرأ الكوفة
- ٧٩ - فكرة « الشهرة » عند ابن مجاهد
- ٨٠ - فكرة « التواتر » عند ابن مجاهد
- * ابن الجزرى . . . العشرة متواترة معلومة من الدين بالضرورة
- ٨١ سنة ٨٠٠ هـ
- ٨١ - مقدمة
- ٨٤ - أزمة القراءات على عصر ابن الجزرى
- ٨٥ - لغة الخطاب عند ابن الجزرى
- ٨٧ - القراءة : فرش وأصول
- ٨٨ - معركة (ابن الجزرى - ابن الحاجب) وتواتر الفرش دون الأصول
- ٩١ - معركة (ابن الجزرى - أبى شامة) وتواتر المتفق عليه فقط .
- ٩٢ - تراجع ابن الجزرى عن شرط التواتر
- ٩٣ - اعتراض د . شعبان على تراجع ابن الجزرى
- ٩٤ - تعقيب على رأى د . شعبان

- ٩٦ - القياس فى القراءات القرآنية.
- ٩٩ - خاتمة.
- ١٠٥ - أعتقد .. وأميل .. وأرجح .. وأوافق .. ولا أدرى ..
- ١٠٩ ** الفصل الثالث : مفهوم الاختيار فى القراءات.
- ١١١ * اختيار القراءة عند القراء.
- ١١١ * اختيار القراء عند ابن مجاهد وابن الجزرى.
- ١١٢ * الاختيار بين القراء والقراءات عند مكى بن أبى طالب.
- ١١٤ * اختيار مرفوض بسبب اللغة.
- ١١٥ * اختيار مرفوض بسبب رسم الكلمات بالمصحف العثمانى.
- ١١٦ * اختيار مرفوض بسبب السند.
- ١١٦ * مفاضلة بعض أئمة الفقه الإسلامى بين القراء.
- ١١٦ - الإمام مالك.
- ١١٦ - الإمام أحمد بن حنبل.
- ١١٧ * مفهوم الاختيار عند ابن الجزرى.
- ١١٨ * رأى عمر بن الخطاب فى اختيار أبى بن كعب.
- ١١٨ * رأى نافع مقرأ المدينة فى اختيار أبى عمرو مقرأ البصرة.
- ١١٩ * رأى أبو عمرو مقرأ البصرة فى اختيار الكسائى مقرأ الكوفة.
- ١١٩ * ابن مجاهد يصف قراءتى أبى عمرو والكسائى بأنهما « اختيار ».
- ١٢٠ * ابن الجزرى يصف قراءة خلف العاشر بأنها « اختيار ».
- ١٢٠ * الدانى يصف قراءة يعقوب بأنها « اختيار ».

- * الرازى يطلق لفظ « الاختيارات » على القراءات ١٢٠
- * اختيار اللهجات فى القراءات ١٢١
- * أمثلة لظواهر لهجية هابطة ١٢٢
- عنعنة تميم ١٢٢
- كشكشة أسد ١٢٢
- شنشنة اليمن ١٢٢
- استنطاء هذيل ١٢٢
- * آراء الصحابة فيما يخص اللهجات ١٢٣
- * إدغام تميم كان اختياراً لأبى عمرو ١٢٦
- * عاصم ... قارئ اختار ألا يختار ، وحفص روى عنه بلا اختيار ... ١٢٧
- * نافع يختار لنفسه ، ولا يختار لغيره ١٣١

الباب الثانى : اتجاهات القراء

- * * الفصل الرابع : أشهر المقرئين من الصحابة والتابعين ١٣٥
- * المبعوثون بنسخ المصحف الإمام إلى الأمصار ١٣٧
- * المشهورون من الصحابة بالقراءة ١٣٩
- * رواة القراءات الشاذة من الصحابة ١٤١
- * هل حفظ جميع الصحابة كل القرآن على عهد النبى ﷺ ١٤٢
- * شبهة ألحقت بابن مسعود ١٤٥
- * الصحابة الذين انتهت إليهم القراءات السبع ١٤٥
- * أين ابن مسعود من رواية حفص عن عاصم ؟ ١٤٦
- * المشهورون من التابعين بإقراء القرآن ١٥٠

١٥١	* تابعو التابعين من القراء
١٥٢	* رواة القراءات الشاذة من التابعين وتابعيهم وأئمة القراء
١٥٢	- أصحاب القراءات الأربع التي تلى العشر
١٥٣	- رواة الشواذ عموماً من التابعين وتابعيهم
١٥٧	- تعقيب
١٥٩	* * الفصل الخامس : وقفة واجبة عند علوم الحديث
١٦١	* الحديث المرسل اصطلاحاً
١٦٢	* حكم مرسل الصحابي
١٦٢	* المدلس
١٦٢	* أقسام التدليس
١٦٢	- تدليس الإسناد
١٦٣	- تدليس التسوية
١٦٤	- تدليس الشيوخ
١٦٥	* الجرح والتعديل
١٦٦	- مراتب التعديل
١٦٧	- حكم مراتب التعديل
١٦٧	- مراتب الجرح
١٦٩	- حكم مراتب الجرح
١٧٣	* تعقيب
١٧٣	- من اشتهر بالتدليس : الأعمش والحسن البصري
١٧٣	- من اشتهر باختيار خالف فيه العامة

- التدليس ، بين المفهوم الاصطلاحي والمفهوم الدارج ١٧٥
 - أبي بن كعب ، أحد ضحايا التعنيم ١٧٨
 ** الفصل السادس : اتجاهات القراء الأربعة عشر - دراسة استطلاعية . ١٨١
 * أسس تحديد الاتجاهات كما تبنتها الدراسة ١٨٣
 * ارتباط كل قارئ بباقي القراء الأربعة عشر ، فرشاً وأصولاً ١٨٤
 - أبو جعفر .. مقرئ المدينة .. ترجمته واتجاهاته ١٨٤
 - نافع .. مقرئ المدينة .. ترجمته واتجاهاته ١٨٦
 - ابن كثير .. مقرئ مكة .. ترجمته واتجاهاته ١٨٨
 - ابن محيصة .. مقرئ مكة .. ترجمته واتجاهاته ١٩٠
 - الحسن البصري .. ترجمته واتجاهاته ١٩٢
 - أبو عمرو .. مقرئ البصرة .. ترجمته واتجاهاته ١٩٤
 - اليزيدي .. مقرئ البصرة .. ترجمته واتجاهاته ١٩٦
 - يعقوب .. مقرئ البصرة .. ترجمته واتجاهاته ١٩٨
 - ابن عامر .. مقرئ الشام .. ترجمته واتجاهاته ٢٠٠
 - الأعمش .. مقرئ الكوفة .. ترجمته واتجاهاته ٢٠٢
 - حمزة .. مقرئ الكوفة .. ترجمته واتجاهاته ٢٠٤
 - الكسائي .. مقرئ الكوفة .. ترجمته واتجاهاته ٢٠٦
 - خلف .. مقرئ الكوفة .. ترجمته واتجاهاته ٢٠٨
 - شعبة .. راوى قراءة عاصم .. ترجمته واتجاهاته ٢١٠
 - حفص .. راوى قراءة عاصم .. ترجمته واتجاهاته ٢١٢
 - عاصم .. قارئ الكوفة .. ترجمته واتجاهاته ٢١٤
 * اتجاهات كل من مدارس القراءات نحو اختيارات باقى القراء بالامصار
 فرشاً وأصولاً ٢٤٩
 - مدرسة المدينة أصولاً ٢٥٠
 - مدرسة المدينة فرشاً ٢٥٢
 - مدرسة مكة أصولاً ٢٥٤
 - مدرسة مكة فرشاً ٢٥٦
 - مدرسة البصرة أصولاً ٢٥٨

٢٦٠		- مدرسة البصرة فرشاً
٢٦٢		- مدرسة الكوفة أصولاً
٢٦٤		- مدرسة الكوفة فرشاً
٢٦٦		- مدرسة عاصم أصولاً
٢٦٨		- مدرسة عاصم فرشاً
٢٨٠		* خاتمة الكتاب
٢٨٥		* قائمة المراجع
٢٨٨		* الفهرس
٢٩٦		* فهرس الأشكال

فهرس الأشكال

الصفحة

١٧٠	شكل (١) يوضح حكم مراتب الجرح والتعديل
	شكل (ب) يوضح حكم القراء بالشاذ وهم الأربعة التالية للعشر ،
١٧١	على ضوء مراتب الجرح والتعديل
	شكل (ج) يوضح حكم من قرأ بالأحرف الشاذة خارج القراء الأربعة
١٧٢	عشر على ضوء مراتب الجرح والتعديل
	شكل (١) يوضح معامل الارتباط فى الفرش والأصول بين أبى جعفر
١٨٥	والقراء الأربعة عشر
	شكل (٢) يوضح معامل الارتباط فى الفرش والأصول بين نافع
١٨٧	والقراء الأربعة عشر
	شكل (٣) يوضح معامل الارتباط فى الفرش والأصول بين ابن كثير
١٨٩	والقراء الأربعة عشر
	شكل (٤) يوضح معامل الارتباط فى الفرش والأصول بين ابن محيصة
١٩١	والقراء الأربعة عشر
	شكل (٥) يوضح معامل الارتباط فى الفرش والأصول بين الحسن
١٩٣	البصرى والقراء الأربعة عشر
	شكل (٦) يوضح معامل الارتباط فى الفرش والأصول بين أبى عمرو
١٩٥	والقراء الأربعة عشر
	شكل (٧) يوضح معامل الارتباط فى الفرش والأصول بين اليزيدى
١٩٧	والقراء الأربعة عشر
	شكل (٨) يوضح معامل الارتباط فى الفرش والأصول بين يعقوب
١٩٩	والقراء الأربعة عشر
	شكل (٩) يوضح معامل الارتباط فى الفرش والأصول بين ابن عامر
٢٠١	والقراء الأربعة عشر

٢٠٣	شكل (١٠) يوضح معامل الارتباط في الفرش والاصول بين الاعمش والقراء الأربعة عشر
٢٠٥	شكل (١١) يوضح معامل الارتباط في الفرش والاصول بين حمزة والقراء الأربعة عشر
٢٠٧	شكل (١٢) يوضح معامل الارتباط في الفرش والاصول بين الكسائي والقراء الأربعة عشر
٢٠٩	شكل (١٣) يوضح معامل الارتباط في الفرش والاصول بين خلف والقراء الأربعة عشر
٢١١	شكل (١٤) يوضح معامل الارتباط في الفرش والاصول بين شعبة والقراء الأربعة عشر
٢١٣	شكل (١٥) يوضح معامل الارتباط في الفرش والاصول بين حفص والقراء الأربعة عشر
٢١٧	شكل (١٦) يوضح تباين الارتباط على الاصول والفرش واتجاهات أبي جعفر نحو القراء الأربعة عشر
٢١٩	شكل (١٧) يوضح تباين الارتباط على الاصول والفرش واتجاهات نافع نحو القراء الأربعة عشر
٢٢١	شكل (١٨) يوضح تباين الارتباط على الاصول والفرش واتجاهات ابن كثير نحو القراء الأربعة عشر
٢٢٣	شكل (١٩) يوضح تباين الارتباط على الاصول والفرش واتجاهات ابن محيصن نحو القراء الأربعة عشر
٢٢٥	شكل (٢٠) يوضح تباين الارتباط على الاصول والفرش واتجاهات الحسن نحو القراء الأربعة عشر
٢٢٧	شكل (٢١) يوضح تباين الارتباط على الاصول والفرش واتجاهات أبي عمرو نحو القراء الأربعة عشر
٢٢٩	شكل (٢٢) يوضح تباين الارتباط على الاصول والفرش واتجاهات اليزيدي نحو القراء الأربعة عشر

شكل (٢٣) يوضح تباين الارتباط على الأصول والفرش واتجاهات يعقوب نحو القراء الأربعة عشر	٢٣١
شكل (٢٤) يوضح تباين الارتباط على الأصول والفرش واتجاهات ابن عامر نحو القراء الأربعة عشر	٢٣٣
شكل (٢٥) يوضح تباين الارتباط على الأصول والفرش واتجاهات الأعمش نحو القراء الأربعة عشر	٢٣٥
شكل (٢٦) يوضح تباين الارتباط على الأصول والفرش واتجاهات حمزة نحو القراء الأربعة عشر	٢٣٧
شكل (٢٧) يوضح تباين الارتباط على الأصول والفرش واتجاهات الكسائي نحو القراء الأربعة عشر	٢٣٩
شكل (٢٨) يوضح تباين الارتباط على الأصول والفرش واتجاهات خلف نحو القراء الأربعة عشر	٢٤١
شكل (٢٩) يوضح تباين الارتباط على الأصول والفرش واتجاهات شعبة نحو القراء الأربعة عشر	٢٤٣
شكل (٣٠) يوضح تباين الارتباط على الأصول والفرش واتجاهات حفص نحو القراء الأربعة عشر	٢٤٥
شكل (٣١) يوضح مراتب شهرة القراء في فرش الحروف	٢٤٦
شكل (٣٢) يوضح مراتب شهرة القراء في أصول القراءة	٢٤٧
شكل (٣٣) يوضح تفوق اتفاق القراء في الفرش على اتفاقهم في الأصول	٢٤٨
شكل (٣٤) يوضح اتجاهات المدنيين نحو اختيارات باقى القراء فى الأصول	٢٥١
شكل (٣٥) يوضح اتجاهات المدنيين نحو اختيارات باقى القراء فى الفرش	٢٥٣
شكل (٣٦) يوضح اتجاهات المكيين نحو اختيارات باقى القراء فى الأصول	٢٥٥

شكل (٣٧) يوضح اتجاهات المكئين نحو اختيارات باقى القراء فى	
الفرش	٢٥٧
شكل (٣٨) يوضح اتجاهات البصريين نحو اختيارات باقى القراء فى	
الأصول	٢٥٩
شكل (٣٩) يوضح اتجاهات البصريين نحو اختيارات باقى القراء فى	
الفرش	٢٦١
شكل (٤٠) يوضح اتجاهات الكوفيين نحو اختيارات باقى القراء فى	
الأصول	٢٦٣
شكل (٤١) يوضح اتجاهات الكوفيين نحو اختيارات باقى القراء فى	
الفرش	٢٦٥
شكل (٤٢) يوضح اتجاهات (حفص - شعبة) نحو اختيارات باقى	
القراء فى الأصول	٢٦٧
شكل (٤٣) يوضح اتجاهات (حفص - شعبة) نحو اختيارات باقى	
القراء فى الفرش	٢٦٩
شكل (٤٤) يوضح اتجاه مدرسة المدينة بالنسبة لباقى مدارس الأمصار	
- فرشاً وأصولاً	٢٧٠
شكل (٤٥) يوضح اتجاه مدرسة مكة بالنسبة لباقى مدارس الأمصار -	
فرشاً وأصولاً	٢٧١
شكل (٤٦) يوضح اتجاه مدرسة البصرة بالنسبة لباقى مدارس	
الأمصار - فرشاً وأصولاً	٢٧٢
شكل (٤٧) يوضح اتجاه مدرسة الحسن البصرى بالنسبة لباقى مدارس	
الأمصار - فرشاً وأصولاً	٢٧٣

شكل (٤٨) يوضح اتجاه مدرسة يعقوب بالنسبة لباقي مدارس الأمصار - فرشاً وأصولاً.....	٢٧٤
شكل (٤٩) يوضح اتجاه قارئ الشام بالنسبة لباقي مدارس الأمصار - فرشاً وأصولاً.....	٢٧٥
شكل (٥٠) يوضح اتجاه مدرسة الكوفة بالنسبة لباقي مدارس الأمصار فرشاً وأصولاً.....	٢٧٦
شكل (٥١) يوضح اتجاه قراءة عاصم بالنسبة لباقي مدارس الأمصار - فرشاً وأصولاً.....	٢٧٧
شكل (٥٢) يوضح ترتيب مدارس القراءة بالأمصار على مقياس الاشتغال.....	٢٧٨
شكل (٥٣) يوضح اتجاهات مدارس القراءة نحو اختيارات المدارس الأخرى ، فرشاً وأصولاً.....	٢٧٩
الفهرس.....	٢٨٨
فهرس الأشكال.....	٢٩٦

رقم الإيداع	١٩٩٨ / ١٠٩٩٢
I.S.B.N	977 - 19 - 6721 - 5
الترقيم الدولي	